الجامعة الإسلامية – غــزة
عمــادة الدراســات العليا
كليـــــــــــــة الآداب
قســم التــاريــخ والآثــار



الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام
(1-132هـ=622-749م)

إعداد الطالب
جمال أحمد سليمان أبو ريدة

إشراف
الدكتور/ خالد يونس الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمــالاً لمتطلبات الحصول علــى درجــة الماجستير (بحث تكميلي) في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة– فلسطين

العام الدراسي
1430هـ=2009م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[1]

(1) سورة الأنعام: الآية 162.

قال رسول الله ﷺ:

"الحرب خدعة"[2]

(2) البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص64، رقم الحدبث3030؛ مسلم: صحيح مسلم، ج12، ص45، رقم الحدبث1739؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ج4، ص358، رقم الحديث2833.

إهـــداء

إلى القائد

الذي سيرفع راية لا إله إلا الله عالية خفاقة فوق مآذن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثاني المسجدين ويستعيد أرض فلسطين المسلوبة للعرب والمسلمين من اليهود الغاصبين.

الطالب/جمال أبو ريدة

شكر وعرفان

قال رسول الله ﷺ: " من لم يشكرْ الناسَ لم يشكرْ الله"(3).

الحمد لله رب العالمين الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وبعد:

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل ومشرفي القدير الأخ الدكتور خالد يونس الخالدي، وذلك لاقتراحه عليّ بدايةً فكرةَ هذا البحث، وما حفّني به بعد ذلك من رعاية ومساندة وتوجيه في كل مراحل إعداد هذه الرسالة، راجياً أن يتقبل أستاذي الفاضل شكري وتقديري له، وأن يمتعه ربّنا سبحانه وتعالى بموفور الصحة والعافية؛ ليكون ذخراً لطلبة العلم ليستفيدوا منه، وينهلوا من علومه وخبراته.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع الأخوة أساتذةِ قسمِ التاريخ في الجامعة الإسلامية الذين وقفوا بجانبي، وقدموا لي النصح والمساعدة من أجل إعداد هذه الرسالة على الوجه الأفضل.

وأتقدم بالشكر الجزيل لكل الأخوة العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية، ومكتبة جامعة الأقصى، ومكتبة جامعة الأزهر على ما قدموه لي من عون ومساعدة من أجل الوصول للمصادر، والمراجع التي احتجتها خلال عملية البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخوة الأساتذة/ مجدي أبو لحية، ويوسف أبو عنزة، وأحمد العبادلة الذين تكلفوا عبء تدقيق الرسالة لُغوياً، وإلى الأخوين الأستاذين/ تامر أبوريدة، وزكي القيشاوي اللذين تكلفا عبء طباعة الرسالة، سائلاً المولى عزّ وجلّ أن ينفع بهذا الجهد المتواضع طلبة العلم، والمجاهدين من أبناء أمتنا العربية والإسلامية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(3) الترمذي: سنن الترمذي، ج3، ص505، رقم الحديث1955؛ وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج1، ص1149، رقم الحديث11487.

المحـــــــــتويات

المختصرات

م	الكلمة	المختصر
1	توفي	ت
2	دون مكان نشر	د.م
3	دون ناشر	د.ن
4	دون تاريخ نشر	د.ت
5	دون طبعة	د.ط
6	الطبعة	ط
7	هجري	هـ
8	ميلادي	م
9	الجزء	ج
10	الصفحة	ص
11	الكيلومتر	كم
12	سنتيميتر	سم

المقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

شرّع الرسولﷺ الخدع العسكرية في الحرب، وبقي حديثه لنعيم بن مسعود في غزوة الخندق بأن الحرب خدعة مسوغاً مهماً لمشروعية الخدع العسكرية في الإسلام، ولم يكتف الرسولﷺ بتشريع الخدع العسكرية في الحرب، وإنما عمد إلى تدبير العديد من الخدع العسكرية في غزواته التي قادها ضد معسكر الشرك، وكان الرسولﷺ آذاناً صاغية لأصحابهﷺ فيما يخص تدبير الخدع العسكرية، لمواجهة جموع المشركين، ولعلّ ما حصل في غزوتي بدر والخندق من تغوير لآبار المياه لحرمان المشركين من الشرب بعدما أشار عليه بذلك الحباب بن المنذر، وحفر الخندق حول المدينة بعدما أشار عليه بذلك سلمان الفارسي، خير دليل على ذلك، أضف إلى ذلك القرآن الكريم الذي بين مشروعية الخدع العسكرية في كثير من آياته القرآنية

ولقد اقتفى الصحابةﷺ أثر الرسولﷺ، في تدبير أعظم الخدع العسكرية في سراياهم وبعوثهم، التي انطلقت بأمر الرسولﷺ، وذلك لردع القبائل العربية التي كانت تتمرد عليهﷺ وإخافتهم، وكذلك للتخلص من رؤوس اليهود التي كانت تحيك الدسائس والمؤامرات، وتزرع في الليل والنهار بذور الفتن، وتجمع الجموع للانقضاض على الرسولﷺ في المدينة، للقضاء على الدعوة في مهدها.

وسار القادة العسكريون المسلمون بعد ذلك على أثر الرسولﷺ، والصحابةﷺ في تدبير العديد من الخدع العسكرية في أثناء فتوحاتهم لبلاد العراق وفارس والشام ومصر والمغرب العربي والأندلس وما وراء النهر والسند والروم؛ لتؤكد أن العبقرية الإسلامية قادرة على تدبير مختلف أنواع الخدع العسكرية التي تصلح لكل زمان ومكان، ولقد كان لهذه الخدع بالغ الأثر في تحطيم إمكانات جيوش إمبراطوريات عريقة؛ كجيوش فارس، والروم، ولولا هذه الخدع لصعب على المسلمين التغلب على هذه الجيوش بهذه السهولة، وبهذه السرعة، مما يؤكد على أهمية الخدع العسكرية في الحرب، فالأقدر والأسبق على تدبير الخدع العسكرية في الحرب هو الأقدر على الانتصار بأقل الإمكانات العسكرية.

إن الخدع العسكرية الإسلامية، والتي تزخر بها الكتب التاريخية الإسلامية، لازالت إلى يومنا هذا، أسيرة بطون المصادر التاريخية الإسلامية، ولعلّ الوقت قد حان للتنقيب والبحث عنها ومعرفتها، وذلك للاستفادة منها، في مواجهة أعدائنا الذين سطوا على أرضنا، ودنسوا مقدساتنا، وانتهكوا أعراضنا، وسفكوا دماءنا.

أ- أهمية البحث

يعد موضوع رسالة الماجستير والتي عنوانها " الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام" من الموضوعات المهمة في التاريخ الإسلامي، وذلك لأنه يسلط الضوء على موضوع غاية في الأهمية في التاريخ الإسلامي، ألا وهو الخدع العسكرية للمسلمين في حروبهم الطويلة، والتي لاقوا خلالها جيوشاً جرارة مدربة على مختلف أنواع القتال سواء جيش قريش، أوالفرس، أوالروم، أوالأتراك، ولكن قدرة المسلمين على تدبير العديد من الخدع العسكرية المحكمة، بالإضافة إلى عوامل أخرى مكنتهم من الانتصار على هذه الجيوش مجتمعة، رغم إمكانات المسلمين المتواضعة في مواجهة هذه الجيوش الجرارة، وتوزع هذه القوات على جبهات عدة.

ففي الوقت الذي كان جزءٌ من الجيش الإسلامي يقاتل على الجبهة الفارسية، كان الجزء الآخر يقاتل على الجبهة الرومية في بلاد الشام، وكان للخدع العسكرية دور بارز في تحقيق النصر في كل هذه الحروب، لتمتد الدولة الإسلامية خلال المدة التي حددتها من بلاد السند والهند شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً، ولتنعم الأمم المختلفة التي انضوت تحت راية الدولة الإسلامية بالرخاء، والأمن، والعدل.

ب- أهداف البحث

أما الأهداف التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع، فهي على النحو الآتي:

1- معرفة مدى مشروعية الخدع العسكرية في الإسلام، وذلك من خلال العودة إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توضح مشروعية تلك الخدع في الإسلام.

2- تسليط الضوء على طبيعة الخدع العسكرية التي دبرها الرسولﷺ في غزواته، التي قادها وقاتل فيها معسكر الكفر ممثلاً في قريش، والمنافقين، واليهود.

3- تسليط الضوء على طبيعة الخدع العسكرية التي دبرها الصحابةﷺ في سراياهم وبعوثهم التي قاتلوا فيها، وجاءت لتأمين حدود المدينة المنورة من خلال ضرب معسكر الكفر في عقر داره.

4- استلهام الدروس والعبر من الخدع العسكرية التي دبرها الرسولﷺ، والصحابهﷺ، ومن تبعهم من القادة العسكريين.

5- تسليط الضوء على العبقرية العسكرية الإسلامية التي استطاعت بهذه الخدع التغلب على معسكر الكفر، والانطلاق بعد ذلك لتبليغ دعوة الله عزّ وجل، كما أمر بذلك ربنا سبحانه وتعالى.

6- معرفة الظروف التي دفعت الرسولﷺ والصحابةﷺ والقادة العسكريين إلى التفكير في تدبير هذه الخدع.

7- العرفان بالجميل للقادة العسكريين الذين ابتكروا هذه الخدع، والتي لولاها لما استطاع المسلمون كسر شوكة المشركين، الذين كانوا أكثر عدداً وعدةً من المسلمين.

8- إطلاع المجاهدين العرب والمسلمين اليوم على طبيعة هذه الخدع التي ابتكرها الرسولﷺ، والصحابةﷺ، والقادة العسكريون المسلمون- الذين جاءوا من بعدهم- لتكون عوناً لهم في كسر شوكة عدوهم الذي يلوّح لهم بتفوقه العسكري، مقابل ضعفهم.

9- رفد المكتبة العربية بدراسة علمية متخصصة حول الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام، تكون باكورةً لدراسات علمية جديدة تغطي حقباً زمنية أخرى من تاريخ أمتنا العربية والإسلامية، يدلي أهل الاختصاص فيها بدلوهم، ويستفاد من هذه الخدع في تطوير العمل العسكري العربي والإسلامي، سواء في شكله العسكري النظامي، أو العسكري المقاوم.

ت-حدود البحث

يتم تناول هذا البحث ضمن الحدود التالية:

- الحدود الموضوعية

يقتصر البحث على دراسة الخدع العسكرية للقادة العسكريين المسلمين، بدءاً بالخدع العسكرية التي دبرها الرسولﷺ، في غزواته، ومروراً بالخدع العسكرية للصحابةﷺ في البعوث والسرايا التي قادوها، وانتهاءً بالخدع العسكرية التي دبرها القادة المسلمون في حروبهم أثناء عمليات الفتح الطويلة التي شملت بلاداً واسعةً.

- الحدود الزمانية

يتناول البحث حقبة زمنية طويلة تمتد من السنة(1-132هـ=622-749م)، حيث شملت المدة التي بدأت بمعركة بدر، وانتهت بسقوط الدولة الأموية.

- الحدود المكانية

شملت الحدود المكانية للبحث مساحة الأراضي والدول التي فتحها المسلمون، والتي شملت: بلاد الحجاز، العراق، فارس، الشام، مصر، المغرب العربي، والأندلس، وما وراء النهر، والسند، والروم.

ث- الدراسات السابقة

بعد المراجعة والبحث في رسائل الماجستير والدكتوراه، اتضح أن الموضوع- في حدود علم الطالب- لم يطرح من قبل، ولم تتناوله دراسة علمية متخصصة، لكنه استفاد من عدد من الدراسات العلمية المفيدة لدراسته، أهمها:

خطاب: محمود شيت.

1- الرسول القائد، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ=2002م).

2- قادة فتح العراق والجزيرة، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ=2002م).

3- قادة فتح المغرب العربي، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1422هـ=2002م)

4- قادة فتح بلاد فارس، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ=2002م).

5- بين العقيدة والقيادة، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1423هـ=2002م).

ج- منهج البحث

تعتمد الدراسة على منهج البحث التاريخي، وهو المنهج الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها، للوصول إلى تعميمات مقبولة في تناوله للخدع العسكرية للقادة العسكريين المسلمين، في الفتوحات الإسلامية.

ح- الصعوبات

واجهت الطالب بعض الصعوبات والمشاكل أثناء البحث، ومن هذه الصعوبات:

1- توزع المادة العلمية في بطون المصادر التاريخية الإسلامية، الأمر الذي استدعى من الطالب الإطلاع على تاريخ الأمة الإسلامية على مدار ما يقرب من 132عاماً هي مدة الدراسة، للوصول إلى المعلومة.

2- ندرة الدراسات العلمية المتخصصة في هذا الموضوع، بالرغم من أهميته العلمية بالنسبة للعرب والمسلمين في هذا العصر.

3- عدم توفر الدراسات العسكرية المتخصصة في هذا الجانب في مكتبات قطاع غزة، وذلك للاستفادة منها في عملية التحليل لهذه الخدع.

3- الحصار الظالم على قطاعنا الحبيب وانقطاع التيار الكهربائي بشكل يومي، مما أضاع العديد من الساعات التي كنت أستعد فيها للعمل في الرسالة بعد العودة من العمل الوظيفي اليومي.

خ- تقسيمات الدراسة

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وأربعةِ فصول، ونتائجِ الدراسة، وقد تضمنت المقدمة أهميةَ البحث، وأهدافَه، وحدودَه، والدراساتِ السابقَة، ومنهجَ البحث، والأسبابَ التي دفعت الباحث للدراسة، وتناول الفصل الأول مشروعية الخدعَ العسكريةَ في الإسلام، والخدعَ العسكريةَ للرسول ﷺ في الغزوات التي قادها، وكذلك الخدعَ العسكريةَ للصحابة﴿ في السرايا والبعوث التي قادوها.

أما الفصل الثاني فقد عالج الخدعَ العسكريةَ للمسلمين في فتح بلاد العراق، وبلاد فارس، وبلاد الشام، وبلاد مصر.

وناقش الفصل الثالث الخدعَ العسكريةَ للمسلمين في فتح بلاد المغرب العربي، وبلاد الأندلس.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناول الخدعَ العسكريةَ للمسلمين في فتح بلاد ما وراء النهر، وبلاد السند، وبلاد الروم.

وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي الختام فهذه خلاصة جهدي وضعته في هذه الرسالة، فإن نجحت في ذلك فهو توفيق من الله، وإن لم أبلغ المراد فذلك ضعف مني، وأبى الله إلا أن يكون الكمال لجلاله عزّ وجلّ.

الفصل الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الرسولﷺ

المبحث الأول: مشــروعية الخـــدع العســـكرية في الإسلام

المبحث الثاني: الخـــــدع العســكرية للرسول ﷺ في الغزوات

المبحث الثالث: الخدع العسكرية للصحابة ﷺ في البعوث والسرايـــا

المبحث الأول
مشروعية الخدع العسكرية في الإسلام

أولاً- مفهوم الخدع

1- مفهوم الخدع في اللغة

يروى هذا الحرف من ثلاثة أوجه

أ- **خَدْعة:** بفتح الخاء، وسكون الدال، قال أبو العباس: " بلغنا أنها لغة الرسول ﷺ"[1]، وهي فعلة من الخدع، يعني أن المحارب إذا خدع من يحاربه مرة واحدة وانخدع له ظفر به وهزمه[2]، وقال الخطابي: معني الخَدْعة: أنها مرة واحدة، أي إذا خدع المقاتل مرة لم يكن لها إقالة، ويقال: أي ينقضي أمرها بخدعة واحدة[3]، وقال ثعلب: الحرب خَدْعة، هذه أفصح اللغات[4].

ب- **خُدْعة:** بضم الخاء، وسكون الدال، وهي الاسم من الخداع، كما يقال: هذه لُعْبة[5].

ت- **خُدَعة:** بضم الخاء، وفتح الدال، جعله نعتاً للحرب، ومعناها أنها تخدع الرجال وتمنيهم ثم لا تفي لهم، كما يقال: لُعَبة: إذا كان كثير التلعب بالأشياء[6].

والمعنى أن الإنسان قد يوري في أمور تحتاج الحرب فيها إلى تورية، بأن يظهر للأعداء أشياء غير مطابقة للواقع من ناحية ما عند الناس من القوة، سواء كانت حسية أو معنوية، ولكنه يأتي بكلام لا يكون واضحاً جلياً في أنه مخالف للواقع وغير مطابق له[7].

---

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذي، ج5، ص262؛ العراقي: طرح التثريب، ج8، ص11.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص64؛ الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص72؛ النيسابوري: مجمع الأمثال، ج1، ص197.

(3) ابن الجوزي: غريب الحديث، ج1، ص267؛ المباركفوري: مصدر سبق ذكره، ج5، ص262؛ العراقي: مصدر سبق ذكره، ج8، ص11.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص64.

(5) المصدر نفسه: ج8، ص64.

(6) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص72.

(7) العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج27، ص349.

وقال ابن العربي: "الخديعة في الحرب تكون بالتورية[1]، وتكون بالكمين، وتكون بخلف الوعد، وذلك من المستثنى الجائز المخصوص من المحرم"[2].

وقال ابن المنير: "معنى الحرب خدعة أي الحرب الجيدة لصاحبها، الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة، ولحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر"[3].

وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه أكثر من الشجاعة ولهذا وقع الاقتصار على ما يشير إليه بهذا الحديث، وهو كقوله:" الحج عرفة"[4].

2- الخدعة في الاصطلاح

هناك تعريفات عدة لمفهوم الخدع اصطلاحاً، ومن هذه التعريفات:

أ- إظهار الإنسان ما يبطن خلافه لاجتلاب نفع، أو دفع ضرر، ولا يقتضي أن يكون بعد تدبر ونظر وفكر، وهذا ما يفرقه عن الحيلة[5].

ب- هوعلم وفن تخطيط مجموعة من الإجراءات المنسقة، وتنفيذها لإخفاء الحقائق، وإقناع العدو وحلفائه بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام القوة وإمكاناتها الحقيقية، وتقوده إلى اتخاذ القرارات الخاطئة، التي تؤدي إلى تهيئة الظروف المناسبة، لإعداد القوات المسلحة واستخدامها، لتحقيق أهداف الدولة[6].

ت- جزء من العلم العسكري، وضرورية في المعارك على المستوى التكتيكي والاستراتيجي وهي: فن التمويه، والاستتار عن الحقيقة، والقيام بأعمال تضليلية، لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية[7].

ويتبين مما سبق أن أكثر استخدامات الخدع العسكرية يكون في الحرب، وذلك للإنتصار على العدو بأقل الإمكانات العسكرية.

---

(1) التورية: الستر. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص390).

(2) العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج22، ص90.

(3) أبو حبيب: القاموس الفقهي، ج1، ص113.

(4) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج6، ص223.

(5) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج18، ص329.

(6) موسوعة مقاتل من الصحراء: www.mokatel.com

(7) هيكل: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ج2، ص1292.

ثانياً- حكم الخدع العسكرية في الإسلام

اتفق العلماء على وجوب خداع الكفار في الحرب، وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد، أو أمان، فلا يحل(1).

ويعكس هذا الأمر خلق الإسلام العظيم، الذي لا يبرر الوصول إلى الغايات النبيلة بوسائل غير نبيلة، بخلاف أخلاق غير المسلمين التي تبرر الوصول إلى الغايات النبيلة بوسائل غير نبيلة، وشعارهم الدائم " الغاية تبرر الوسيلة".

وقد صح عن النبي ﷺ قوله لنعيم بن مسعود الأشجعي حينما جاءه مسلماً في غزوة الأحزاب:" إنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة"(2)، وقد صح في الحديث أيضاً جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها في الحرب(3) فقد قال رسول ﷺ: " لا يصلح الكذب إلا في ثلاثة: الرجل يكذب في الحرب، والحرب خدعة، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما، والرجل يكذب على امرأته ليرضيها"(4)، وقال الطبري: " إنما يجوز من الكذب في الحرب المعاريض(5)، دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل"(6)، وقال الإمام النووي:" والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصار على التعريض أفضل"(7).

وذلك لأن الأصل هو الظهور على العدو بكافة الوسائل المباحة المشروعة، فإن كانت دماء المحاربين مباحة، فمن باب أولى خداع المشركين، بل الخداع من ضرورات الحرب.

ولقد قال ابن العربي: " الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص، رفقاً بالمسلمين لحاجتهم إليه، وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالاً"(8)، وجاء

---

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذي، ج5، ص262.

(2) البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص64، رقم الحديث3030؛ مسلم: صحيح مسلم، ج12، ص45، رقم الحديث1739؛ القزويني: سنن ابن ماجة، ج4، ص358، رقم الحديث2833.

(3) المباركفوري: مصدر سبق ذكره، ج5، ص262.

(4) البيهقي: شعب الإيمان، ج7، ص491، رقم الحديث11098؛ وحسنه الإمام الألباني في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج1، ص1369، رقم الحديث13681.

(5) المعاريض: السَّعة والفُسْحة ما يستغني به الرجل عن الاضطرار إلى الكذب المحض. (ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص613).

(6) المباركفوري: مصدر سبق ذكره، ج5، ص262.

(7) المناوي: فيض القدير، ج3، ص411.

(8) المباركفوري: مصدر سبق ذكره، ج5، ص262.

في شرح سنن أبي داود استحباب استخدام الخدعة في الحـرب، وذلـك لأن فيهـا نـصراً للمسلمين، ومباغتة للأعداء قبل استعدادهم[1]، كما جاء في الشرح الكبير لابن قدامة، بجـواز الخدعة في الحرب للمبارز وغيره[2].

ثالثاً- الأدلة على مشروعية الخدع العسكرية

ثبتت مشروعية الخدع في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأفعال الصحابةﷺ، بالإضـافة إلى العقل:

1- القرآن الكريم

دلت العديد من الآيات القرآنية على مشروعية الخدع، ومن هذه الآيات قوله تعالى:

أ- {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ }[3].

ووجه الدلالة: أنّ إبراهيم عليه السلام خادع قومه، حينما سئل عن الذي حطّم آلهتهم بقولهم له: " أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر يا إبراهيم؟"[4]، فـرد علـيهم بقولـه:" بـل فعلـه كبيرهم"[5]، فالإشارة بأصبعه إلى كبير الآلهة تورية[6].

ب- { فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ }[7].

ووجه الدلالة: أنّ أهل البلد قد عزموا على الخروج إلى عيد لهم يقضونه خارج البلد فعرضوا عليه الخروج معهم، فاعتذر بقوله: إني سقيم، أي ذو سقم بعد أن نظر في النجوم موهماً لهم أنه رأى ما دله على أنه سيصاب بسقم وهو مرض الطاعون، وكان القوم منجمين ينظـرون إلى النجوم فيدعون أنهم يعرفون بذلك الخير والشر الذي ينزل إلى الأرض بواسطة الكواكب

---

(1) العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج14، ص123.
(2) الشرح الكبير، ج10، ص446.
(3) سورة الأنبياء: الآية 63.
(4) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، ج17، ص40.
(5) المصدر السابق: ج17، ص40.
(6) الجزائري: أيسر التفاسير، ص871.
(7) سورة الصافات: الآية 88، 89.

فأوهمهم بذلك فتركوه خوفاً من عدوى الطاعون، أو تركوه قبولاً لعذره، وهذه خدعة من إبراهيم عليه السلام، ليتسنى له تحطيم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله[1].

ت- {فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}[2].

ووجه الدلالة: أنّ الآية تضمنت الإخبار عن تدبير يوسف عليه السلام لبقاء أخيه معه دون بقية إخوته الآخرين، وذلك أنه لما جهزهم بجهازهم، أي كال لهم الطعام وزودهم بما يحتاجون إليه، جعل بطريق خفي لم يشعروا به سقاية الملك في رحل أخيه بنيامين، ثم لما تحركت القافلة وسارت خطوات نادى منادٍ قائلاً: **{أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}**، وهي خدعة دبرها يوسف عليه السلام لبقاء أخيه عنده في مصر[3]، وما توقعه يوسف عليه السلام هو ما حدث فعلاً، فقد جاء الأخوة إليه مرة أخرى، وقد أحضروا معهم أخاهم بنيامين[4].

ث-{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}[5].

ووجه الدلالة: يخبر تعالى أن المنافقين في سلوكهم الخاص يخادعون الله تعالى بإظهارهم الإيمان به وبرسوله ﷺ وهم في الحقيقة غير مؤمنين؛ إذ الخداع أن تُري من تخادعه ما يحبه منك، وتستر عليه ما يكرهه، والله تعالى عاملهم بالمثل، حيث يعطى كل إنسان من مؤمن ومنافق نوراً يوم القيامة، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا فإذا جاءوا إلى الصراط طفئ نور كل منافق[6].

ج- {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[7].

وجه الدلالة: إنّ الله أرى الرسول ﷺ في غزوة بدر في المنام الكفار أنهم قليلون، ففرح المسلمون ووطنّوا أنفسهم للقتال، ولو أرى الرسول ﷺ الكفار كثيراً وأخبر به أصحابه لفشل

---

(1) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، ج23، ص71.

(2) سورة يوسف: الآية 70.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص229.

(4) إبراهيم: حيلة يوسف عليه السلام، مجلة الوعي الإسلامي، العدد194، ص100.

(5) سورة النساء: الآية 142.

(6) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج1، ص569.

(7) سورة الأنفال: الآية 43.

المسلمون وجبنوا عن القتال ولتنازعوا في أمر قتالهم، وهذه خدعة من الله للمسلمين في الحرب؛ لينتصروا على أعدائهم[1].

ح- {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ}[2].

وجه الدلالة: أي اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكم الله الكافرين عند التقائكم بهم قليلاً في أعينكم كأنهم سبعون رجلاً أو مائة مثلاً، ويقللكم سبحانه وتعالى في أعينهم حتى لا يهابوكم، وهذا كان عند المواجهة وقبل الالتحام في معركة بدر، أما بعد الالتحام فقد أرى الله تعالى الكافرين المؤمنين ضعفيهم في الكثرة، وبذلك انهزموا[3].

خ- {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}[4].

وجه الدلالة: إنّ الخضر قال لموسى عليه السلام: فعلت ما فعلت بالسفينة؛ لأنها كانت لقوم مساكين يعملون في البحر، فأردت أن أعيبها بالخرق الذي خرقتها، لا لأغرق أهلها، وإنما أردت أن أبقيها لهم، إذ الملك لا يأخذ إلا السفن الصالحة، وهي خدعة انطلت على الملك[5].

2- السنة النبوية

تعددت الأدلة في السنة النبوية التي تؤصل لمشروعية الخدع العسكرية في الإسلام، ولعل ما سيأتي من الحديث عن الغزوات العسكرية للرسول ﷺ، في المبحث الثاني من الفصل الأول يكفي للتأكيد على مشروعية الخدع العسكرية بناءً على أفعال الرسول ﷺ، ومع ذلك فمن هذه الأدلة:

أ- أنّ النبي ﷺ قال:" الحرب خدعة"[6]، ومعناه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس ذلك الأمر عليه، وكان ذلك في

---

(1) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، ج10، ص12.

(2) سورة الأنفال: الآية44.

(3) السيوطي: تفسير الجلالين، ج1، ص234.

(4) سورة الكهف: الآية79.

(5) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج16، ص1.

(6) سبق تخريجه في الصفحة ت.

غزوة تبوك[1]، وأنه كانﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها، فإذا كان سيغزو إلى جهة الجنوب يسأل عن جهة الشمال، ويسأل عن الطرق والمياه في جهة الشمال، فالاستعداد موجود، فهم يستعدون للحرب، ولكن لا يعرفون الجهة، فهو يريد الجنوب فيسأل عن الطريق من جهة الشمال والمياه في جهة الشمال وغيرها، فالذي يسمع هذه الأسئلة يظن أنه سيذهب إلى جهة الشمال، فهذه من التورية والخدعة والمكر، الذي يكون في الحرب[2]، ولكن في غزوة تبوك أعلن بأنه سيغزو، وأن الناس يستعدون لذلك، وذلك لأن المسافة بعيدة، والعدو كبير، والحر شديد، فأراد الرسول ﷺ أن يكون الاستعداد والتهيؤ الكامل لهذه الأسباب التي هي: بعد المسافة، كثرة العدو، قلة الظهر، وشدة الحر[3].

ب- إنّ الرسول ﷺ وأصحابه ﵃ لما قدموا مكة في عمرة القضاء في السنة (7هـ= 628م) كان الكفار قد جلسوا أمام الكعبة من جهة الحجر، و قالوا: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب، فأمر الرسول ﷺ أصحابه ﵃ إذا كانوا بين الركنين أن يروحوا على أنفسهم ويمشون، وفي غير هذا الموضع حيث لا تكون الكعبة حاجزة بينهم وبين الكفار يرملون[4]، فيظهرون الجلد والصبر، ويظهرون أنهم بخلاف الذي قاله الكفار من كونهم قد وهنتهم حمى يثرب، وهذا الذي عمله الرسول ﷺ من أمرهم بأن يسرعوا، فيه خدعة، وفيه إغاظة للعدو[5].

ت– قال النبي ﷺ: "من لكعب بن الأشرف[6]، فإنه آذى الله ورسوله؟[7] قال محمد بن مسلمة[8]: أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟، قال: نعم! فأتاه، فقال: إنّ هذا – يعني النبيﷺ – قد

---

(1) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص303؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص14).

(2) العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج14، ص147.

(3) المصدر السابق: ج14، ص147.

(4) الرمل: الرمَل في الطَّواف الجَمْز والإِسْراع. (للمزيد ينظر ابن قتيبة: النهاية في غريب الحديث، ج1، ص221).

(5) العظيم آبادي: مصدر سبق ذكره، ج23، ص377.

(6) كعب بن الأشرف: من أشراف اليهود. (للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص27).

(7) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص142، رقم الحديث2510.

(8) محمد بن مسلمة: أسلم بالمدينة على يدي مصعب بن عمير، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ غير تبوك، فإنّ رسول الله ﷺ، استخلفه على المدينة. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص371 ؛ ابن حجر العسقلاني الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص33).

عنّانّا[1]، وسألنا الصدقة، قال؛ وأيضاً والله لتُملنه، قال: فإنّا قد اتبعناه فنكره أن ندعــه حتــى ننظر إلى ما يصير أمره، قال: فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله[2].

ث- قال رسول الله ﷺ: " ألا إنه لا يصلح الكذب إلا في إحدى ثلاث: رجل كذب على امرأته ليستصلح خلقها، ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين، ورجل كذب في خديعة حرب، إن الحرب خدعة"[3].

ج- قال رسول الله ﷺ: " فإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنما الحرب خدعة"[4].

ح- قال رسول الله ﷺ: " استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"[5].

خ-سرية التنظيم، واتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان اتخاذ دار الأرقم فيه من المبالغــة والسرية والتعمية وتمويه الأمر على قريش، لصغر سنه، وعدم اشتهار إســلامه وغيــر ذلك[6].

وسنأتي بالتفصيل على أفعال الرسولﷺ الدالة على مشروعية الخــدع العــسكرية فــي الإسلام في المبحث الثاني من الفصل الأول، والذي جاء بعنوان الخدع العسكرية للرســولﷺ في الغزوات.

3- أفعال الصحابة

تعددت أفعال الصحابة﷡ التي تؤكد على مشروعية الخدع العسكرية في الإسلام، وهي لاتقل عن أفعال الرسولﷺ، ومن هذه الأدلة ما روي أن عمراً بــن عبــد ود أحــد رؤوس مشركي قريش، لما بارز علياً ﷺ يوم الخندق قال علي: "ما برزت لأقاتــل اثنــين"، فالتفــت عمرو، فوثب عليه عليٌ فضربه، فقال عمرو: خدعتني: فقال علي:"الحرب خدعة"[7].

---

(1) عنانا: اعترضنا. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص292).

(2) البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص64، رقم الحديث3031.

(3) الطحاوي: شرح مشكل الآثار، ج6، ص408، رقم الحديث2448، حسنه الإمام الألباني في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج1، ص1369، رقم الحديث13681.

(4) أبو داود: سنن أبي داود، ج4، ص388، رقم الحديث4769، قال الألباني صحيح، ينظر صحيح وضعيف أبو داود، ج1، ص267.

(5) البيهقي: السنن الكبرى، ج5، ص277، رقم الحديث6655، قال الألباني صحيح، ينظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج1، ص95، رقم الحديث945.

(6) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج3، ص135.

(7) ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج10، ص466.

وسنأتي على أفعال الصحابة ﷺ الدالة على مشروعية الخدع العسكرية في الإسلام في المبحث الثالث من الفصل الأول، والذي جاء بعنوان الخدع العسكرية للصحابة ﷺ في البعوث والسرايا.

4- الأدلة العقلية

تستمد الأدلة العقلية الدالة على مشروعية الخدع العسكرية في الإسلام، من كون الحرب في الإسلام تهدف إلى مجاهدة الكفار والمنافقين الذين وقفوا في وجه الدعوة، فحالة الحرب فرضت للضرورة، وذلك لرفع الظلم الواقع على المسلمين من معسكر الكفر والنفاق، والهدف من كل ذلك هو إقامة المجتمع الإسلامي الكريم، الذي ينعم فيه الجميع بالخير، ومن هذه الأدلة:

أ- مصلحة المجتمع المسلم تتوقف على استخدام الخدع، فالأولى استخدامها، لأن الحرب يباح فيها ما لا يباح في غيرها[1].

ب- قديماً قيل:"رُبَّ حيلة أنفع من قبيلة"[2].

ت- إنّ الكفار لو ظهروا علينا فإنهم لن يبقوا ولن يذروا، ولن يراعوا فينا قرابة ولا عهداً، كما قال تعالى:{كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ }[3].

ث- ليس العاقل الذي يحتال للأمور إذا وقع فيها؛ بل العاقل الذي يحتال للأمور أن لا يقع فيها[4].

ج- قول العرب:" إذا لم تغلب فاخلب" ومعناه إذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالرفق، وأصل الخلابة الخداع[5].

---

(1) هيكل: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ج2، ص1293.

(2) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، ص169.

(3) سورة التوبة: الآية 8.

(4) العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، ص66.

(5) المصدر السابق: ج1، ص66.

رابعا- الألفاظ ذات الصلة:

1- الحيلة:

أ- مفهوم الحيلة في اللغة

الحذق في تدبير الأمور، وهو تقليب الفكر حتى يهتدي إلي المقصود، وأصل الياء واو[1]، وهو ما يتوصل به إلى حالة ما في خفية، وأكثر استعمالها فيما تعاطيه خبث، وقد تستعمل فيما فيه حكمة[2]، وأصلها من الحَوْلَ، وهو التحول من حالٍ إلى حالٍ بنوع تدبير ولطف يحيل به الشيء عن ظاهره، أو من الحَوْل بمعنى القوة، وتجمع الحيلة على الحِيَل[3].

ب- مفهوم الحيلة في الاصطلاح

يستعمل الفقهاء الحيلة بمعنىً أخص من معناها في اللغة، فهي نوع مخصوص من العمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب استعمالها عرفاً في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل به إلي حصول الغرض، بحيث لا يتفطن لها إلا بنوع من الذكاء[4]، وذلك على سبيل المثال كالنطق بكلمة الكفر إكراهاً، كما في قوله تعالى:" إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ"[5]، ويميل الشيخ عبد اللطيف حمزة إلى القول بأن اتخاذ الحيلة جائز إذا لم يكن فيها إبطال حق أوهدم أمر من أمور الشرع الحنيف[6]، ويؤكد على ذلك بشكل آخر الدكتور بوبشيش بقوله: "إن الفقهاء الذين تكلموا عن الحيل ضمن هذا الإطار العام كان هدفهم الكلام عن الحيل عموماً، وإن منها الجائز وهو ما كانت طرقه ومقاصده مشروعة، ومنها الممنوع وهو ما كانت طرقه ومقاصده محرمة دون التعرض بالتفصيل إلى حدود كل نوع حتى يؤمن اللبس والخلط بين المشروع وغير المشروع، لذلك احتاط بعض الفقهاء فحكم على كل حيلة

(1) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، ص157.

(2) الرازي: مختار الصحاح، ح1، ص68.

(3) المصدر السابق: ج1، ص68.

(4) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين، ج3، ص240.

(5) سورة النحل: الآية106.

(6) موقف الإسلام من الحيل، منبر الإسلام، العدد 4، ص103.

بالتحريم، واجتهد البعض الآخر فحدد معناها وبين حكمها بناءً على ما وضعه من ضوابط وشروط كما فعل معظم من كتب في الحيل"[1].

2- التورية

أ- مفهوم التورية في اللغة

الستر، يقال وَرّيتُ الخبر أوريه تورية، إذا سترته، وأظهرت غيره، قال أبو عبيد: ولا أراه مأخوذاً إلا من وراء الإنسان، لأنه إذا قال وريته فكأنه إنما جعله وراءه حيث لا يظهر[2].

ب- مفهوم التورية في الاصطلاح

أن تطلق لفظاً ظاهراً في معنى، وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ، لكنه خلاف ظاهره، وأصل التورية الستر[3]، والتورية ليست من الكذب، وإنما هي صدق، ولهذا كان الرسولﷺ إذا أراد أن يذهب إلى جهة الجنوب يسأل عن أماكن في جهة الشمال، فأي كذب في هذا؟، ليس هناك كذب، وإنما فيه قطع الطريق أمام العدو بحيث تصل إليه الأخبار معكوسة، لأنه قد يكون له جواسيس، فإذا علم بأن الأسئلة إلي جهة أخرى يأمن، ولا يستعد بسبب هذه التورية، وكونه يسأل عن جهة الشمال، وهو يريد الجنوب ليس كذباً، لأنه يسأل عن الموارد والمسالك والطرق في الجهة المقابلة، وهذه تورية وهي صدق[4]، وتوجد أمثلة كثيرة للتورية جاءت في الأحاديث، ومن ذلك قصة غزوة بدر لما لقي النبيﷺ، وأصحابهﷺ رجلاً فقال: " من أين أنتم"؟ فقالﷺ: " نحن من ماء!"، فالكلام صحيح أنه من ماء، وأما الإكثار منها فانه لا يصلح[5].

فالإتيان بها لا يكون إلا عند الحاجة، أما إذا أتى الإنسان بها من غير حاجة فلا يصلح أما إذا كان من حاجة كالإكراه، أو ككون الإنسان يريد أن يتخلص من إنسان ابتلي به، فلا بأس أن يأتي بشيء يوري فيه[6].

---

(1) الحيل الفقهية، ص22، 23.
(2) ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص390.
(3) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، ص403.
(4) عبد المحسن عباد: شرح سنن أبي داود، ج14، ص247.
(5) المصدر السابق: ج14، ص247.
(6) العيني: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج14، ص151.

3- المكر

أ- المكر في اللغة

صرف الغير عما يقصده بحيلة، ومنه المحمود والمذموم، وهو أخص من الحيلة[1].

ب- المكر في الاصطلاح

المكر هو إعمال الخديعة والاحتيال في هدم بناء ظاهر كالدنيا[2]، والكيد هو إعمال الخدعة والاحتيال في هدم بناء باطن كالتدين والتخلق وغير ذلك، فكأن المكر خديعة حس، والكيد خديعة معنى[3].

وفي تفسيره لقوله تعالى: "{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[4]، قال الإمام الطحاوي: ربما يضيق عقل بعض الناس عن فهم هذه الآية على ظاهرها، وبما أننا لسنا بحاجة للتأويل فكيف يكون الله خير الماكرين؟!، يقول المسألة سهلة، وذلك لأننا نستطيع أن نعرف أن المكر- من حيث هو مكر- لا يوصف دائماً وأبداً بأنه شر، كما أنه لا يوصف دائماً وأبداً بأنه خير، فرب كافر يمكر بمسلم، لكن هذا المسلم كيِّس فطن ليس مغفلاً ولا غبياً، فهو متنبه لمكر خصمه الكافر، فيعامله على نقيض مكره هو، بحيث تكون النتيجة إن هذا المسلم بمكره الحسن قضى على الكافر بمكره السيئ، فهل يقال: إن هذا المسلم حينما مكر بالكافر تعاطى أمراً غير مشروع؟ لا أحد يقول هذا[5].

ويضيف أنه من السهل أن تفهموا هذه الحقيقة في قوله عليه الصلاة والسلام:" الحرب خدعة"، فالذي يقال في الخدعة يقال في المكر تماماً، فمخادعة المسلم لأخيه المسلم حرام، لكن مخادعة المسلم للكافر عدوّ اللهِ وعدوّ رسولهِ هذا ليس حراماً، بل هو واجب، كذلك مكر المسلم بالكافر الذي يريد المكر به- بحيث يبطل هذا المسلم مكر الكافر- هذا مكر حسن[6].

---

(1) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص263.

(2) المصدر السابق: ج2، ص97.

(3) المصدر نفسه: ج2، ص97.

(4) سورة آل عمران: الآية 54.

(5) شرح مشكل الآثار، ج6، ص408.

(6) المصدر السابق: ج6، ص408.

4- الذريعة

أ- الذريعة في اللغة

الوسيلة إلى الشيء، وسد الذريعة قطع الأسباب المباحة التي يتوصل بها إلى المحرم[1].

ب- الذريعة في الاصطلاح

هي المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحظور[2]، ومن شواهد ذلك إحجامه ﷺ عن معاقبة المنافقين مع أن عداوتهم للدعوة تفوق عداوة الكفار لها لقوله تعالى فيهم:{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[3]، وذلك حتى لا يكون فعله ذلك ذريعة لتشويه سمعة الدعوة في الآفاق، وتضليل من لا يدركون حقيقة أمر المنافقين لتنفيرهم من الإسلام[4]، وهناك تشابه قوي بين الذريعة والحيلة، ويمكن ملاحظة الفرق بينهما في الآتي:

أن الأول لا يلزم أن تكون مقصودة، والحيلة لا بد من قصدها للتخلص من المحرم، ثم إن الحيلة في العقود خاصة، بينما الذريعة تعم العقود وغيرها، وتشمل الأفعال والتروك[5].

---

(1) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص226؛ ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص96.

(2) الباجي: إحكام الفصول في أحكام الأصول، ص689-690.

(3) سورة المنافقون: الآية 4.

(4) البشير: دليل الذريعة الأصولي في الحيل والمخرج، مجلة التجديد، العدد 12، ص117.

(5) سعد الدين: منع الحيل والأخذ بالأحوط عند المالكية، مجلة الشريعة والقانون، العدد 20، ص298.

5- التدبير

أ- التدبير في اللغة

النظر إلى ما تؤول إليه الأمور[1].

ب- التدبير في الاصطلاح

تقويم الأمر على ما يكون فيه صلاح عاقبته، وأصله من الــدبر، وأدبـــار الأمــور أي عواقبها، فيشترك التدبير والحيلة من حيث إن في كل شيء إحالة شيء من جهة إلـــى جهـــة أخرى[2].

6- الكيــد

أ- الكيد في اللغة

التدبـــير بباطل أَو حَقّ[3].

ب- الكيد في الاصطلاح

ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً، أو ممدوحاً، وفي الأول أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر، وبعض ذلك ممدوح[4][5]، كما في قوله تعالى:{كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ}"[6].

---

(1) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص83.

(2) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج18، ص329.

(3) ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص284.

(4) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ج1، ص614.

(5) حمزة: موقف الإسلام من الحيل، مجلة منبر الإسلام، العدد4، ص25.

(6) سورة يوسف: الآية76.

خامسا- مظاهر الخدع العسكرية

تتعدد مظاهر الخدع العسكرية في الحرب، ويمكن القول بأن الخدع العسكرية لهـا أول وليس لها آخر، ولقد وقف ابن الأزرق في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك على كثير مـن هذه المظاهر، والتي نذكر بعضاً منها بإختصار شديد، ومن هذه المظاهر التي ذكرها:

المكيدة الأولى: بث الجواسيس الثقاة في عسكر العدو وبلاده، لتعرف أخبارهم مع الساعات، وما عندهم من العدة والعدد، ومالهم من المكائد والحيل[1].

المكيدة الثانية: أن يعمي الخصم الأخبار عن العدو، ويسد دونه أبواب العلم بها حتى لا يطلع على ما يحمله على اغتنام فرصة، أو يحاول به إبطال مكيدة عليه، وذلك بإذكاء العيون على الجواسيس المترددة إليه في مراصد العثور عليهم، وأماكن الشعور بهـم[2]، وانظـر دعـاء النبيﷺ حينما توجه إلى فتح مكة فقال:" اللهم أعم عن قريش الأخبار"[3].

المكيدة الثالثة: موالاة طائفة من العدو ومصالحتهم متى قدر الخصم علـى ذلـك، وأمكنـت الخديعة به، فقد قيل:" ليكن السلطان لفريق من أعدائه مصاحباً، ومداهناً، ليعرف به أخبـار بغيتهم، ويهدم به اتفاق جميعهم، ويتسبب به إلى خلافهم، وتشتيت رأيهم، وقيل: الصلح أحـد الحروب التي يدفع بها الأعداء عن المضرة، فإذا كثر أعداؤك فـصالح بعـضهم، وأطمـع بعضهم بصلحك واستقبل بعضهم بحربك[4].

(1) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، ص22.

(2) المصدر السابق: ج1، ص22.

(3) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج17، ص265.

(4) ابن الأزرق: مصدر سبق ذكره، ج1، ص22.

المبحث الثاني

الخدع العسكرية للرسولﷺ في الغزوات

قبل الحديث عن الخدع العسكرية للرسولﷺ، في غزواته التي قادها، لابد من التعــرف على عدد هذه الغزوات، فلقد بينت مصادر التاريخ الإسلامي أن الرسول ﷺ قد غزا خمــساً وعشرين غزوة بنفسه[1]، وقيل سبعاً وعشرين غزوة[2]، وهي :

غزوة الأبواء[3]، وغزوة بواط[4]، وغزوة العشيرة[5]، وغزوة بدر الأولي[6]، وغــزوة بني سليم[7]، وغزوة السويق، وغزوة ذي أمر[8]، وغزوة بحران[9]، وغزوة بني قينقــاع[10]، وغزوة أحد، وغزوة حمراء الأسد، وغزوة بني النضير[11]،

---

(1) القرشي: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج1، ص20؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1، ص82.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص5؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص207؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص217.

(3) الأبواء: قرية جامعة على خمسة أميال من مسجد النبيﷺ. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلــدان، ج1، ص79؛ البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص102).

(4) بواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى. (للمزيد ينظر الحموي: المــصدر الــسابق، ج1، ص503؛ البكري: المصدر السابق، ج1، ص112).

(5) العشيرة: ناحية ينبع بين مكة والمدينة. (للمزيد ينظر الحموي: المصدر نفسه، ج4، ص127).

(6) بدر الأولى: غزاها رسول الله ﷺ في طلب كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة فــانتهى إلى وادٍ يقال له سفوان من ناحية بدر فلم يدركه وذلك سنة(2هــ=623م). (للمزيد ينظر ابن كثير: مــصدر سبق ذكره، ج5، ص217).

(7) بنو سليم: ناحية الفرع وبين الفرع والمدينة (56كم). (للمزيــد ينظــر ابــن الجــوزي: المنــتظم، ج3، ص159؛ محمد جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص76).

(8) ذو أمر: موضع بنجد. (للمزيد ينظر البكري: مصدر سبق ذكره، ج1، ص192).

(9) بحران: موضع بالحجاز. (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج1، ص1228).

(10) بنوقينقاع: غزا رسول الله ﷺ بني قينقاع سنة(2هــ=623م)، وكانوا قوماً من يهود حلفاء لعبد الله بــن أبي بن سلول فوادعوا النبي ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد. (للمزيد ينظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص432).

(11) بنو النضير: غزا رسول الله ﷺ بني النضير سنة(3هــ=624م)، بعدما نهض إليهم مستعيناً بهم في دية قتيلين، فأجابوه وقعد عليه السلام ونفر من أصحابه إلى جدار من جدرانهم فأمروا رجلاً منهم الصعود إلــى ظهر البيت ليلقي على النبيﷺ صخرة. (للمزيد ينظر ابن خلدون: المصدر نفسه، ج2، ص439).

وغزوة ذات الرقاع(1)، وغزوة دومة الجندل، وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة(2)، وغزوة بني لحيان، وغزوة ذي قرد(3)، وغزوة بني المصطلق(4) وغزوة الحديبية، وغـزوة خيبـر، وغزوة مؤتة(5)، وغزوة فتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة الطائف(6)، وغزوة تبوك، ولقد قاتل الرسولﷺ في أهم هذه الغزوات، وهي: بدر، أحد، الخندق، بنو قريظة، بنو المصطلق، خيبر، والطائف، و لم يكن في غير ما قاتل فيه من الغزوات قتال(7).

ويتبين من عدد هذه الغزوات التي قادها الرسولﷺ ما يلي:

1- أن أربعاً وعشرين غزوة غزاها الرسول ﷺ قبل فتح مكة، في حين اقتصرت غزواته بعد فتح مكة على ثلاث غزوات فقط، وهذا يعكس قوة معسكر الشرك الـذي وقـف فـي وجـه الرسولﷺ، قبل فتح مكة، وانهيار هذا المعسكر بعد الفتح مباشرة.

2- حجم المعاناة التي لاقاها الرسولﷺ، وأصحابه﵃ في مواجهة قريش، اليهود، والمنافقين.

---

(1) ذات الرقاع: جبل فيه سواد وبياض وحمرة فكأنها رقاع في الجبل. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص56).

(2) بنو قريظة: كانت غزوة بني قريظة في سنة(5هـ=626م). (للمزيد ينظر ابن سعد: الطبقات الكبـرى، ج8، ص218).

(3) ذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص321).

(4) بنو المصطلق: حي من خزاعة. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج4، ص1220).

(5) غزوة مؤتة: بعث الرسولﷺ زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الـشام سنة(8هـ=629م). (للمزيد ينظر المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص230).

(6) الطائف: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين سار إلى الطائف فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ثم انـصرف عنها. (ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص89).

(7) ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص57؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1، ص82؛ ابن كثيـر: البداية والنهاية، ج3، ص242؛ السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الـشريفة، ج1، ص16؛ المكـي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص26.

1- الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة بدر[1]

كانت غزوة بدر، والتي كان سببها قتل عمرو بن الحضرمي[2]، وإقبال أبي سفيان بن حرب[3] في عير لقريش عظيمة من الشام، وفيها أموال كثيرة لقريش، ومعها ثلاثون رجلاً أو أربعون، وقيل قريباً من سبعين رجلاً من قريش[4]، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، ندب نفراً من المسلمين إليهم، وقال ﷺ: "هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها"[5]، إنها فرصة ذهبية للمسلمين ليصيبوا أهل مكة بضربة اقتصادية قاصمة، تتألم لها قريش على مر العصور[6]، ويستدل من هذا الأمر جواز النكاية بالأعداء المحاربين بقتل رجالهم، وأخذ أموالهم، وحصارهم في الطرق التي يسلكونها إضعافاً لروحهم المعنوية فانتدب الناس فخف بعضهم، وثقل بعضهم، وذلك لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً[7].

وكان أبو سفيان قد سمع أن النبيﷺ يريده فخاف، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة يستنفر قريشاً، ويخبرهم الخبر[8]، وكانت هذه الغزوة أولى الغزوات التي دبر فيها الرسول ﷺ الخدع العسكرية ضد قريش، على الرغم من أنها ثالث غزواته ﷺ، وتتعدد

---

(1) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر الأحمر ليلة واحدة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص357).

(2) عمرو بن الحضرمي: أول قتيل من المشركين وماله أول مال خمس في المسلمين، وقد رماه واقد بن عبد الله التميمي بسهم في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وبسببه كانت وقعة بدر. (ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص541).

(3) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف، كان من المؤلفة قلوبهم، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد، ويوم الأحزاب. (ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج3، ص412 -413؛ ابن الأثير: الآحاد والمثاني، ج1، ص363؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص32).

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص14.

(5) البخاري: صحيح البخاري، ج6، ص3، رقم الحديث4418.

(6) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص224.

(7) سلامة: دراسات في السيرة، ص172.

(8) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص23؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص98؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص14؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص257 المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص42.

الخدع العسكرية للرسول ﷺ في معركة بدر، والتي كانت في (17 رمضان2هـ = 13 مارس623م)[1]، وأول الخدع العسكرية في هذه الغزوة أن الرسول ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر[2]، إذ من شأن إبقاء الأجراس في أعناق الإبل أن يدل المشركين على خط سير جيش الرسولﷺ، فيعمدوا إلى نصب الكمائن للمسلمين في الطرقات مما يعرض المسلمين للخطر، كما أن الرسول ﷺ في أثناء سيره لمقابلة جيش المشركين لقي شيخاً اسمه سفيان الضمري، فسأله عن قريش، وعن محمدﷺ، وأصحابه، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. فقال: أو ذاك بذاك!. قال نعم!، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي نزلت به قريشاً، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء!، ثم انصرف عنه، قال: يقول الشيخ ما من ماء!، أمن ماء العراق؟[3]، ويعكس هذا العمل من الرسولﷺ أهمية جمع المعلومات الأمنية عن العدو حتى آخر لحظة، وذلك لإفقاد العدو عنصر المفاجأة والمباغتة، فلقد كانت دوريات الاستطلاع أمام رتل المسلمين تحول دون مباغتتهم، وهي تزودهم بالمعلومات عن قريش[4].

وتتضح مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية للضمري فيما يلي:

1- سؤال الرسول ﷺ الضمري عن قريش واستعداداتها العسكرية، دون أن يعرّف عن نفسه خدعة، هدفت إلى ترك الضمري يتحدث بصدق وأمانة عن استعدادات قريش، في حين لو عرّف الرسول ﷺ بنفسه لما أجاب الضمري الرسول ﷺ عن أسئلته جميعاً بهذا الوضوح.

2- إجابة الرسول ﷺ للضمري عن سؤاله بأنه من ماء خدعة أخرى ، قصد منها تضليل الأخير عن معرفة شخص الرسول ﷺ، كي لا يتسرب هذا الأمر إلى قريش فيفقد الرسول ﷺ عنصر المباغتة في الحرب، وتحتاط قريش أكثر للحرب مما ينعكس سلباً على المسلمين عسكرياً.

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص11-12؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص12.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص261 ؛

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص27؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص101.

(4) خطاب: الرسول القائد، ص122.

ولقد عمد الرسول ﷺ إلى تدبير خدعة عسكرية أخرى حينما خرج لملاقاة المـــشركين إلى الماء، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به، فقال الحباب بن المنذر بن الجمـــوح[1]: "يـــا رسول الله! أرأيت هذا المنزل أأنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الـــرأي والحرب والمكيدة؟"[2] قال: بل الرأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسولَ الله فإن هـــذا لـــيس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماءً من القوم فننزله ثم نغور[3] ما وراءه من القلب[4] ثم نبني عليه حوضاً، فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رســـول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي[5]، فنزل جبريل فقال: الرأي ما أشار به الحباب، فنهض الرسولﷺ ومـــن معه على عجل حتى أتى أدنى ماء من القوم، فنزل عليه، وأمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القليب الذي كان عليه، ثم قذفوا فيه الآنية[6]، حيث اضطر المـــشركون ورود حـــوض رسول الله ﷺ للشرب، فما شرب منهم رجل إلا قتل يومئذ، إلا ما كان من حكيم بن حـــزام، فانه لم يقتل، نجا على فرس يقال له الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه[7]، وهذا الـــصنيع يشير إلى أهمية الاستفادة من الثروات الطبيعية في المعركة، وضرورة تأمين المواد التموينية، وقطع كل خطوط الإمداد والتموين للعدو، وقد تمكن المسلمون بذلك من الاستيلاء على أهـــم شريان للحياة في الحرب والسلم على حدٍ سواء وهو الماء، وحرموا منه الأعداء[8].

---

(1) الحباب بن منذر بن الجموح: أشار على رسول الله ﷺ يوم بدر بالمكان الذي نزل فيه، فقال جبريل عليه السلام: الرأي ما أشار به الحباب، وشهد بدراً وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وبايعه على الموت وشـــهد المشاهد كلها معه. (ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص10).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص19؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص267؛ المكـــي: ســـمط النجوم العوالي، ح2، ص53.

(3) غور: غور كل شئ قعره. (للمزيد ينظر الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص202).

(4) القلب: البئر قبل أن تبنى بالحجارة. (المصدر السابق: ج1، ص228).

(5) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص19؛ ابن كثير: مصدر ســـبق ذكـــره، ج3، ص267؛ المكـــي: مصدر سبق ذكره، ح2، ص53.

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص29؛ ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص103؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص268.

(7) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص30؛ ابن الجوزي: المصدر نفسه، ج2، ص359؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص21.

(8) سلامة: دراسات في السيرة، ص166.

وتظهر مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في تبني رأي الحباب فيما يلي:

1- اقتراح الحباب على الرسولﷺ الانتقال إلى أدنى ماء من قريش خدعة، قصد منها حرمان قريش من الوصول إلى الماء الذي تحتاجه، ولو لم ينتقل الرسولﷺ للمكان الذي اقترحه الحباب بن المنذر، لظلت قريش تنعم بالماء، مما صّعب على المسلمين هزيمتهم.

2- أمر الرسول ﷺ بردم الآبار القريبة من العدو، وبناء حوض على الآبار القريبة من المسلمين بسرعة خدعة أخرى، هدفت إلى مفاجأة قريش، إذ لو تأخر المسلمون قليلاً في تنفيذ هذا العمل لفقد قيمته العسكرية، ولعمدت قريش إلى عمل بدائل لتوفير المياه لجيشها.

ولقد أمر رسول الله ﷺ أصحابهﷺ ألا يحملوا على جيش المشركين، وذلك حتى يأمرهم، وقال ﷺ: " إن اكتنفكم القوم، فانضحوهم عنكم بالنبل"[1]، وفي صحيح البخاري عن أبي أسيد قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: " إذا أكثبوكم[2]- يعني المشركين- فارموهم واستبقوا نبلكم"[3].

وتتضح مهارة الرسول ﷺ العسكرية في هذا الأمر الذي أصدره بتغيير النمط التقليدي للحرب، والذي يبدأ عادة بالمبارزة بالسيف، فلقد فاجأ الرمي بالنبل في بداية المعركة المشركين، وألحق بهم أفدح الخسائر، مما صعبّ عليهم مواصلة القتال ضد المسلمين، وفي ذلك يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: " إن تطبيق الرسول لأسلوب الصفوف في معركة بدر عامل مهم من عوامل الانتصار على المشركين، والتاريخ يحدثنا بأن سرّ انتصار القادة العظام حديثاً هو أنهم طبقوا أسلوباً جديداً في القتال غير معروف أو قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة[4]، واستفاد الرسول ﷺ من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات، و تلك هي الأساليب الصحيحة ... في حرب الصحراء"[5].

ولم تقتصر الخدع العسكرية في هذه المدة، على المسلمين فحسب، بل سجلت بعض مصادر التاريخ الإسلامي، جانباً من خدع المشركين العسكرية للمسلمين، مثلما حصل في

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، ج5، ص78، رقم الحديث3984؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج3، ص78، رقم الحديث939.

(2) أكثبوكم: كثب وأكثب إذا قارب، واكثب القرب. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص151).

(3) البخاري: صحيح البخاري، ج5، ص78، رقم الحديث3984.

(4) الرسول القائد، ص117.

(5) خليل: دراسة في السيرة، 153.

غزوة السويق[1]، وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حينما رجع بالعير من بدر إلى مكة نذر ألا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش؛ ليبر بيمينه، حتى أتوا العريض[2]، فقام بعمل هو أشبه بأعمال القرصنة[3] فحرّقوا نخلاً، وقتلوا رجلاً من الأنصار، فرأى أن قد انحلت يمينه، فانصرف بقومه راجعين، وخرج الرسول ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان، وأصحابه يلقون خلفهم جرب السويق، وهي عامة أزوادهم يتخففون للهرب، فيأخذها المسلمون، فلم يلحقهم عليه الصلاة والسلام[4].

ويمكن القول إن إلقاء المشركين لجرب السويق في أثناء انسحابهم أمام المسلمين، هدفت إلى إشغال المسلمين عن مطاردتهم وأسرهم.

2- الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة أحد[5]

هزمت قريش يوم بدر هزيمة منكرة، حيث قتل خيرة رجالها، فحرصت كل الحرص على الأخذ بثأرها، وكانت أخبار تحريض قريش على الثأر من المسلمين، واستعدادها لمهاجمة الرسولﷺ في كل وقت تتواتر، فتزداد حمية الصحابة رضي الله عنهم، فيتوعدونها، ويستعدون لها، وكانت غزوة أحد سنة(3هـ =625م)[6]، وكان الذي أهاجها، أنه لما أصيب من المشركين من أصيب ببدر مشى عبد الله بن أبي ربيعة[7]، وعكرمة بن أبي جهل[8]، وصفوان

(1) السويق: نوع من الطعام. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص135).

(2) العريض: موضع بالقرب من المدينة. (البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص938).

(3) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص257.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص30؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص59؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص36؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص344؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج3، ص19.

(5) أحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص109).

(6) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص198؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص161؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص5؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص9؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص15.

(7) عبد الله بن أبي ربيعة: كان اسم عبد الله في الجاهلية بحيراً، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وولاه عمر بن الخطاب اليمن. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص79).

(8) عكرمة بن أبي جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة ، فلما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن، وخاف أن يقتله رسول الله ﷺ، فجاءت زوجته إلى رسول الله ﷺ، وكانت امرأته أم حليم بنت=

بن أمية[1]، وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم بها، فكلموا أبا سفيان، ومن كان له في تلك العير تجارة، وسألوهم أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله ﷺ ليدركوا ثأرهم منهم ففعلوا[2]، فقال أبو سفيان بن حرب: وأنا أول من أسْتَعِدّ إلى ذلك، فباعوها فصارت ذهباً فكانت أكثر من ألف بعيرٍ، والمال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا بعد ذلك أرباحهم، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار دينار[3]، وفيهم نزل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }[4].

فلقد أرادت قريش أن تشفي غليلها وتثأر لقتلاها في بدر، حيث كانت ترى أن في هزيمتها ببدر خطراً كبيراً يقلل من هيبتها في أنظار قبائل العرب، فقررت القبيلة أن تعيد هيبتها، وتعيد طريق التجارة حراً آمناً إلى بلاد الشام[5].

وفي معركة أحد اقترح الرسول ﷺ مخادعة قريش، وذلك بعدم الخروج لملاقاتهم خارج المدينة، لرؤيا رآها في منامه أن في سيفه ثلمة[6]، وأن بعيراً يذبح له، وأنه أدخل يده في درع حصينة، وتأولها ﷺ، أن نفراً من أصحابه يقتلون، وأن رجلاً من أهل بيته يصاب وأن الدرع المدينة[7]، وتتلخص خدعة الرسول ﷺ بالمكوث في المدينة، وجعل النساء والأطفال في الآطام[8]، فإن دخل القوم في الأزقة قاتلهم، ورموا من فوق البيوت، وكانوا قد سكوا[1] أزقة المدينة بالبنيان حتى صارت كالحصن[2].

الحارث بن هشام امرأة لها عقل، وكانت قد اتبعت رسول الله ﷺ فقالت له: إن ابن عمي عكرمة قد هرب منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فأمنه، قال: قد أمنته بأمان الله، فمن لقيه فلا يعرض له فخرجت في طلبه فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر، فجعلت تلوح إليه وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك، وقد استأمنت لك فأمنك فقال: أنت فعلت ذلك؟ قالت: نعم! أنا كلمته فأمنك فرجع معها. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص538؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص323).

(1) صفوان بن أمية: أسلم بعد الفتح، وروى أحاديث وحسن إسلامه وشهد اليرموك. (للمزيد ينظر الذهبي: المصدر السابق، ج2، ص563؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج3، ص432).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص58؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص44.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص37.

(4) سورة الأنفال: الآية36.

(5) الرشيد: القيادة العسكرية، ص145.

(6) ثلمة: أي مَوْضع الكَسْر. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص220).

(7) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص47 ؛ الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص59.

(8) الآطام: الأطم الحصن المبني بالحجارة والجمع الآطام. (الخطابي: غريب الحديث، ج1، ص105).

ويوضح رأي الرسولﷺ أهمية تأمين المدنيين وقت الحرب في أماكن حصينة؛ ليصعب على العدو الوصول إليهم وأخذهم رهائن.

وتظهر مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في هذا الأمر فيما يلي:

1- البقاء في المدينة وجعل الذراري في الحصون فطنة، هدفت إلى استدراج العدو إلى حرب الشوارع داخل المدينة، ليتكبد أفدح الخسائر البشرية والمادية.
2- تضييق أزقة المدينة الداخلية بالبنيان خدعة، هدفت إلى تصعيب تحرك المشركين في أزقة المدينة في حالة اقتحامها، مما يجعلهم هدفاً سهلاً للمسلمين المتحصنين فوق أسطح المنازل.
3- تضييق الطرق المؤدية إلى المدينة خدعة أخرى، هدفت إلى منع العدو من وصول جيشه وعتاده بسهوله ويسر إلى داخل المدينة، مما يسهل على المسلمين مواجهته بأقل الإمكانات العسكرية، وتكبيده خسائر بشرية فادحة.

ولكن الرسول ﷺ، وتحت إلحاح بعض الصحابةﷺ، قبل بالخروج على مضض خارج المدينة، لملاقاة جيش قريش، فقال الذين لم يشهدوا بدراً: كنا نتمنى هذا اليوم، وندعو الله فقد ساقه الله إلينا، وقرب المسير، وقال رجل من الأنصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعبْنَا؟، وقال رجالٌ قولاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومضوا عليه منهم: حمزة بن عبد المطلب)[3] قال: " والذي أنزل معه الكتاب لنجادلنهم"[4]، وأبى كثير من الناس إلاّ الخروج إلى العدو، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً[5]، فلم يزل الناس يلحون على رسول الله ﷺ بالخروج لملاقاة قريش حتى دخل فلبس لأمته[6]، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة فخرج رسول الله ﷺ في ألف من

---

(1) سك: إذا ضيَّق علــيه. (ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص394).

(2) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص47.ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص12؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج2، ص434.

(3) حمزة بن عبد المطلب: عم الرسولﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص121؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص87).

(4) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص12.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص45.

(6) لأمته: الدرع الــحصِينة. (ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص532).

أصحابه[1]، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم[2]، فلما كان بين المدينة وأحد، عاد عبـــد الله بن أبي[3] بثلث الناس، فقال: أطاعهم وعصاني، وكان من تبعه أهل النفـــاق والريـــب[4]، ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه، وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوي إلى هذا المكان معنى، ولو كان هذا الـــسبب لانعـــزل عـــن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيس من هذا التمرد- في ذلك الظرف الـــدقيق- أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم، حتـــى ينحـــاز عامة الجيش عن الرسولﷺ، وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو، وتُعْلِي همتَهُ رؤيةُ هذا المنظر فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على الرســـولﷺ، وأصـــحابه المخلـــصين، ويصفو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة والسلطة إلى هذا المنافق، وأصحابه[5].

وفي الطريق إلى جبل أحد اقترح رسول الله ﷺ مخادعة قـــريش، وذلـــك حينمـــا ســـأل الصحابة رضوان الله عليهم بقوله: " من رجل يخرج بنا على القوم من كثب[6] من طريق لا يمر بنا عليهم؟"[7]، فقال: أبو خيثمة[8]: " أنا يا رسولَ الله"، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلك به في مال أبي مربع بن قيظي، وكان رجلاً منافقاً[9]، ومضى رســـولﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي في الجبل، وجعل ظهره وعـــسكره –كمـــا هـــو

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص60؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص45؛ ابـــن كثيـــر: البداية والنهاية، ج4، ص13.

(2) ابن أم مكتوم: مختلف في اسمه فأهل المدينة يقولون عبد الله بن قيس، وأما أهل العراق فسموه عمـــراً، وكان ضريراً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال، هاجر بعد وقعة بدر، وقد كان النبيﷺ يحترمه ويستخلفه علـــى المدينة فيصلي ببقايا الناس. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص360-361).

(3) عبد الله بن أبي بن أبي سلول: رأس المنافقين، ومن تولى كبر الإفك في عائشة رضي الله عنها، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا إليه أمرهم قبل مبعث النبيﷺ، فلما جاء الله بالإسلام اســـتعظم على رسول الله ﷺ النبوة، وأخذته العزة ولم يخلص الإسلام، وأظهر النفاق حسداً وبغياً وهو الذي قـــال فـــي غزوة بني المصطلق: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل". (للمزيد ينظر الـــصفدي: الـــوافي بالوفيات، ج17، ص9).

(4) ابن قتيبة: المعارف، ج1، ص159؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص145.

(5) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص269.

(6) كثب: كثيب الرمل. (للمزيد ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص152).

(7) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص61؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص14.

(8) أبو خيثمة: دليل الرسولﷺ في معركة أحد، وكان أبو بكر، وعمر، وعثمانﷺ يبعثونـــه علـــى حـــرز النخل، والعنب، ومات في أول ولاية معاوية. (للمزيد ينظر ابن حجـــر العـــسقلاني: الإصـــابة فـــي تمييـــز الصحابة، ج7، ص85).

(9) ينظر العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج17، ص139.

معروف- إلى جبل أحد، وقال: " لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال"[1]، وقد سرّحت قريش في الوقت نفسه الظهر[2]، والكراع[3] في زروع بني قيله، ولما تضارب وتعبـأ رسـول الله ﷺ للقتال، وهو في سبعمائة رجلٍ، وأمّر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير[4]، والرماة خمسون رجلاً فقال رسول الله ﷺ: " انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك"[5]، وكان هدفه من وضع هذه القوة هو حرمان العـدو مـن الالتفاف على قواته من الخلف، ولتكون هذه القوة قاعدة أمينة لقواته، تحمي ظهرها وتـستند إليها وتستر انسحابها عند الحاجة[6]، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف مـنهم سـبعمائة دارع، والخيل مائتي فرس، قد جنبوها[7]، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد[8]، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام [9].

ويوضح هذا الاستعداد اختلال ميزان القوى العسكري في هذه المعركة لصالح جـيش قريش، حيث تعبأت قريش في ثلاثة آلافٍ، في حين كان عدد المسلمين سبعمائة فقط.

---

(1) العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ج17، ص139.

(2) الظهر: البعير. (ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص528).

(3) الكراع: اسم لجميع البقر والغنم التي تؤكل كراعها. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص236).

(4) عبد الله بن جبير: ابن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأنصاري، شهد العقبة، وبدراً، وكان أمير الرماة بأحد، ولما انهزم المشركون يومئذ ذهب الرماة ليأخذوا من الغنيمة فنهاهم فمضوا وتركوه فاستـشهد يومئـذ. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص330).

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص46؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص14.

(6) خطاب: الرسول القائد، ص 176.

(7)الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص61؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص46.

(9) خالد بن الوليد: ابن المغيرة هاجر مسلماً سنة(8هـ=629م)، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة وبقي الجيش الإسـلامي بلا أمير، فتأمّر عليهم في الحال خالد وأخذ الراية وحمل على العدو فكان النصر وسماه النبـيﷺ سـيف الله عاش ستين سنة ومات على فراشه بحمص سنة (21هـ=541م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النـبلاء، ج1، ص367).

(9) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص15.

وتتضح مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في هذا الخروج فيما يلي:

1- الخروج إلى قريش من طريق قريب فطنة، هدفت إلى مباغتة قريش؛ لاستبعاد قريش سلوك الرسولﷺ لهذا الطريق، إذ لو لم يفعل ذلك لافتقد المسلمون عنصر المباغتة للمشركين.
2- سلوك المسلمين في طريقهم لحرب قريش أرض أحد المنافقين خدعة قصد منها الوصول للعدو من النقطة التي لا يتوقعها، حتى لو كان السبيل إلى ذلك سلوك أرض أحد الخصوم.

ولقد اقتتل الناس يوم أحد اقتتالاً شديداً، وأمعن في الناس حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأبو دجانة[1]، وأنزل الله نصره على المسلمين في بداية المعركة، وكانت الهزيمة على المشركين، فلما نظر بعض الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه، أقبلوا يريدون الغنائم، وثبتت طائفة وقالوا: " نطيع رسول الله ﷺ ونثبت مكاننا"[2] فأنزل الله تعالى:{ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ }[3].

ولما فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على أصحاب الرسول ﷺ من خلفهم، فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم، وقتلوهم[4]، وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير[5].

ولقد كانت حركة خالد بن الوليد العسكرية مباغتة للمسلمين لم يكونوا يتوقعونها، فتبعثر أكثرهم، وبقي قليل منهم يقاتلون إلى جانب الرسولﷺ، ليشقوا لهم طريقاً من بين قوات قريش التي أطبقت عليهم من كل جانب[6]، وقال تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[7]، وكان في قصة غزوة أحد، وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم

(1) أبو دجانة: سماك بن خرشة بن لوذان، كان يوم أحد عليه عصابة حمراء، يقال آخى النبيﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان، وثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبيﷺ، وبايعه على الموت، وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب، ثم استشهد يومئذ. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص243؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص119؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص556).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص62؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص48.

(3) سورة آل عمران: الآية152.

(4) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص63.ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص48؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص164؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص435.

(5) ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص41.ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ج1، ص68؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج3، ص164؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص436؛ ؛

(6) خطاب: الرسول القائد، ص182.

(7) سورة آل عمران: الآية 153.

الربانية أشياء عظيمة منها: تعريف المسلمين عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي والمعصية، لما وقع من ترك الرماة موقعهم الذي أمرهم الرسولﷺ ألا يبرحوا منه[1].

ولقد كلفت هذه المخالفة المسلمين كما ثبت في السير سبعين رجلاً، وقال قتادة: " قتل من الأنصار يوم أحد سبعون"[2]، وفي رواية لليعقوبي قال: " قُتل من المسلمين ثمانية وستون رجلاً"[3]، وقتل يومئذٍ حمزة بن عبد المطلب رحمه الله، قتله وحشي[4].

وتتبين مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في جعل جبل أحد خلفه فيما يلي:

1- جَعْلُ الرسولِﷺ جبلَ أحد خلفه حكمةً، هدفت إلى حماية ظهر الجيش الإسلامي من أي عملية التفاف قد تقوم بها قريش، ولو لم يفعل ذلك لسهل على المشركين الالتفاف على المسلمين، وطعنهم في الظهر في بداية المعركة.

2- عدم مُبَادَأَةِ الرسولﷺ للحرب حكمة، هدفت إلى ترك الفرصة أمام الجيش الإسلامي لتجميع قواته بهدوء، وتحصين جبل أحد بالرماة، وإعطاء التعليمات الواضحة للرماة؛ وذلك استعداداً لساعة الصفر.

3- قَصْرُ الرسولِﷺ لمهمة الرماة على حماية ظهر الجيش الإسلامي فقط حُسْنُ تدبير، هدف إلى قطع الطريق على قريش من التسلل من هذه النقطة لضرب الجيش الإسلامي، ولقد تحقق حدس الرسولﷺ، بعدما ترك بعض الرماة الجبل لجمع الغنائم، حيث حلت الهزيمة بالمسلمين.

---

(1) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص301؛ المصري: سيرة الرسولﷺ، ص344؛ خليل: دراسة في السيرة، ص167.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص46.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص28.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص42؛ ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ج1، ص68؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج5، ص98؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص170؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص436.

3- الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة حمراء الأسد[1]

جاءت غزوة حمراء الأسد، بعدما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة من يوم السبت، بعد غزوة أحد، فلما كان الغد، وهو يوم (الأحد13 شوال3 هـ=31مارس625م)، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم[2]، فقال تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }[3]، فقد كان الرسولﷺ يخاف أن المشركين إن فكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئاً من النصر، والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال، فلابد من أن يندموا على ذلك، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية، فصمم على أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي[4].

وفي الطريق إلى قريش لقي الرسول ﷺ معبد الخزاعي[5]،وكان مشركاً، ولكنه كان ناصحاً لرسول الله ﷺ، لما كان بين خزاعة[6] وبين هاشم من الحلف، فقال: " يا محمد! لقد عزَّ علينا ما أصابك"[7]، ثم خرج من عند النبي ﷺ، فلقي أبا سفيان، ومن معه بالروحاء[8] قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ، ليستأصلوا المسلمين بزعمهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك ؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قط، قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا أشد الندم، قال أبو سفيان: فوالله قد أجمعنا الرجعة

---

(1) حمراء الأسد: على بعد (12 كم) من المدينة. (البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص468).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص48؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص75؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص57؛ ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، ج2، ص437.

(3) سورة آل عمران: الآية 172.

(4) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص297.

(5) معبد الخزاعي: هو الذي رد أبا سفيان يوم أحد عن الرجوع إلى المدينة. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص172).

(6) خزاعة: فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم، وكانت الأوس والخزرج منهم. (للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص156؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص 517).

(7) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص75؛ ابن الأثير: المصدر السباق، ج2، ص57؛ ابن كثير: المصدر السباق، ج4، ص149.

(8) الروحاء: بفتح أوله وبالحاء المهملة ممدود، قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة بينهما أربعون ميلاً. (للمزيد ينظر البكري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص681؛ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص73).

لنستأصل بقيتهم، قال: إني أنهاك عن هذا، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر، قال: وماذا قلت ؟ قال: قلت:

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتي إذْ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ[1]الأبابيلِ
تُرْدي بأسدٍ كرامٌ لا تُنَابِلَهُ عندَ اللقاءِ ولا ميلٌ معازيلِ
فَظِلتُ عدْواً أظنُ الأرضَ مائلةً لمّا سمَوْا برئيسٍ غيرِ مخذولِ
فقلتُ ويلُ ابنُ حربٍ من لِقائِكمُ إذا تغطمطتِ[2] البطحاءُ[3] بالجيلِ
إني نذيرٌ لأهلِ البسلِ ضاحيةٌ لكلِ ذي أربةٍ منهم ومعقولِ
من جيشِ أحمدَ لا وخش قنابُلْهُ وليسَ يوصفُ ما أنذرتُ بالقيل[4]

ولقد ثنى ذلك أبا سفيان ومن معه من السير إلى مواجهة الرسولﷺ، وآثروا الانسحاب على المواجهة؛ خشية أن يذهب نصرهم في أحد وهم لازالوا في نشوة الانتصار.

ويعكس هذا العمل أهمية توظيف المسلمين لبعض المشركين، لإيصال رسائل لمعسكر المشركين، فالمشركون بطبيعتهم آذانٌ صاغية لبعضهم البعض، ولعل إصغاء أبي سفيان لمعبد الخزاعي يثبت ذلك.

ولم يكتف المسلمون بهذه الخدعة فحسب، بل عمدوا إلى خدعة أخرى، حينما عمدوا إلى إقادة خمسمائة نار، فذهب صوت معسكرهم ونارهم في كل وجه، فهزم الله بذلك عدوهم[5].

وتَبِيْنُ مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في هذا الخروج في الآتي:

1- خروج الرسولﷺ إلى غزوة حمراء الأسد بعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد مباشرة حكمة، هدفت إلى رفع الروح المعنوية لدى الصحابة ﷺ، وإبلاغ قريش بأن انتصارها في غزوة أحد لا يعني هزيمة المسلمين بأي حال من الأحوال.

---

(1) الجرد: كل أرض لانبَات بها. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص257).
(2) تغطمطت: اضْطِرابُ الأَمْواج. (ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص363).
(3) البطحاء: صحراء مكة. (المصدر السابق: ج2، ص413).
(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص75.
(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص49؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص173.

2- إشعال خمسمائة نار في وقت واحد خدعة، هدفت إلى إظهار بأس المسلمين وشـــوكتهم، ولعل إشعال خمسمائة نار دفعة واحدة دليل على ذلك، ولو لم يفعـــل المـــسلمون ذلـــك لمـــا استطاعوا فلَّ قوة قريش التي خرجت منتصرة في معركة أحد.

ويبدو أن هاتين الخدعتين قد عززتا فكرة الانسحاب عند أبي سفيان، وذلك بـــدلاً مـــن الهجوم، وتعزيز الانتصار على المسلمين بالأمس بانتصار أخر.

ولقد انصرف رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غـــاب خمـــس ليال، وكان الرسول ﷺ، قد استخلف عبد الله بن أم مكتوم[1].

4 – الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة دومة الجندل[2]

كانت غزوة دومة الجندل سنة(5هـ= 626م)، وجاءت هذه الغزوة بعدما تنامى إلـــى مسامع الرسول ﷺ شكوى التجار والسابلة[3] من الكندي عامل هرقل عليها، وتمثلت خدعـــة النبيﷺ في هذه الغزوة بالسير ليلاً والكمن نهاراً في سفره الذي استغرق خمسة عشر يومـــاً، وكان معه دليل من بني عذرة يقال له مذكور هاد خريت، فلما دنا من دومة الجنـــدل أخبـــره دليله بسوائم[4] بني تميم فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب، وهـــرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد منهم أحداً[5]، وأحس بذلك أكيدر عامل هرقل فهرب[6]، وكان توجه الرسولﷺ إلـــى أقصى حدود العرب حتى تصير السيطرة للمسلمين على الموقف، ويعترف بذلك الموالـــون، والمعادون[7].

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص49؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص253.

(2) دومة الجندل: مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلـــة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص487؛ البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص130).

(3) السابلة: أبناء السبيل المختلفة في الطرقات. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص120).

(4) السوائم: السَّائمة من الماشية الراعية. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص426).

(5) ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص62؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص92؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص440؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص172.

(6) للمزيد من التفاصيل ينظر ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص92.

(7) الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص332.

وتتضح مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في السير إلى دومة الجندل فيما يلي:

1- سير الرسولﷺ ليلاً والكمن نهاراً خدعة هدفت إلى الحفاظ على سرية تحركات الجيش في أوقات الحرب، وقطع الطريق على عيون العدو التي يمكنها رصد سير جيش الرسولﷺ في النهار، ومعرفة عدده وعدته، ومن ثم الاستعداد لملاقاته، مما يفقد الجيش الإسلامي عنصر المباغتة، ويجعله فريسة سهلة للعدو.

2- هجوم الرسولﷺ على سوائم بني تميم عند أول وصوله إلى دومة الجندل حكمة، هدفت إلى إرباك بني تميم، ودفعهم للهروب والنجاة بدلاً من المواجهه العسكرية.

5-الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة الخندق

كانت غزوة الخندق سنة (5هـ= 627م)[1]، وذلك لأن يهود بني النضير بعدما أجلاهم الرسولﷺ، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم، ووجوههم إلى مكة، منهم: سلام بن أبي حقيق النضري، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع[2]، فألّبوا قريشاً ودعوهم للخروج إلى الرسولﷺ وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله، ووعدوهم بذلك موعداً، ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليماً، ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهزت قريش، ومن تبعهم من مشركي العرب، فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة[3]، وحمل اللواء عثمان بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية، وهو أبو الأعور السلمي، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد الأسدي، وخرجت فزارة كلها إلى الغزو، يقودهم عيينة بن حصن، وخرجت أشجع، وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة، وخرجت بنو مرة، وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف، فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق في المدينة ممن ذكر من

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص93؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص7.

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج2، ص317؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص338.

(3) دار الندوة: هي دار قصي بن كلاب، التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص257؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص423).

القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر، وقيادة الأمر كله إلى أبي سفيان بن حرب[1].

ولو بلغت هذه الأحزاب المحزبة، والجنود المجندة إلى أسوار المدينة بغتة لكانت أعظم خطراً على كيان المسلمين مما يقاس، وربما تبلغ إلى استئصال الشأفة، وإبادة الأخضر واليابس، ولكن قيادة المدينة كانت متيقظة على مدار الساعة لم تزل واضعة أناملها على العروق النابضة، تتحسس الظروف، وتقدر ما يتمخض عن مجراها، فلم تكد تتحرك هذه الجيوش عن مواضعها حتى نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها بهذا الزحف[2].

وحينما بلغ رسول الله ﷺ، وصولهم ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في أمرهم فأشار عليه الصحابي سلمان الفارسي[3]، بحفرالخندق، فقال يا رسول الله: " إنّا كنّا بفارس إذا حُصرنا خندقنا علينا"[4]، وكان أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ، وهو يومئذ حر[5]، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ، إلى سفح جبل سلع[6]، وجعل سلعاً خلف ظهره؛ وذلك لأن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة المكشوفة من المناطق المحيطة بالمدينة المنورة، إذ إن جهات المدينة الأخرى محاطة بالبساتين الكثيفة، والعوارض الطبيعية الأخرى وذلك يحول دون إمكان إجراء القتال بقوات كبيرة في أطراف المدينة عدا الشمالية منها، حيث إنها مكشوفة[7].

وكان المسلمون يومئذ ثلاثة ألاف، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم خندق على المدينة، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم عليهم، وعمل رسول الله ﷺ معهم بيده؛ لينشّط المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد خط الخندق عام الأحزاب،

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص66؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص228.

(2) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص316.

(3) سلمان الفارسي: يكنى أبا عبد الله، من أصبهان من قرية يقال لها جي، سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه لليهود، ثم كوتب فأعانه النبيﷺ في كتابته، أسلم مع مقدم النبيﷺ إلى المدينة، ومنعه الرق من شهود بدر وأحد، وأول غزوة غزاها مع النبيﷺ الخندق، وشهد ما بعدها، وولاه عمر المدائن. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص523؛ الأنصاري: طبقات المحدثين بأصبهان، ج1، ص209؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص44).

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص91؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج3، ص180.

(5) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص91؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص70.

(6) سلع: جبل بقرب المدينة. (الحموي: معجم البلدان، ج3، 236).

(7) خطاب: الرسول القائد، ص228.

والذي بلغ طوله ثلاثة آلاف متر، ثم قطعه أربعين ذراعاً[1] بين كل عشرة، فاختنق المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، وقالت الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: "سلمان منا أهل البيت"[2]، وفي صحيح مسلم، قال: كنا مع الرسولﷺ في الخندق، وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ:

اللهمَ لا عيشَ إلا عيشَ الآخرةِ فاغفرْ للأنصارِ والمهاجرةِ"[3].

فقالوا مجيبين له من الرجز:

نحنُ الذينَ بايعوا محمداً على الجهادِ ما بقينا أبداً[4].

ولقد فرغ المسلمون من حفر الخندق في ستة أيام[5]، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف، ومنهم من ينسل خفية بغير إذنه ولا علمه ﷺ [6]، فأنزل الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[7].

ويوضح حفر الخندق أهمية إصغاء القيادة السياسية لرأي الجند، وأهمية استفادة المسلمين من التجارب العسكرية لغيرهم من الدول، وخصوصاً الدول التي لها باع طويلة في الحروب.

(1) الذراع: بسط اليد ومدها، وأصله من الذراع، وهو الساعد، وهو ما بين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى، ويقدر بحوالي ستين سم. (محمد جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص50).

(2) الطبراني: المعجم الكبير،ج6، ص212، قال الألباني ضعيف جداً، ينظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج1، ص703، رقم الحديث7016.

(3) مسلم: صحيح مسلم، ج5، ص188، رقم الحديث4777.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص70؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص95؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج 3، ص181.

(5) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص67؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص90؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص238؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص70؛.

(6) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص95.

(7) سورة النور: الآية 62.

وتتضح مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في حفر الخندق في الآتي:

1- إشارة سلمان الفارسي على الرسولﷺ بفكرة حفر الخندق خدعة، هدفت إلى منع الأحزاب من اقتحام المدينة، ولولا هذه الخدعة لكان موقف المسلمين غاية في الصعوبة أمام هذه الزحوف من المشركين واليهود.

2- جعل الرسولﷺ جبل سلع خلف ظهره كمانع طبيعي خدعة أخرى، هدفت إلى تأمين ظهر الجيش الإسلامي من أي مفاجآت عسكرية قد يتعرض لها من قبل الأحزاب، ولو لم يفعل ذلك لتسلل الأحزاب من خلف الجبل لتجنب الخندق ودخلوا المدينة.

3- إنجاز حفر الخندق في ستة أيام فقط حس تدبير، هدف إلى إتمام حفره قبل تسرب تفاصيله إلى قريش مما يفقد الخندق أي قيمة عسكرية له.

ولقد دام الحصار على المسلمين قريباً من شهر، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى، إلا أنه اشتد الأمر وضاق على المسلمين كما قال تعالى:{إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}[1]، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق، وفيهم عكرمة بن أبي جهل، وعمرو بن عبد ود، وضرار بن الخطاب، فلما رأوا الخندق قالوا: " هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها"[2]، ثم اقتحموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلع، ودعوا إلى البراز، وقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود[3]، وهو ابن تسعين سنة[4]، وقد أنزل الله تعالى في غزوة الأحزاب صدر سورة الأحزاب:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}[5].

لقد كان حفر الخندق مباغتة تامة للأحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، كما لم تكن تعرف أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق والتغلب على المدافعين عنه، لذلك بقي القتال مستكناً طول مدة الحصار، عدا محاولات قليلة قام بها المشركون لمحاولة اجتياز الخندق باءت بالفشل الذريع[6].

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 10.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص442.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج3، ص50؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص318؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص333؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج3، ص442.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص68.

(5) سورة الأحزاب: الآية 1.

(6) خطاب: الرسول القائد، ص235.

وكان الرسولﷺ، قد أمر حذيفة بن اليمان(1) بالذهاب إلى معسكر المشركين لكي ينظر ما يفعلون فذهب فدخل في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، فلا تترك لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: " يا معشر قريش! لينظر امرؤ جليسه"(2)، ثم قال أبو سفيان: " يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع، والخف(3)، ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل"(4)، فرجع حذيفة وأخبر النبيﷺ(5) فنزل قوله تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }(6)، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين، ولمّا انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ: " لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم"(7)، فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان يغزوهم حتى فتح مكة(8).

ولم يقتل يوم الخندق من المسلمين إلا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة(9) وقيل ثمانية(10)، ومن هنا يؤخذ أن محاولة العبور من المشركين، والمكافحة المتواصلة من المسلمين، دامت أياماً، إلا أن الخندق لما كان حائلاً بين الجيشين لم يجر بينهما قتالٌ مباشرٌ أو حربٌ داميةٌ، بل اقتصروا على المراماة والمناصلة(11).

ولم تقتصر خدع الرسول ﷺ العسكرية للمشركين على حفر الخندق فحسب، ولكن الرسول ﷺ استطاع مخادعة قريش مرة أخرى، وذلك حينما جاءه نعيم بن مسعود الأشجعي(1)

---

(1) حذيفة بن اليمان: من نجباء أصحاب الرسولﷺ، وهو صاحب السر، وهو من أعيان المهاجرين الأولين وكبارهم. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص361؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص44).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص98؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص7؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص113.

(3) الخف: واحد أخْفَافِ البعير. (الرازي: مختار الصحاح، ج12، ص77).

(4) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص98؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص23 ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص74.

(5) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج3، ص238؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص71.

(6) سورة الأحزاب: الآية 25.

(7) أبو عوانة: مستخرج أبي عوانة، رقم الحديث 5600.

(8) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص115.

(9) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص283؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص116؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص123.

(10) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج3، ص51.

(11) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص321.

الأشجعي[1] مسلماً، وكان من دواهي العرب فقال له الرسول ﷺ: " إن الحرب خدعة فاحتل لنا مخرج"[2] حتى أتى قريظة، وقال: قد عرفتم ودي لكم وتحقيقي بكم، قالوا: لست عندنا بمتهم، قال: والرأي أن لا تقاتلوا محمداً ما لم تأخذوا رهائن من قريش، كيلا يعودوا إلى بلادهم إن عضتهم الحرب، ويخلوا بينكم وبين محمداً قالوا: هو الوجه، ثم أتى قريشاً فقال: إنّ اليهود قد ندموا على نقض العهد، وقد أرسلوا إلى محمد هل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان مائة رجل فندفعهم إليك لتضرب أعناقهم؟ فإن التمسوا منكم رجالاً فلا تجيبوهم إليه قالوا: هو الوجه، ثم إن قريشاً قالوا لبني قريظة: إنّا لسنا بدار مقامة، وقد هلك الخف والحافر، وأنتم أزعجتمونا عن بلادنا فاغدوا للقتال واخرجوا للميعاد، فقالت قريظة: إنا لا نأمن منكم أن تعودوا إلى بلادكم إن عضتكم الحرب، فإن أردتم ذلك فأعطونا رهائن تكون ثقة لنا، قالت قريش: صدق نعيم، وقالت قريظة: صدق نعيم، وصح[3].

إن ما سبق يوضح مشروعية الخدع العسكرية في الإسلام، بل يمكننا القول إن حديث الرسول ﷺ لابن مسعود في هذه الغزوة أسس لمشروعية الخدع العسكرية في الحرب، كما يستدل مما سبق هشاشة العلاقات التي تربط معسكر الكفر في كل عصر ومصر، مما يسهل تفريق كلمتهم.

وتتضح مهارة ابن مسعود وخدعه العسكرية في تفريق معسكر المشركين من الآتي:

1- خروج ابن مسعود إلى بني قريظة خدعة، هدفت إلى شق صف الأحزاب الذين تداعوا إلى حصار المدينة للقضاء على الدعوة الإسلامية، ولولا ذلك لاقتحم المشركون المدينة على الرسول ﷺ.

2- نصح ابن مسعود لبني قريظة ألا يذهبوا إلى الحرب مع قريش إلا بعد أخذهم رهائن منها، لضمان عدم تركهم لوحدهم في الحرب خدعة أخرى، قصد منها زرع بذور الفرقة بين الأحزاب، ولولا هذه الخدعة لما استطاع شق صف الأحزاب بهذه السرعة.

(1) نعيم بن مسعود الأشجعي: ابن عامر الأشجعي هاجر إلى رسول الله ﷺ، وهو الذي خذل المشركين وبني قريظة حين صرف الله المشركين بعد أن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص147؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص146).

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، 219.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص69؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص219؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص443.

3- مجيء ابن مسعود إلى قريش مباشرة بعدما انتهى من مخادعة بني قريظة، وإخبارهم بندم بني قريظة على نقض العهد مع الرسولﷺ خدعة أخرى هدفت إلى تعميــق الــشرخ بــين الأحزاب، وتحريض قريش على بني قريظة.

ولقد تحقق لابن مسعود من وراء هذه الخدع ما أراد، ولولا هذه الخدع لكــان موقــف الرسولﷺ في المدينة المنورة غاية في الصعوبة.

6-الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة بني لحيان[1]

غزا رسول الله ﷺ بني لحيان يطلبهم بدم خبيب بن عدي [2]، وزيد بن الدثنة [3]، ومرثد ابن أبي مرثــد [4]، وعاصــم بــن ثابــت بــن أفلــح[5] أصــحاب الرجيــع[6][7]، وذلــك

(1) بنولحيان: حي من هذيل. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص619).

(2) خبيب بن عدي: من بني عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي شهد بدراً وأسر في غزوة الرجيــع ســنة (6هــ=627م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص246؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة فــي تمييز الصحابة، ج2، ص262).

(3) زيد بن الدثنة: صحابي شهد بدراً وأحداً، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون، وقتلته قــريش. (للمزيد ينظرابن حجر العسقلاني: المصدر السابق: ج2، ص604).

(4) مرثد بن أبي مرثد: صحابي وأبوه صحابي حليف حمزة بن عبد المطلب، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، شهد مرثد بن أبي مرثد يوم بدر، شهد أحداً، وقتل يــوم الرجيــع شهيداً، وكان أميراً في هذه السرية. (المصدر السابق: ج6، ص70).

(5) عاصم بن ثابت: من السابقين الأولين، وقد بعث رسول الله ﷺ سرية أمر عليهم فيها عاصــماً. (المــصدر نفسه، ج3، ص569).

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص93؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص222؛ المكــي: ســمط النجوم العوالي، ج2، ص200.

(7) أصحاب الرجيع: جاء رهط من عضل والقارة على النبيﷺ فقالوا: إن فينا إسلاماً، فابعــث لنــا نفــراً يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، فبعث معهم ستة نفر، فلما كانوا بالهدأة، غدروا، واستصرخوا عليهم حياً من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فبعثوا إليهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل، فاســتنزلوهم وأعطــوهم العهد، فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم خبر نبيك عنا، وقاتلهم هو ومرثد، وخالد بن بكيــر، ونزل إليهم ابن الدثنة وخبيب بن عدي، ورجل آخر، فأوثقوهم فقال الرجل الثالث: هذا أول الغــدر، والله لا= أتبعكم فقتلوه، وانطلقوا بخبيب، وابن الدثنة فباعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بــن نوفــل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد، فأخذوه ليقتلوه في الحارث. (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامــل فــي التاريخ، ج2، ص60؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص201).

سنة(6هـ=627م)، ولقد حزن رسول الله ﷺ على عاصم، وأصحابه حزناً شديداً، وقد أظهرﷺ أنه يريد بلاد الشام، وعسكر في مائتي رجل، ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران[1]، وبينهما وبين عسفان[2] ما يقارب الخمسة أميال، حيث كان مصاب أصحابه فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر على أحد، فأقام يوماً أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية فلم يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم فأتوا الغميم[3]، ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، وهو يقول: " آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون"[4]، وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة[5].

ويعكس فعل الرسولﷺ هذا حرصه على معاقبة المتآمرين عليه وعلى أصحابه ولو بعد حين، فغزوة بني لحيان جاءت بعد قتل أصحاب الرجيع بعامين تقريباً.

وتظهر مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في هذا الخروج من الآتي:

1- إظهار الرسول ﷺ في طريقه للقصاص من بني لحيان أنه يريد بلاد الشام تورية، هدفت إلى مباغتة العدو للقصاص والثأر منه، ولو لم يفعل ذلك لحشد له بنو لحيان كل إمكاناتهم العسكرية، ولصعب على الرسول ﷺ القصاص منهم.

2- خروج الرسول ﷺ في عدد قليل من الصحابة رضي الله عنهم لبني لحيان خدعة أخرى، هدفت إلى الوصول إليهم بسرعة، يصعب الوصول بها بعدد كبير.

3- إسراع الرسول ﷺ السير بالجيش إلى بطن غران فطنة، هدفت إلى الهجوم على بني لحيان على حين غرة للقصاص منهم، ولكن تنامي خبر وصول الرسولﷺ إلى بني لحيان في اللحظة الأخيرة، مكنهم من الهروب إلى رؤوس الجبال.

---

(1) بطن غران: واد بين أمج وعسفان، حيث مصاب أصحاب الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة. (المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص200).

(2) عسفان: قرية جامعة بها نخيل ومزارع على (60 كم) من مكة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان،ج4، ص122).

(3) الغميم: موضع بين مكة والمدينة. (المصدر السابق: ج4، ص214).

(4) المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص200.

(5) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص77؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص79؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص78؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص444؛

4- بعث الرسول ﷺ بالسرايا في كل ناحية بعدما هرب بنو لحيان في رؤوس الجبال حسن تدبير، هدف إلى تأديب بني لحيان وتفريق شملهم حتى لا يجرؤوا بعد ذلك على المس بالمسلمين.

7-الخدع العسكرية للرسول ﷺ في غزوة خيبر[1]

كانت غزوة خيبر سنة (6هـ=627م)، وكان مع رسول الله ﷺ ألف وأربعمائة راجل، ومائتا فارس، فقاتل اليهود، وقاتلوه أشد القتال وقتلوا من أصحابه، وقتل منهم ثلاثة وتسعين رجلاً، وفتحها حصناً حصناً[2]، وفيها عشرون ألف مقاتل[3].

وتعود أسباب هذه الغزوة إلى كون يهود خيبر حلقة في سلسلة الخيانة اليهودية ضد المسلمين، وكان لزعمائهم دور كبير في ذلك، حيث عزَّ عليهم الخروج بالهزيمة، والجلاء في غزوة بني النضير، فضلاً عما لحق بيهود قينقاع بسبب غدرهم، وخيانتهم[4].

وتتلخص خدعة الرسول ﷺ ليهود خيبر بمباغتة عدوه، دونما أي مقدمات، فعن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغز عليهم حتى يصبح، فإن سمع ﷺ أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار"[5]، فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ حتى أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه، وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر قد خرجوا إلى أعمالهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس[6]معه، فأدبروا هرباً فقال رسول الله ﷺ: " الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"[7].

---

(1) خيبر: ناحية على بعد بعد(22 كم) من المدينة لمن يريد الشام. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص409).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص106؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص293؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص351؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص221.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص56.

(4) سلامة: دراسات في السيرة، ص201.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص183.

(6) الخميس: الجيش، لأنهم خمس فرق: المقدمة، القلب، الميمنة، الميسرة، والساق. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص79).

(7)ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص183.

ويوضح هذا الفتح الروح القتالية العالية للمسلمين في مواجهة الحقد اليهودي، رغم رجحان ميزان القوى العسكري في هذه الغزوة لصالح يهود خيبر.

وتظهر مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في فتح حصن خيبر فيما يلي:

1- وصول الرسول ﷺ إلى خيبر ليلاً فجأة، وبدون سابق إنذار خدعة، قصد منها حصر اليهود على حين غرة، وذلك حتى لا يأخذوا استعداداتهم للحرب، وليسهل عليه التغلب على المتحصنين فيها، والذين يزيد عددهم على عشرين ألف مقاتل.

2- التزام الرسول ﷺ الصمت من الليل حتى الصباح حدق، هدف إلى مفاجأة اليهود لحظة خروجهم من بيوتهم صباحاً، وذلك لوضعهم تحت الأمر الواقع، ولقطع الطريق على أي محاولة منهم للمقاومة.

3- حصار الرسول ﷺ لخيبر لمدة شهر متواصل قبل فتحها حسن تدبير، هدف إلى استنزاف إمكانات اليهود العسكرية، قبل الهجوم الأخير عليهم، فالحصار ينهك إمكانات العدو العسكرية، ويجعل خيار الاستسلام أقرب الخيارات إليه .

ولقد استشهد من أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر خمسة عشر رجلاً[1] وذلك بعدما حاصرها قريباً من شهر[2]، وقاتلهم حتى ألجأهم إلى بيوتهم، وغلبهم على الأرض والنخل، فصالحهم على أن تحقن دماؤهم، ولهم ما حملت ركابهم، وللنبي ﷺ، الصفراء، والبيضاء، والسلاح، فبقوا على ذلك إلى آخر خلافة عمر بن الخطاب، فبلغه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: " لا يبقى دينان بأرض العرب"[3] فأمر بإجلائهم عن خيبر، وغيرها من بلاد العرب، وأخذ المسلمون ضياعهم من مغانم خيبر، فتصرفوا فيها، وكان يتولى قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر[4] من بني سلمة، وزيد بن ثابت[5] من بني النجار[1]؛ ويستفاد من

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص294؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص11.

(2) ابن قتيبة: المعارف، ج1، ص161.

(3) البيهقي: السنن الكبرى، ج6، ص135، رقم الحديث 12079، قال الألباني صحيح ينظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج1، ص875، رقم الحديث8746.

(4) جابر بن صخر: ابن أمية الأنصاري، شهد العقبة والمشاهد إلا بدراً . (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص432).

(5) زيد بن ثابت: كاتب الوحي ﷺ، حدث عن النبيﷺ وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمة. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص426-427؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج2، ص592).

غزوة خيبر جواز محاربة الكفار ومقاتلتهم في الأشهر الحرم، ولا خلاف في جواز القتال في الشهر الحرام إذا بدأ العدو القتال، وإنما الخلاف أن يقاتل فيه ابتداءً[2].

ولقد استطاع الحجاج بن علاط السلمي[3] في غزوة خيبر مخادعة قريش، وذلك حينما زعم لهم أن الرسول ﷺ قد هُزم في خيبر، ووقع أسيراً وكانت الغاية من هذه الخدعة، استرداد ديونه من قريش، في لحظة نشوة المشركين بسماعهم هذه الأخبار، وكان الحجاج قد قال لرسول الله ﷺ يوم خيبر: قد أسلمت، ولي بمكة مالي، فتأذن لي أن أتكلم بشئ يطمئنون إليه، لعلي أن آخذ مالي، فأذن له، فخرج حتى قدم مكة، فأتته قريش فقالوا: " مرحبًا بك يا ابن علاط، هل عندك خبر من هذا القاطع؟" [4] قال: نعم! إن كتمتم عليّ، فتعاهدوا أن يكتموا عليه حتى يخرج، قال: " إني والله ما جئت حتى هُزم محمد وأصحابه هزيمة، وحتى أُخذ أسيراً، وقالوا: نقتله بسيدنا حيي بن أخطب[5]، فاستبشروا وشربوا الخمور، وبلغ العباس والمسلمين الخبر فاشتد جزعهم، وأخذ الحجاج كل ما كان له، ثم أتى العباس، وأخبره بما فتح الله على نبيه، وأن سهام الله قد جرت على خيبر، وقتل ابن أبي حقيق، وبات رسول الله ﷺ عروساً بصفية بنت حيي بن أخطب[6]، ثم خرج من مكة، فأصبح العباس مسروراً فقال له أبو سفيان: تجلد للمصيبة يا أبا الفضل، فقال العباس: "إن الحجاج والله خدعكم حتى أخذ ماله، وقد أخبرني بإسلامه، وأنه ما انصرف حتى فتح الله على نبيه، وقتل ابن أبي حقيق وبات عروساً

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص453-454.

(2) للمزيد ينظر المصري: سيرة الرسولﷺ، ص501-502.

(3) الحجاج بن علاط السلمي: قدم على النبيﷺ، وهو بخيبر فأسلم وسكن المدينة، واختط بها داراً ومسجداً، ولما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة أهلاً ومالاً، وإني أريد أن آتيهم، فأنا في حل إن قلت فيك شيئاً فأذن له. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج2، ص33؛ السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج1، ص264).

(4) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص57.

(5) المصدر السابق: ج2، ص57

(6) صفية بنت حيي بن أخطب: من سبط هارون بن عمران، كان اصطفاها رسول الله ﷺ يوم خيبر، وقيل اشتراها من دحية، فأسلمت وأعتقها وتزوجها، ورأى رسول الله ﷺ أثر خضرة قريباً من عنقها فقال: ما هذا؟ فقالت: رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة فقال: أتحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة، فضرب وجهي، فلما رحل رسول الله ﷺ عن خيبر وقد طهرت، مال يريد أن يعرس بها فأبت، فلما كان بالصهباء عرس بها هناك فقال: ما حملك على ما صنعت= في المنزل الأول؟ قالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك عنده. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص738).

بابنة حيي بن أخطب، وفتح جميع الحصون"، فأعولت امرأة الحجاج، واجتمع إليها نساء المشركين، واشتدت كآبة المشركين، وغمتهم[1].

ولعل مما فعله هذا الصحابي دليل آخر على مشروعية الخدع في الإسلام، فلقد استأذن هذا الصحابي الرسولﷺ في مخادعة قريش، لاسترداد ماله من قريش، فوافقه الرسولﷺ على ذلك.

وتَبِيْنُ مهارة الحجاج وخدعته لقريش في هذه الغزوة فيما يلي:

1- زعم ابن علاط أن الرسولﷺ قد هُزم في خيبر خدعة، قصد منها استرداد ديونه المستحقة على قريش، كمكافأة له على هذه الأخبار السارة التي انتظرتها قريش منذ مدة طويلة، ولو لم يفعل ذلك لما استطاع استرداد ديونه المستحقة عليها.

2- طلب ابن علاط من قريش كتم ما يسره إليهم عن هزيمة الرسولﷺ المزعومة حسن تدبير، قصد منه إظهار أهمية كلامه إليهم، ولو لم يشترط ذلك لما كان لكلامه المزعوم أي قيمة، كقيمته عند اشتراطه عليهم كتمه.

3- مجيء ابن علاط بعد مخادعته قريشاً، للعباس بن عبد المطلب مباشرة نباهة، قصد منها وضع المسلمين في حقيقة ما قاله لقريش، وذلك حتى لا يتسرب الخوف إلى قلوب المسلمين من هذا الكلام، وقد يكون ذلك سبباً في استقواء قريش عليهم.

8-الخدع العسكرية للرسولﷺ في غزوة الحديبية[2]

جاءت غزوة الحديبية سنة(6هـ= 628م)، وذلك أن الرسول ﷺ، خرج للعمرة، واستنفر أصحابه للخروج معه، فأسرعوا وتهيؤوا، وخرج معه من المسلمين ألف وستمائة، وبلغ

---

(1) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص57.

(2) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقيل سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة (44كم)، وبينها وبين المدينة (396كم). (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص229-230).

المشركون خروجه فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام، ثم جرت السفراء بين رسول الله ﷺ، وبين كفار قريش، وبعث عثمان بن عفان بينهما رسولاً، وشاع الخبر أنّ المشركين قتلوه، فدعا رسول الله ﷺ المسلمين، وجلس تحت الشجرة فبايعوه على الموت، وأن لا يفروا، وهي بيعة الرضوان، وضرب ﷺ بيسراه على يمينه، وقال: "هذه عن عثمان"[1]، ثم كان سهيل بن عمرو[2] آخر من جاء من قريش فقاضى رسول الله ﷺ على أن ينصرف عامه ذلك، ويأتي من قابل معتمراً، ويدخل مكة وأصحابهﷺ بلا سلاح حاشا السيوف في القرب فيقيم بها ثلاثاً ولا يزيد، وعلى أن الصلح عشرة أعوام يتداخل فيه الناس، ويأمن بعضهم بعضاً، وعلى أن من هاجر من الكفار إلى المسلمين من رجل أو امرأة أن يرد إلى قومه، ومن ارتد من المسلمين إليهم لم يردوه[3].

والنظرة الأولى لهذا الصلح تدل على أن مجرد دخول قريش في عهد مع المسلمين يمثل اعترافاً منها بالدولة الفتية، والدين الجديد، بعد حرب الإفناء الطويلة التي شنتها ضدهم، كما تفيد أن الصلح لا يكون إلا بين خصمين، وهذا اعتراف صريح من قريش بما كان عليه المسلمون من قوة، ومن ندية أجبرت العدو على الاعتراف بها، وهكذا انتزع الرسولﷺ اعتراف قريش بدولته[4].

ولقد تجلت خدعة الرسولﷺ، في هذه الغزوة أنه سأل عن رجل يخرج بالمسلمين على طريق غير الطريق التي بها قريش، وذلك بعدما لقيه بعسفان بشر بن سفيان الكعبي[5] فقال: يا رسول الله! "هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل[6] قد لبسوا جلود

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص447؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص214.

(2) سهيل بن عمرو: أبو يزيد أسر يوم بدر وفدي، وهو الذي تولى المصالحة على القضية التي كتبت بالحديبية، وأقام على دينه إلى يوم الفتح، وكان ابنه عبد الله من المهاجرين الأولين وممن شهد بدراً، فبعث إليه يسأله أن يستأمن له رسول الله ﷺ فآمنه يوم الفتح، ثم خرج مع رسول الله ﷺإلى حنين، وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص731؛ ابن قانع: معجم الصحابة، ج1، ص273؛ الربعي: مولد العلماء ووفياتهم، ج1، ص104).

(3) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، ج2، ص196؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص373؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص447.

(4) سلامة: دراسات في السيرة، ص263.

(5) بشر بن سفيان الكعبي: لما توجه رسول اللهﷺ يريد مكة في عام الحديبية قدم عليه بشر بن سفيان الكعبي فسلم عليه فقال له: يا بشر هل عندك علم أن أهل مكة علموا بمسيري؟، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وسمى الليلة التي أنشؤوا فيها السفر، وقريش في أنديتها. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص297).

(6) العود المطافيل: الإِبل التــي وَضَعَت أَولادها حَدِيثاً. (ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص402).

النمور، وقد نزلوا بذي طوى(1)، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً"(2) فقال رجل من أسلم أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل(3) بين شعاب فلما خرجوا منه، قال رسول الله ﷺ: " قولوا نستغفر الله، ونتوب إليه"(4)، فقالوا ذلك فقال: " والله إنها للحظة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها"(5)، فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: " اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض"(6)، فهبط الحديبية من أسفل مكة، قال فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش غبار الجيش الإسلامي، ركضوا راجعين إلى قريش(7).

ويعكس ما أشار به الرسول ﷺ أهمية الأدلاء في السير بالجيش من أماكن آمنة، ولو كانت صعبة، للوصول إلى العدو من النقطة التي لا يتوقعها أبداً.

وتتضح مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في غزوة الحديبية في الآتي:

1- سؤال رسول الله ﷺ عن رجل يخرج بهم إلى طريق غير التي بها قريش فطنة، هدفت إلى تجنب الصدام العسكري المباشر مع قريش التي استعدت للحرب، وذلك لرغبتهﷺ في العمرة، وليس في القتال.

2- سلوك المسلمين لطريق وعر خدعة، وذلك لاستبعاد قريش ولوج المسلمين مثل هذا الطريق، ولعل هبوط الرسولﷺ الحديبية من أسفل مكة قد فاجأ فرسان قريش، الذين لم يجدوا أمامهم من خيار سوى الهروب والعودة من حيث أتوا.

ومثلما شهدت غزوة الحديبية خدعة الرسولﷺ لجيش المشركين، شهدت كذلك خدعة عقبة بن أسيد بن جابر أبو بصير(8)، والذي بعثه الرسول ﷺ إلى قريش برفقة خنيس بن

---

(1) ذو طوى: واد بمكة. (البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص942).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص117؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص224؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص165.

(3) أجرل: كثير الحجارة. (للمزيد ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص262).

(4) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص117.

(5) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص165.

(6) الحمض: اسم حَيٍّ بَلْعاءَ بن قيس الليثي. (ابن منظور: مصدر سبق ذكره، ج7، ص141).

(7) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص165؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص447 ؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص204.

(8) عتبة بن أسيد بن جابر أبو بصير: كان حليفاً لبني زهرة أسلم بمكة قديماً فحبسه المشركون عن الهجرة، وذلك قبل عام الحديبية. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص292).

جابر، ومولاه كوثر؛ ولكنه في طريق عودته إلى قريش استطاع مخادعة خنيس وقتله، وهروب كوثر، ليعود أبو بصير إلى الرسولﷺ، ولما نزل رسول الله ﷺ الحديبية، وقاضى قريشاً على ما قاضاهم عليه، وقدم المدينة أفلت أبو بصير من قومه فسار على قدميه سعياً حتى أتى رسول الله ﷺ، فكتب الأخنس بن شريق، وأزهر بن عبد عوف إلى رسول الله ﷺ، كتاباً فيه أن يرده إليهم على ما اصطلحوا عليه، وبعثاه مع خنيس بن جابر فخرج خنيس، ومعه مولاه كوثر فدفعه إليهما فخرجا به فلما كانا بذي الحليفة[1]، عدى أبو بصير على خنيس فقتله، وهرب كوثر حتى قدم المدينة، فأخبر الرسولﷺ، فرجع أبو بصير، وقال: " وفت ذمتك يا رسولَ الله دفعتني إليهم فخشيت أن يقتلوني عن ديني فامتنعت"[2] فقال رسول الله ﷺ لكوثر: " خذه فاذهب به"[3]، فقال: إني أخاف أن يقتلني فتركه ورجع إلى مكة، فأخبر قريشاً بما كان[4]، فقد كان أبو بصير بحق قائد ثورة، ومبادئ الثورة تبيح المواجهة المباشرة، وغير المباشرة، وما احتال به على العامري لقتله، وأخذ سيفه خط إسلامي أصيل حين يجمع العدو على القضاء على الحركة الإسلامية، وذلك بأن تلجأ إلى التعمية، والتغرير بالخصم، لقتله، وأخذ سلاحه[5].

ولقد خرج أبو بصير إلى العيص[6]، فجعل من بمكة من المحتبسين يتسللون إليه، فاجتمع عنده منهم قريب من سبعين فجعلوا لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا بعير لهم إلا اقتطعوها، فكتبت قريش إلى رسول الله ﷺ، يسألونه بأرحامهم أن أدخل أبا بصير وأصحابه إليه، فلا حاجة لنا بهم فكتب النبي ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم عليه مع أصحابه[7]، فلقد وجدت قريش نفسها مجبرة على أن تطلب من الرسول ﷺإلغاء هذا الشرط، والذي كان مصدر إزعاج للصحابة الكرام يوم أن وافق عليه الرسول ﷺ، بأمر من ربه، فيجيبها الرسول ﷺ إلى ما أرادت، وما لبثت الأحداث أن مكنت قريشاً من هدفها، إلا أنها لم تكن تدري آنذاك

---

(1) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة (9 كم)، ومنها ميقات أهل المدينة. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص264؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص295).

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص292؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص449؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص108.

(3) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج3، ص292.

(4) المصدر نفسه: ج3، ص292.

(5) للمزيد ينظر الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص43.

(6) العيص: موضع في بلاد بني سليم به ماء، يقال له ذنبان. (الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص173).

(7) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص292؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص449؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص108.

أنها تسعى إلى حفر قبرها بيديها، وأنها تضع بيد الرسول ﷺ المعول الذي سيهدم به آلهتهـا، وأصنامها، وكبرياءها[1].

وتظهر مهارة أبي بصير وخدعه لقريش في الآتي:

1- عدو أبي بصير على خنيس وقتله حينما بلغا منطقة ذي الحليفة فطنة هدفت إلى احترام ما عاهد الرسولﷺ عليه قريشاً من جانب، وعدم تسليم نفسه لقريش من جانب آخر.
2- خروج أبي بصير إلى العيص فطنة، قصد منها عدم وضع الرسولﷺ في حـرج أمـام قريش، وفي الوقت نفسه الضغط على قريش للكف عن مطالبة الرسولﷺ بتسليمها إياه، ولقد تحقق له ما أراد عندما طالبت قريش الرسولﷺ أن يدخل أبا بصير وأصحابه إليه.

9- الخدع العسكرية للرسولﷺ في فتح مكة

جاء فتح مكة في(17 رمضان 8هـ=3 يناير 630م)[2]، وكان السبب المباشر فـي فـتح مكة أن خزاعة كانت دخلت في عقد النبي ﷺ يوم الحديبية، ويعود أسباب تحالف خزاعة مع الرسولﷺ إلى كون خزاعة كانت من حلفاء عبد المطلب بن هاشـم جـد الرسـولﷺ فـي الجاهلية[3]، في حين دخل بنو بكر في عقد قريش، فعدت بنو بكر على خزاعة، وهم على ماء بأسفل مكة، يقال له الوتير فبيتوهم، ورفدتهم قريش بالسلاح فقاتلوهم[4]، وهذا ديدن الكفر في كل زمان ومكان لا يحترمون عهداً، ولا ميثاقاً، فلم يكتف بنو بكـر، ومـن شـاركهم مـن القرشيين بقتل من قتلوا من الخزاعيين، وهم نيام على حين غرة، بل أخذوا يطاردونهم حتـى بعد أن دخلوا الحرم الذي كان العرب جميعاً يحرمون على أنفسهم فيه القتـال مهمـا كانـت الظروف، والدوافع، والمبررات[5].

---

(1) خليل: دراسة في السيرة، ص200؛ سلامة: دراسات في السيرة، ص284.
(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج2، ص152؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص232؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص286.
(3) أبو خليل: فتح مكة، ص18.
(4) المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص233.
(5) سلامة: دراسات في السيرة، ص286.

ولقد خرج عمرو بن سالم الخزاعي[1]حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، وذكر شـــأنهم، وما كان من بني بكر وقريش من نقض العهد، وقال رجزاً منه:

لا همّ إني ناشــداً محمــداً حِلفُ أبينا وأبيــهِ الأبلــدا

إنّ قريشاً أخلفوكَ الموعدا ونقضوا ميثاقــكَ المــوكدا

همْ بيتونَا بالوتيــرِ هجــداً نتلوا القرآنَ رُكّعاً و سُجدًا([2]).

فأمر رسول الله ﷺ بالتجهيز إليهم، وحرص خلال التجهز على كتمان الأمر حتى عــن أقرب أصحابه إليه من أجل أن يفاجئ مكة بهجومه الحاسم فلا تستطيع المقاومة، وخرج فــي عشرة ألاف رجل[3]، وسار حتى نزل بساحتهم، ولا علم لهم بشئ من ذلك[4].

ولقد أمر كل رجل أيضاً أن يوقد نارين عظيمتين[5]؛ حتى ترى قريش ضخامة الجيش الإسلامي دون أن تعرف هويته، فيؤثر ذلك في معنوياتها، وتستسلم للمــسلمين دون قتــال، وبذلك يؤمن الرسولﷺ هدفه في دخول مكة دون إراقة الدماء[6].

---

(1) عمرو بن سالم الخزاعي: ركب إلى رسول الله ﷺ لما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير، حتى قدم المدينة يخبره الخبر، فأنشده اللهم إني ناشد محمداً * حلف أبينا وأبيه الأبلدا. (للمزيــد ينظــر ابــن حجــر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص630؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص168).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص153؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص233.

(3) قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سليم سبعمائة، ويقول بعضهم ألف، ومن بني غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار، وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد. (للمزيد ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملــوك، ج2، ص163؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص309).

(4) المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص233.

(5) المصدر السابق: ج4، ص233.

(6) خطاب: الرسول القائد، ص336.

وتَبِيْنُ مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في الخروج إلى قريش في الآتي:

1- استجابة الرسولﷺ لشكوى عمرو بن سالم الخزاعي ضد قريش على الفور حكمة، هدفت إلى معاقبة قريش على مخالفتها للعهد الذي بينها وبين الرسولﷺ ، ولو لم يستجب الرسولﷺ للشكوى لما كان لعهود المسلمين بعد ذلك قيمة تُذكر عند أعدائهم.

2- عدم إعلان الرسولﷺ لوجهته حسن تدبير، قصد منه عدم تسرب الأخبار إلى قريش فتحتاط للأمر، مما قد يسبب فشل العملية العسكرية كلها.

3- خروج الرسولﷺ إلى مكة بعشرة آلاف رجل خدعة، هدفت إلى وضع قريش تحت الأمر الواقع؛ ليفتحوا أبواب مكة أمام المسلمين، لعدم جدوى المقاومة أمام جيش عرمرم.

3- نزول الرسولﷺ بهذا العدد الكبير من الجيش على حين غرة خدعة، هدفت إلى قطع الطريق على قريش من حشد قواتها استعداداً للحرب، مما سهل على المسلمين فتح مكة دونما قتال يذكر.

4- أمر الرسول لكل رجل إيقاد نارين عظيمتين خدعة أخرى، قصد منها فت عضد المشركين، وإشعارهم بقوة شوكة المسلمين.

وتتضح أهمية هذه الخدع، في كونها زرعت الخوف والرعب في صفوف المشركين ولعل دخول الجيش الإسلامي، وعلى رأسه رسول الله ﷺ، يوم فتح مكة، دونما قتال حقيقي، يوضح أهمية هذه الخدع في تثبيط الروح المعنوية للمشركين وثنيهم عن القتال ومواجهة الجيش الإسلامي، ولعل مما جرى من كلام بين أبي سفيان بن حرب حينما خرج ليتجسس الأخبار ومعه حكيم بن حزام[1]، وبديل بن ورقاء[2]، وهو يقول لحكيم: ما هذه النيران؟. فقال: خزاعة أحمشتها[3] الحرب! فقال: خزاعة أقل وأذل![4] يعكس أهمية هذه الخدع في كسر شوكة المشركين، ولما افتتحت مكة، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ،

(1) حكيم بن حزام: أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وغزا حنيناً والطائف، وكان من أشراف قريش وعقلائها ونبلائها وكانت خديجة عمته، وكان الزبير ابن عمه. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص44؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص112).

(2) بديل بن ورقاء الخزاعي: أمره النبيﷺ أن يحرس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم عليه من مكة فحبسها عليه، وكان سيد قومه توفي بمكة. (ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص33؛ ابن حجر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج1، ص275؛).

(3) أحمشتها: أَلْهَبَتْهَا. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص288).

(4) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص58.

ولا عدوانه، فدخلوا في دين الله أفواجا[1]، وذلك كما قال الله عز وجل: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً }[2].

لقد كان من التدبير الحكيم لرسول الله ﷺ، ما أمر به أصحابه ﷺ من أن يتفرقوا في مداخل مكة، فلا يدخلوها من طريق واحدة ومدخل واحد وذلك؛ بغية تفويت فرصة القتال على أهل مكة إن أرادوا ذلك إذ يضطرون إلى تشتيت جماعاتهم وتبديد قواهم في جهات مكة وأطرافها فتضعف لديهم أسباب المقاومة، ومغرياتها[3]، ولقد كانت غزوة فتح مكة فاصلة بين الحق والباطل، لم يبق بعدها مجال للريب والظن في رسالة الرسول ﷺ عند العرب، ولذلك انقلب المجرى تماماً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتهت المتاعب الداخلية، واستراح المسلمون لتعليم شرائع الله، وبث دعوة الإسلام[4].

10- الخدع العسكرية للرسول ﷺ في غزوة حنين[5]

خرج الرسول ﷺ من مكة إلى هوازن، وثقيف، والطائف، وقائدهم مالك بن عوف[6]، وذلك سنة(8هـ =630م)[7]، وانتهى إلى حنين في اثني عشر ألفا: عشرة ألاف من المهاجرين والأنصار وألفين من طلقاء مكة[8]، وتعود أسباب تحرك قبائل هوازن ضد الرسول ﷺ إلى خشية القبائل المحيطة بمكة من وصول الرسول ﷺ إليها في عقر دارها بعدما كسر شوكة قريش زعيمة القبائل العربية؛ فقد فتحت مكة والأعراب من حولها ثائرون محنقون، وعلموا يومئذ أنها الوقعة الفاصلة، وأنه لا مطمع بعدها في مكافحة النبي ﷺ إذا تطاولت

(1) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص88؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص40.

(2) سورة النصر: الآيات1، 2، 3.

(3) البوطي: فقه السيرة النبوية، ص406.

(4) سلامة: دراسات في السيرة، 314.

(5) حنين: واد قريب من الطائف، بينه وبين مكة (15 كم). (البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص471).

(6) مالك بن عوف: كان رئيس المشركين يوم حنين ثم أسلم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وصحب ثم شهد القادسية، وفتح دمشق، وقال ابن إسحاق: لما انهزم المشركون لحق مالك بن عوف بالطائف فقال رسول الله ﷺ: لو أتاني مسلماً لرددت عليه أهله وماله فبلغه ذلك فلحق به، وقد خرج من الجعرانة فأسلم فأعطاه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل كالمؤلفة. (ابن حجرالعسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص742؛ ابن قتيبة: المعارف، ج1، ص315).

(7) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص232؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص463 ؛ العليمي: الأنس الجليل، ج1، ص209.

(8) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص236.

الأيام على قيام دينه في البلد الحرام، وموطن الكعبة والأصنام[1]، في حين كان سبب تحــرك الرسولﷺ إلى حنين، هو القضاء على قبيلتي هوازن، وثقيف حيث كانتا أعظــم قــوة فــي الجزيرة العربية تهدد أمن الدولة الإسلامية، وتتربص بالمسلمين الدوائر[2].

ويقال إن رجلاً لما نظر إلى كثرة المسلمين قال: " لن نغلب اليوم من قلة "[3] ، وفي ذلك نزل قوله تعالى: " {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ}[4].

وكان الرسولﷺ قبل المعركة قد وجه عبد الله بن أبي حدْرد الأسلمي[5] فدخل عــسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم[6]، ولقد عمدت هوازن إلى استقبال المسلمين في شئ لم يروا مثله قط من الكثرة وذلك في غبش الصبح وحملوا حملة واحدة فانهزم الناس، فجعــل رســول الله ﷺ يقول: " يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله" [7]، ورجع رســول الله ﷺ إلــى العسكر وثاب إليه من انهزم وثبت معه يومئذٍ علي، والفضل، والعباس، وأبو سفيان، وربيعة بن الحارث، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد في ناس من أهل بيته وأصحابه[8].

ولقد عبَّأ الرسولﷺ أصحابه رضوان الله عليهم، وصفهم صــفوفاً، ووضــع الرايــات والألوية في أهلها، فسمى حامليها فكانت في سليم ثلاث رايات: رايــة مــع العبــاس بــن مرداس[9]، وراية مع الخفاف بن ندبة[10]، وراية مع الحجاج بن علاط[11]، وكان رســول الله ﷺ ، قد قدم سليماً من يوم خرج من مكة فجعلهم مقدمة الخيل، واستعمل رسول الله ﷺ، عليهم

(1) العقاد: عبقرية خالد، ص63؛ الرشيد: القيادة العسكرية، ص243.

(2) الرشيد: المرجع السابق، ص245.

(3) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص236؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص232؛ المكي: ســمط النجــوم العوالي، ج2، ص274.

(4) سورة التوبة: الآية 25.

(5) عبد الله بن أبي حدْرد الأسلمي: صحابي أول مشاهده الحديبية ثم خيبر روى عن النبيﷺ. (ابــن قــانع: معجم الصحابة، ج2، ص132؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص55).

(6) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص150؛ االمكي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص273.

(7) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص333.

(8) المصدر السابق: ج3، ص333.

(9) العباس بن مرداس: أسلم قبل فتح مكة، ووافى رسول الله ﷺ في تسعمائة من قومه على الخيول والقنــا والدروع الظاهرة، ليحضروا مع رسول الله ﷺ فتح مكة. (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكــره، ج4، ص271؛ ابن حجرالعسقلاني: المصدرالسابق، ج3، ص633).

(10) الخفاف بن ندبة: لم أجد له ترجمةً.

(11) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج12، ص110؛ ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص150.

خالد بن الوليد، فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجعرانة[1][2]، فقد لمس خالد موضع الثقة من نفس الرسولﷺ في حادث من أكبر حوادث الإسلام، وهو غزوة حنين[3].

وتوضح هذه الغزوة التغير الهائل في ميزان القوى العسكري لصالح المسلمين، ولقد غيرت هذه الخدع مسار الغزوة، وحولت هزيمة المسلمين إلى نصر، فبعدما انهزم المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد، ورسول الله ﷺ ينادي: "هلموا أنا رسول الله"[4]، ثم قال للعباس: " اصرخ في الناس"[5]، وكان رجلاً صيتاً: يا معشر الأنصار! يا أصحاب السمرة! ففاء[6] فيه المسلمون وحمي الوطيس، واشتدت الحرب، فانهزم المشركون، وانحازوا إلى الطائف وأغلقوا باب مدينتها[7]، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة، ورماهم بالمنجنيق[8].

وتتضح مهارة الرسولﷺ وخدعه العسكرية في الوصول إلى حنين في الآتي:

1- وصول الرسولﷺ إلى حنين في اثني عشر ألفاً خدعة، هدفت إلى إرهاب مالك بن عوف، وجعل أي مقاومة من قبله مصيرها الفشل الأكيد.

2- توجيه الرسولﷺ لابن حدْرد إلى دخول معسكر المشركين خدعة أخرى، هدفت إلى معرفة استعدادات العدو الحقيقية، حتى لا يفاجأ المسلمون بإمكانات المشركين العسكرية.

---

(1) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أدنى، وبها قسَّم رسول الله ﷺغنائم، ومنها أحرم بعمرته في وجهته تلك. (للمزيد ينظر البكري: معجم ماستعجم، ج1، ص384؛ االحموي: معجم البلدان، ج2، ص142).

(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج26، ص414.

(3) العقاد: عبقرية خالد، ص63.

(4) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص236.

(5) المصدر السابق: ج4، ص236.

(6) فاء: الفيء في اللغة هو الرجوع، ومنه قوله تعالى: " فان فاءوا فان الله غفور رحيم". (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص482).

(7) المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص236؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص332؛ العليمي: الأنس الجليل، ج1، ص210.

(8) المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص237؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص10؛ العليمي: المصدر السابق، ج1، ص210.

3- تعبئة الرسولﷺ لأصحابه، وصفهم صفوفاً، ووضع الرايات والألوية في أهلها خدعة، قصد منها إظهار كثرة عدد المسلمين، في مواجهة كثرة عدد المشركين، ولو لم يفعل ذلك لاستقوى المشركون على المسلمين.

4- إثارة الحمية القبلية، والعائلية فطنة، قصد منها فتح باب التنافس بين القبائل على العطاء، وبذل الغالي والنفيس لاستدراك الهزيمة بنصر مؤزر.

5- مناداة الرسول ﷺ المسلمين، بعدما هربوا في بادئ المعركة هلموا أنا رسول اللهﷺ حكمة، هدفت إلى طمأنة المسلمين بأنه رغم الهزيمة، إلا أنه بخير، ولو لم يناد الرسولﷺ، لظن المسلمون بأنه ﷺ قد لحقه أذى، ولكانت الهزيمة محققة.

6- أمر الرسولﷺ العباس بأن يصرخ في الناس بصوت عالٍ حكمة أخرى، هدفت إلى استنهاض همة الأنصار، وإشعار المسلمين بأن قيادتهم بخير، ولو لم يصرخ العباس بصوت عال، لما سمع به المسلمون أصلاً، ولما عاد أحد إلى ساحة المعركة، ولصعب على الرسولﷺ تحويل الهزيمة إلى نصر.

7- حصار الرسولﷺ للطائف بضعاً وعشرين ليلة، ورميهم بالمنجنيق خدعة، هدفت إلى تلقين معسكر الشرك درساً قاسياً، وكسر شوكتهم.

ولقد شهدت هذه الغزوة العديد من الخدع العسكرية من جانب المشركين، في بادئ الأمر، تمثلت في الآتي:

1- الكمائن في الشعاب والأخبات[1]، وكسر جفون السيوف[2]، وهذا التصرف يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتى النصر، أوالموت[3]، ولقد سببت هذه الخدعة في انهزام المسلمين في بادئ الأمر.

2- المجئ بالنساء والصبيان والإبل والغنم، فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله ﷺ، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين[4]، وقد قصد من وراء هذا التصرف دفع المقاتلين إلى الاستبسال والثبات أمام المسلمين؛ لأن المقاتل إذا شعر أن أعز ما يملك وراءه في المعركة صعب عليه

---

(1) الأخبات: ما اتَّسَعَ من بطُون الأَرْضِ. (ابن منظور: لسان العرب، ج2، 27).

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص236.

(3) الرشيد: القيادة العسكرية، ص251.

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص332؛ ابن الأثير: الآحاد والمثاني، ج4، ص242؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص327.

أن يلوذ بالفرار مخلفاً ما وراءه في المعركة[1]، ولقد كان لذلك المشهد منظر مهيب، يحـــسب من يراه أن هذا الجيش مائة ألف مقاتل، وهو ليس كذلك[2].

(1) الرشيد: مصدر سبق ذكره، ص250.

(2) المصدر السابق: ص252.

المبحث الثالث

الخدع العسكرية للصحابةﷺ في السرايا والبعوث

كانت بعوث النبيﷺ، وسراياه ستة وخمسين من بين بعث وسرية[1]، وحسب ترتيب المصادر التاريخية، هي:[2]

سرية حمزة بن عبد المطلب، ثم سرية عبيدة بن الحارث[3]، ثم سرية سعد بن أبي وقاص[4]، ثم سرية عبد الله بن جحش، ثم سرية عمير بن عدي[5]، ثم سرية سالم بن عمير، ثم سرية قتل كعب بن الأشرف، ثم سرية زيد بن حارثة الأولى[6]، ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد[7]، ثم سرية عبد الله بن أنيس، ثم سرية المنذر بن عمرو الساعدي[8]، ثم سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي[9]، ثم سرية محمد بن مسلمة الأولى، ثم سرية محمد بن مسلمة الثانية، ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح[10]،

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص207–208؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص217.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص5؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص69؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص41؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص245؛ ؛.

(3) سرية عبيدة بن الحارث: إلى بطن رابغ، وهو واد من الجحفة سنة(2هـ=623م). (للمزيد ينظر ابن سعد: المصدر السابق ، ج2، ص7؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص42).

(4) سرية سعد بن أبي وقاص: إلى الخرار، وهو واد يصب بالحجاز سنة(2هـ= 623م). (للمزيد ينظر ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص7؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص42).

(5) سرية عمير بن عدي: إلى عصماء بنت مروان من بني أمية سنة(2هـ= 623م). (للمزيد ينظر ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص27).

(6) سرية زيد بن حارثة: إلى القردة، وهي ماء من مياه نجد بعثه رسول الله ﷺ يعترض عيراً لقريش. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: المصدر السابق، ج3، ص160).

(7) سرية أبي سلمة بن عبد الأسد: إلى قطن وهو جبل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمة سنة(3هـ= 642م). (للمزيد ينظر ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص50؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج3، ص197).

(8) سرية المنذر بن عمرو الساعدي: إلى بئر معونة سنة(3هـ= 642م). (للمزيد ينظر ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص51).

(9) سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي: إلى الرجيع سنة(3هـ= 652م). (للمزيد ينظر ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص55؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص46).

(10) سرية أبو عبيدة بن الجراح: إلى ذي القصة سنة(6هـ=627م). (ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص49).

ثم سرية زيد بن حارثة الثانية[1]، ثم سرية زيد الثالثة[2]، ثم سرية زيد الرابعة[3]، ثم سرية زيد الخامسة[4]، ثم سرية عبد الرحمن بن عوف[5]، ثم سرية علي بن أبي طالب[6]، ثم سرية زيد بن حارثة السادسة[7]، ثم سرية عبد الله بن عتيك، ثم سرية عبد الله بن رواحة، ثم سرية كرز بن جابر الفهري[8]، ثم سرية عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أبي سلمة، ثم سرية عمر بن الخطاب[9]، ثم سرية أبي بكر الصديق[10]، ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري[11]، ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي[12]،

---

(1) سرية زيد بن حارثة الثانية: إلى بني سليم بالجموم على (28كم) من المدينة سنة (6هـ= 627م). (للمزيد ينظر المصدر السابق: ج1، ص49).

(2) سرية زيد بن حارثة الثالثة: إلى العيص بينها وبين المدينة أربع ليال سنة (6هـ= 627م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج1، ص49).

(3) سرية زيد بن حارثة الرابعة: إلى الطرف من ناحية العراق. (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج1، ص49).

(4) سرية زيد بن حارثة الخامسة: إلى حسمى وكانت سنة (6هـ= 627م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج1، ص49).

(5) سرية عبد الرحمن بن عوف: إلى دومة الجندل بين مكة والكوفة سنة (6هـ=627م). (للمزيد ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص89).

(6) سرية علي بن أبي طالب: إلى بني سعد بن بكر سنة (6هـ=627م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص260).

(7) سرية زيد بن حارثة السادسة: إلى وادي القرى، وهو واد بين المدينة والشام. (للمزيد ينظر المصدر السابق: ج1، ص49).

(8) سرية كرز بن جابر الفهري: إلى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ سنة(6هـ= 627م). (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج 2، ص93؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص127).

(9) سرية عمر بن الخطاب: إلى عجز هوازن بتربة على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران سنة (7هـ=628م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص310).

(10) سرية أبي بكر الصديق: إلى بني كلاب بنجد. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص51).

(11) سرية بشير بن سعد الأنصاري: إلى فدك، وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان سنة (7هـ= 628م). (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص118).

(12) سرية غالب بن عبد الله الليثي: إلى الميفعة بناحية نجد والتي بينها وبين المدينة (32كم)، سنة (7هـ= 628م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج2، ص119).

ثم سرية بشير بن سعد[1]، ثم سرية عمرة رسول الله ﷺ القضية[2]، ثـم سـرية ابـن أبـي العوجاء[3]، ثم سرية غالب بن عبد الله[4]، ثم سرية غالب أيضاً، ثم سرية شجاع بـن وهـب الأسدي[5]، ثم سرية كعب بن عمير الغفاري[6]، ثم سرية مؤتة[7]، ثـم سـرية عمـرو بـن العاص[8]، ثم سرية الخبط[9]، ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الأولى[10]، ثم سـرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الثانية[11]، ثم سرية خالد بن الوليد[12]، ثم سرية عمرو بـن

(1) سرية بشير بن سعد: إلى اليمن سنة (7هـ= 628م). (للمزيد ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص142).

(2) سرية عمرة رسول الله ﷺ القضية: لما دخل هلال ذي القعدة سنة(7هـ= 628م) أمر رسـول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية. (للمزيد ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص120).

(3) سرية ابن أبي العوجاء: إلى بني سليم سنة (7هـ=628م). (للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص235).

(4) سرية غالب بن عبد الله الليثي: إلى الميفعة التي بينها وبين المدينة (56كم) سنة (7هـ= 628م). (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكره ، ج2، ص 119).

(5) سرية شجاع بن وهب الأسدي: إلى بني عامر سنة(8هـ=629م). (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص127؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص52).

(6) سرية كعب بن عمير الغفاري: إلى ذات أطلاح وهي من وراء وادي القرى سنة(8هـ=629م). (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكره ، ج2، ص127).

(7) سرية مؤتة: التي قتل فيها جعفر بن أبي طالب، وهي بأدنى البلقاء، والبلقاء دون دمشق سـنة(8هـ= 629م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج2، ص128م).

(8) سرية عمرو بن العاص: إلى سواع صنم هذيل ليهدمه سنة(8هـ= 629م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج2، ص146).

(9) سرية الخبط: أميرها أبو عبيدة بن الجراح بعثه الرسولﷺ إلى حي من جهينة بالقبلية بينها وبين المدينة خمس ليال، أصابهم جوع فأكلوا الخبط وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه وذلك سنة (8هـ= 629م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج 3، ص322).

(10) سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الأولى: إلى خضرة وهي أرض محارب بنجـد سـنة (8هـ= 629م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج2، ص132).

(11) سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الثانية: إلى بطن إضم وبينها وبـين المدينـة ثلاثـة بـرد سـنة (8هـ=629م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج2، ص133).

(12) سرية خالد بن الوليد: إلى العزى وكانت بنخلة كانت لقريش وجميع بني كنانة، وهي أعظم أصـنامهم سنة(8هـ= 628م). (للمزيد ينظر المصدر نفسه: ج2، ص 145).

العاص[1]، ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي[2]، ثم سرية خالد بن الوليد[3]، ثم سرية الطفيل بـن عمرو الدوسي[4]، ثم سرية عيينة بن حصن الفزاري[5]، ثم بعث رسول الله ﷺ الوليـد بـن عقبة[6]، ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة[7]، ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابـي[8]، ثـم سرية علقمة بن محرز المدلجي[9]، ثم سرية علي بن أبي طالب[10]، ثم سرية عكاشـة بـن

---

(1) سرية عمرو بن العاص: بعثه الرسولﷺ حين فتح مكة إلى سواع وهو صنم لهذيل ليهدمه. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص330).

(2) سرية سعد بن زيد الأشـهلي: إلـى منـاة يهـدمها وكانـت بالمـشلل لـلأوس والخـزرج وغـسان سنة(8هـ=629م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص54).

(3) سرية خالد بن الوليد: إلى بني جذيمة من كنانة وكانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يلملـم سـنة(8هـ= 629م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص331).

(4) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي: إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي سنة (8هـ=629م). (للمزيد ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص157).

(5) سرية عيينة بن حصن الفزاري: إلى بني تميم وكانوا فيمـا بـين الـسقيا وأرض بنـي تمـيم وذلـك سنة(9هـ=630م). (للمزيد ينظر المصدر السابق ، ج2، ص160).

(6) سرية الوليد بن عقبة: إلى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم فخرجوا يتلقونه فرحاً به، فرجع وأخبر النبيﷺ أنهم لقوه بالسلاح فهم أن يبعث من يغزوهم فقدموا عليه لما بلغهم الخبر. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص357).

(7) سرية قطبة بن عامر بن حديدة: بعث رسول الله ﷺ قطبة في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تبالة وأمره أن يشن الغارة عليهم وذلك سنة(9هـ= 630م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص358).

(8) سرية الضحاك بن سفيان الكلابي: إلى بني كلاب سنة (9هـ= 630م). (للمزيد ينظر ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص162).

(9) سرية علقمة بن محرز المدلجي: إلى الحبشة سنة(9هـ= 630م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مـصدر سبق ذكره، ج1، ص56).

(10) سرية علي بن أبي طالب: إلى الفلس صنم طيء ليهدمه سنة(9هـ=630م). (للمزيد ينظر ابن سـعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص164).

محصن الأسدي[1]، ثم سرية خالد بن الوليد[2]، ثم سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن يقال مرتين[3]، ثم سرية أسامة بن زيد[4].

ويستدل من عدد السرايا والبعوث التي بعثها الرسولﷺ، وقادها الصحابة رضي الله عنهم ما يلي:

1- الهمة العالية للرسولﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، في الدعوة إلى الدين الجديد، والجهاد في سبيل الله.

2- التحديات الجسام التي واجهت الرسولﷺ طوال دعوته، والتي تزعمها المشركون العرب، واليهود على حد سواء.

3- التعب والألم الذي ألمّ بالصحابة رضي الله عنهم بسبب هذه البعوث والسرايا.

4- القتل الذي استحر في الصحابة رضي الله عنهم، من أجل تبليغ الدعوة الإسلامية، وكسر شوكة المشركين والمنافقين واليهود، وغيرهم من الأعداء، الذين تربصوا بهذه الدعوة وبسيدها الدوائر، وتحينوا الفرصة للانقضاض عليها وإطفاء نورها.

أ – مفهوم السرايا:

السرية: بفتح السين، وكسر الراء، وتشديد التحتية، هي التي تخرج بالليل، والسارية هي التي تخرج بالنهار، وقيل سميت بذلك؛ لأنها تخفي ذهابها، وهذا يقتضي أنها أخذت من السر، وهي قطعة من الجيش تخرج منه، وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون، ثم السين المهملة، فإن زاد على الثمانمائة سميت جيشاً، فإن

---

(1) سرية عكاشة بن محصن الأسدي: إلى الجناب أرض عذرة وبلي سنة (9هـ= 630م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: المنتظم، ج1، ص56).

(2) سرية خالد بن الوليد: إلى بني عبد المدان بنجران سنة (10هـ= 631م). (للمزيد ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج، ص169).

(3) سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن: يقال مرتين إحداهما في شهر رمضان سنة (10هـ=631م). (للمزيد ينظر المصدر السابق: ج2، ص169).

(4) سرية أسامة بن زيد: إلى أهل أبنى وهي أرض السراة ناحية البلقاء سنة (11هـ=632م). (للمزيد ينظر ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص16).

زاد على أربعة آلاف سمي جحفلاً، والخميس الجيش العظيم، وما افترق من السرية، يسمى بعثاً، والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر(1).

وللجهاد في السرايا أجر عظيم، فلقد عدهم الرسولﷺ، من ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: " سبعة في ظل العرش يوم لاظل إلا ظله: رجل ذكر الله ففاضت دموعه، ورجل يحب عبداً لا يحبه إلا لله، ورجل قلبه معلق في المساجد من شدة حبه إياها، ورجل يعطي الصدقة بيمينه يكاد أن يخفيها عن شماله، ورجل عرضت امرأة عليه نفسها ذات جمال وحسب فقال إني أخاف الله رب العالمين، فيتركها لجلال الله عز وجل، ورجل كان في سرية مع قوم فانكشفوا فحمى أدبارها حتى نجا ونجوا أو استشهد"(2).

وكان رسول الله ﷺ، إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبهم بتقوى الله في خاصة نفسه، وبمن معه من المؤمنين، ثم قال: " اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، فإذا أنت لقيت عدوك من المشركين إن شاء الله فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أيهم أجابوك اليها، فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام فإن قبلوا فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإسلام، واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأعلمهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله، الذي يجري على المسلمين، وليس لهم في الفئ، والغنيمة حتى يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"(3).

وكانت سرية حمزة بن عبد المطلب سنة(1هـ= 623م)، أول سرية سرت في الإسلام، وفي سبيل الله، بعثه ﷺ في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار، يعترض عيراً لقريش جاءت من الشام، فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب، وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني(4)، فانصرفوا، ولم يكن بينهما قتال(5).

---

(1) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص363.

(2) العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ج1، ص447.

(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج65، ص281.

(4) مجدي بن عمرو الجهني: من الموادعين للفريقين. (للمزيد ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص12؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص80؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص245.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص6؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص181؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج1، ص513؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج3، ص234؛ ؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج1، ص370.

ورجع أبو جهل إلى مكة وحمزة إلى المدينة(1)، وكان هدف السرايا منع غارات الأعـــراب على المدينة، وحماية الدعاة من غدر القبائل(2).

ويستدل من سرايا الرسولﷺ، والتي بلغت نحو ست وخمسين سرية ما يلي:

1- إن أربعة وأربعين سرية كانت قبل فتح مكة، مما يوضح حجم الجهد الذي بذله الرسول ﷺ، وأصحابه ﷺ في تبليغ دعوة الله عز وجل.
2- إن اثنتي عشرة سرية فقط كانت بعد فتح مكة، وهذا يوضح أثر فتح مكة في أفول نجـــم دولة الشرك.
3- عظم الأجر الذي وعد الله به المجاهدين في السرايا.
4- تشديد الرسولﷺ على الصحابةﷺ في سراياهم وبعوثهم على ضرورة احتـــرام مبـــادئ الإسلام العظيم، وعدم التعرض للمدنيين وقت الحرب بسوء من قريبٍ أو بعيد.

1- الخدع العسكرية للصحابةﷺ في ســـرية عبـــد الله بـــن جحـــش الأسدي(3)

كانت سرية عبد الله بن جحش الأسدي، إلى نخلة(4)، سنة (2هـــ= 624م)، بعثهﷺ، في اثني عَشَر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان بعيراً إلى بطن نخلة، وأمره أن يرصد بها عير قريش، فوردت عليهم فهابهم أهل العير، فحلق عكاشة بن محصن(5) رأســـه، فاطمـــأن

(1) ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج3، ص80.
(2) خطاب: الرسول القائد، ص300.
(3) عبد الله بن جحش الأسدي: أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله ﷺ على سرية إلى نخلة، وفيها تسمى بأمير المؤمنين فهو أول من دعي بذلك. (للمزيد ينظر ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص385؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص89).
(4) نخلة: موضع على يوم وليلة من مكة. (البكري: معجم ما استعجم، ج4، ص1304؛ الحمـــوي: معجـــم البلدان، ج5، ص277).
(5) عكاشة بن محصن: حليف قريش من السابقين الأولين البدريين أهل الجنة، استعمله النبي ﷺ على سرية الغمر فلم يلقوا حرباً. (للمزيد ينظر ابن قانع: معجم الصحابة، ج2، ص253؛ الذهبي: سير أعـــلام النـــبلاء، ج1، ص307).

القوم، وقالوا هم عمار، وشكُّوا في ذلك اليوم هل هو من الشهر الحرام، أم لا؟[1]، ثم قاتلوهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي[2] عمرو بن الحضرمي فقتله، وشدّ المسلمون عليهم، فاستأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان[3]، وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيـــرة المخزومي، واستاقوا العير، وكان فيها حمر، وأدم، وزبيب جاءوا به من الطائف، فقدموا بذلك كله على رسول الله ﷺ، فوقفه وحبس الأسيرين، وكان الذي أسر الحكم بن كيسان، المقداد بن عمرو[4]، فدعاه رسول الله ﷺ، إلى الإسلام فأسلم، وقتل ببئر معونة شـــهيداً[5]، وفـــي هـــذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين[6].

ويتضح مما سبق أهمية معرفة المسلمين مطالع الأشهر الحرم، وانتهائها، وذلك لحرمة الشروع في القتال في هذه الأشهر.

وتظهر مهارة عبد الله بن جحش وخدعه العسكرية في هذه السرية في الآتي:

1-إيفاد الرسولﷺ لعبد الله بن جحش، في اثني عشر رجلا فقط إلى بطن نخلة حدق، قـــصد منه عدم إثارة العيون حول مهمة المسلمين، في رصد عير قريش، إذ لو كان العدد كبيراً للفت انتباه العيون التي تسبق القوافل عادة لمعرفة سلامة الطريق من المخاطر.

2- حلق عكاشة رأسه لحظة وصول عير قريش خدعة، هدفت إلى طمأنة القرشيين- الـــذين ارتابوا من وجود المسلمين في طريقهم- بأنهم عمار، وليسوا عيوناً للرسولﷺ، ويمكن القول

---

(1) الأشهر الحرم: وهي ذو القعدة ، وذى الحجة، ومحرم، ورجب، وهذه الأشـــهر يوضـــع فيهـــا القتـــال. (القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص45)

(2) واقد بن عبد الله التميمي: أول من قاتل في سبيل الله في الإسلام وقتل عمرو بـــن الحـــضرمي، وكـــان إسلامه قبل دخول رسول الله دار الأرقم. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص470؛ البصري: أخبـــار المدينة، ج1، ص259).

(3) الحكم بن كيسان: مولى هشام بن المغيرة المخزومي، والد أبي جهل، أسر في أول سرية جهزها رسول الله ﷺ، فقدموا به على رسول الله ﷺ، فأراد عمر قتله، فأسلم عند رسول الله ﷺ، وقتل شهيداً ببئر معونة. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص109).

(4) المقداد بن عمرو: وكان يقال المقداد بن الأسود فلما نزل قوله تعالى (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) قيل المقـــداد بـــن عمرو، وشهد المقداد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبيﷺ. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النـــبلاء، ج1، ص385؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج6، ص202).

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص10؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص16؛ المكـــي: ســـمط النجوم العوالي، ج2، ص37.

(6) ابن سعد: المصدر السابق، ج2، ص10.

بأن هذه الخدعة هي التي مكنت المسلمين من قتال المشركين، والتغلب عليهم، وأخذ القافلة بما تحمل غنيمة لرسول الله ﷺ.

2- الخدع العسكرية للصحابة رضي الله عنهم في سرية محمد بن سلمة الأنصاري إلى كعب بن الأشرف

لما أصيب أهل بدر، قال كعب بن الاشرف: " قد قتل محمد أشراف الناس، فبطن الأرض خير من ظهرها"[1] فنقض العهد، وخرج إلى مكة في أربعين راكباً، فناح على قتلى بدر وبكاهم، وحرّض المشركين على رسول الله ﷺ، وشبب بنسائهم[2]، فبعث النبيﷺ محمد بن سلمة، وسلكان بن سلامة [3] في نفر، سنة(3هـ= 624م)، فأتوه في جوف الليل، وهو فوق حصنه، فناداه سلكان:" إن هذا الرجل قد يطالبنا بالصدقة، وجئتك برهنٍ لتقرضني طعاما" [4]، فوثب كعب من ملحفته، فتعلقت امرأته بناحية ثوبه، وقالت: إني لأرى حمرة الدم في هذا الصوت، فقال: " دعيني، فلو دعي ابن حرة بليل إلى طعنة لأجاب"[5]، فنزل إليهم، فأخذه سلكان تحت كشحه[6]، وضربوه بأسيافهم، حتى برد، وفيه يقول كعب بن مالك.

فَغُودِرَ مِنْهُمُ كعبُ صرِيعاً   فَذَلّت بعدَ مصرعهِ النضيرُ[7].

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص52؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص197؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص136.

(2) ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج3، ص158.

(3) سلكان بن سلامة: الأنصاري أبو نائلة، وكان من الرماة المذكورين في الصحابة رضي الله عنهم، وكان شاعراً أيضاً، وقيل إن كعب بن الأشرف كان أخوه من الرضاعة. (للمزيد ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ج15، 186؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص137).

(4) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص197.

(5) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص52؛ المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص197؛ المكي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص121.

(6) كشحه: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي. (الرازي: مختارالصحاح، ج1، ص238).

(7) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص33؛ المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص197.

وفي رواية ابن سعد فلما قتلوه، وبلغوا بقيع الغرقد[1]، وكبروا، وقام عليه السلام تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر، وعرف أنهم قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال: "أفلحت الوجوه"[2]، قالوا: "وجهك يا رسولَ الله"[3]، ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله[4]، فلما أصبح قال: "من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه" [5]، فخاف اليهود فلم يطلع منهم أحد، ولم ينطقوا، وخافوا أن يبيتوا كما بيت ابن الأشرف"[6]، وهذه العملية تعني أن أقدر الناس على تنفيذ عمليات الاغتيال، أبعدهم عن الشك به، ومن يمت بقرابة أوصلة رحم أو صداقة من هذا المجرم[7]، وهكذا تفرغ الرسولﷺ –إلى حين– لمواجهة الأخطار التي كان يتوقع حدوثها من خارج المدينة، وأصبح المسلمون وقد تخفف عنهم كثير من المتاعب الداخلية التي كانوا يتوجسونها، ويشتمون رائحتها بين الفينة والأخرى[8].

وتتضح مهارة محمد بن سلمة وسلكان بن سلامة وخدعهما العسكرية في قتل ابن الأشرف في الآتي:

1–بعث الرسولﷺ بنفر قليل من الصحابة ﷺ للقصاص من ابن الأشرف خدعة، هدفت إلى إنجاز العملية بالسرعة القصوى، إذ لو بعث الرسولﷺ بعددٍ كبيرٍ من الصحابة لانتبه اليهود لذلك، وقد تتعرض العملية للفشل.

2– اختيار الرسولﷺ لسلكان بن سلامة، وهو أخو كعب في الرضاعة، ليكون ضمن قادة العملية فطنة، هدفت إلى طمأنة ابن الأشرف، لشكوى المسلمين، واستنزاله من حصنه، بدون أن يأخذ جانب الحيطة والحذر، خصوصاً أن أحد أصحاب الشكوى سلكان، أخوه في الرضاعة.

---

(1) بقيع الغرقد: مقبرة المدينة. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص 265؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص472).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص33.

(3) المصدر السابق: ص33.

(4) المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص123.

(5) أبو داود: سنن أبي داود، ج3، ص110 رقم الحديث3004؛ قال الألباني: حديث ضعيف، ينظر صحيح وضعيف سنن أبي داود، ج7، ص2، رقم الحديث3002.

(6) ابن سعد: مصدر سبق ذكره، ج2، ص33 .

(7) الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص350.

(8) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص261.

3- مجيء سلكان إلى ابن الأشرف في جوف الليل، والطلب منه تقديم المساعدة له؛ ليستطيع دفع الصدقة للرسولﷺ حسن تدبير، هدف إلى إشباع غرور ابن الأشرف، وإفقاده حرصه، وخوفه من المسلمين، كيف لا؛ وهو الذي يحشد الحشود ضد الرسولﷺ، وينتظر المزيد من الخصوم له ﷺ.

4- تشديد الرسولﷺ على المسلمين بقتل كل من ظفروا به من اليهود بعد نجاح قتل ابن الأشرف حسن تدبير، هدف إلى ردع اليهود، وقطع ألسنتهم من العودة مرة أخرى لإيذاء المسلمين، إذ لو لم يصنع ذلك، لتمادى اليهود في غيهم وقدحهم لشخصهﷺ.

3- الخدع العسكرية للصحابة رضي الله عنهم في سرية عبد الله بن أنيس[1]

كانت سرية عبد الله بن أنيس، سنة (4هـ = 625م)، إلى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة[2]، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد قد جمع جموع المشركين على رسول الله ﷺ، فبعث ﷺ عبد الله بن أنيس ليقتله، فقال: صفه لي يا رسول الله! فقال ﷺ: " إذا رأيته هبته، وفرقت منه، وذكرت الشيطان"[3]، قال: وكنت لا أهاب الرجال، واستأذنت رسول الله ﷺ، أن أقوم فأذن لي، فأخذت سيفي حتى إذا كنت ببطن عرنة، لقيته يمشي ووراءه الأحابيش، فعرفته بنعت رسول الله ﷺ، فقال: من الرجل؟ فقلت: رجل لمحمد! سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك، قال: أجل! إني لأجمع له، فمشيت معه، وحدثته فاستحلى حديثي، حتى انتهى إلى خبائه، وتفرق عنه أصحابه، حتى إذا نام الناس عنه قمت إليه على عجل فقتلته، وأخذت رأسه ثم دخلت في الجبل فضربت العنكبوت عليّ، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فرجعوا، ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى بالنهار، حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ، في المسجد، فلما رآني، قالﷺ:" أفلح الوجه"، قلت: " أفلح وجهك يا رسول الله"، فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري، فدفع إليّ عصاه، وقال: تحضر بهذه في الجنة[4].

---

(1) عبد الله بن أنيس: بن سعيد بن حرام بن حبيب بن مالك بن كعب أبو يحيى ممن شهد العقبة وأحداً.
(للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص136؛ ابن قانع: معجم الصحابة، ج2، ص96).

(2) عرنة: وادي عرفة بمكة. (البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص395).

(3) الأصبهاني: أخبار أصبهان، ج1، ص231.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص51؛ ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ج3، ص198.

إن حسن اختيار الأشخاص للمهمات شيء مهم جداً، فابن أنيس وحده أمة يمضي إلـــى بطن عرنة، ويقتل قائد جيش العدو في خبائه، ويختفي في أرضه، بعد أن يحتز رأسه ويعود إلى المدينة(1).

وتتضح مهارة ابن أنيس وخدعه العسكرية في قتل الهذلي في الآتي:

1- إيفاد الرسولﷺ لعبد الله بن أنيس وحيداً للقصاص من الهذلي خدعة، هدفت إلى عدم إثارة الأخير من إقبال رجل واحد إليه، إذ لو بعث الرسولﷺ بأكثر من رجل واحد لاحتاط الهذلي أكثر مما لو لقي رجلاً واحداً.

2- وصف الرسولﷺ الهذلي لابن أنيس فطنة، هدفت إلى ضمان وصول الأخير إليـــه، دون أن يسأل عنه أحداً وذلك؛ لأن السؤال في ظروف كهذه عن شخصية كالهذلي تثيـــر الريبـــة والشك في الشخص السائل.

3- إجابة ابن أنيس القاطعة لسؤال الهذلي حسن تدبير طمأن الأخير منه أكثر، ولو لم توافـــق إجابته رغبة الهذلي، لما كان للأخير حاجة ليقربه منه.

4- حلاوة كلام ابن أنيس للهذلي فطنة، طمأنت الأخير منه إذ لو كان كلامه بخـــلاف ذلـــك لارتاب الهذلي منه، واحتاط.

5- قتل ابن أنيس للهذلي لحظة انتهائه إلى خبائه وتفرق أصحابه عنه فطنـــة، هـــدفت إلـــى ضمان تنفيذ العملية بالسرعة القصوى، فقد لا تتكرر هذه الفرصة مرة أخرى.

6- اختباء ابن أنيس بعد خروجه من معسكر الهذلي بقليل في الجبل فطنة، هدفت إلى تضليل العيون التي انطلقت للبحث عنه، إذ لو استمر بالمسير في طريقه للحق المشركون به، ولكـــن اختباءه قليلاً قطع أمل المشركين في اللحاق به.

7- الخروج من الجبل والسير ليلاً، والكمن نهاراً فطنة أخرى، هدفت إلى الخروج من مسرح العملية، والوصول إلى الرسولﷺ لطمأنته بنجاح العملية.

(1) الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص354.

4- الخدع العسكرية للصحابةﷺ في سرية عبد الله بن رواحة [1]إلــى يسير بن رزام اليهودي

قال ابن سعد: لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمرت يهود عليهم يسير بن رزام، فسار في غطفان وغيرهم، يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، وبلغ ذلك الأمــر رســول الله ﷺ، الذي بعث بعبد الله بن رواحة، في ثلاثين راكباً إلى ابن رزام، وذلك سنة(6هـ= 628م)[2]، فأتوه فقالوا: " أرسلنا إليك رسول الله ﷺ؛ ليستعملك على خيبر"[3]، فلم يزالوا يخادعونه حتى تبعهم، في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديفاً من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة نيار[4]، نــدم يسير بن رزام، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة، ففطن له عبد الله، فزجــر بعيــره، حتى استمكن منه، فضرب رجله فقطعها، واقتحم ابن رزام وفي يده مخراش[5] من شوحط[6]، فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه، وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفة فقتلــه، غير رجل واحد من اليهود، ولم يصب من المسلمين أحدٌ، وبصق رسول الله ﷺ في شجة عبد الله بن رواحة، فلم تقيح، ولم تؤذه حتى مات[7].

ويتضح مما سبق أهمية ملاحقة كل من يناصب المسلمين العداء، ويحشد لهم الحــشود للنيل من دعوتهم، وإعمال السيف في عنقه، واستعمال كــل وســائل الترغيــب والترهيــب للوصول إليه.

---

(1) عبد الله بن رواحة: ابن ثعلبة بن امريء القيس البدري الشاعر، شهد بدراً، والعقبة، ويكنى أبا محمد وأبا رواحة. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص230-231؛ النسائي: فضائل الصحابة للنــسائي، ج1، ص43).

(2) الطبقات الكبري، ج3، ص526.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص263.

(4) قرقرة نيار: على بعد (9 كم) من خيبر. (للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص221).

(5) مخراش: أَقَذُّ، أو حاد. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص296).

(6) شوحط: ضرب من شجر الجبال يتخذ منه العشب. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثــر، ج2، ص508).

(7) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص262؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص4.

وتتضح مهارة عبد الله بن رواحة وخدعه العسكرية في استدراج ابن رزام في الآتي:-

1- إيفاد الرسولﷺ الشاعر ابن رواحة في ثلاثين راكباً إلى ابن رزام حدق، هدف إلى طمأنة الأخير برغبة الرسولﷺ في استعماله على خيبر، ولعل ترؤس ابن رواحة لهذا الوفد دليل على ذلك.
2- فطنة ابن رواحة في طريق العودة من ابن رزام نباهة، فوّتت على الأخير انتزاع سيفه، ولولا هذه الفطنة لأفلت ابن رزام في منتصف الطريق، ولفشلت عملية إلقاء القبض عليه.
3- انكفاء كل رجل من المسلمين على رديفه وقتله؛ حسن تدبير هدف إلى قطع الطريق على اليهود من الهروب، ومن ثم العودة لحشد الجموع لحرب الرسولﷺ.

5- الخدع العسكرية للصحابة في سرية عمرو بن أمية الضمري[1]

كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: " ما أحد يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا"[2]، فقال رجل من العرب: " إن قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل حافية النسر"[3]، فأعطاه بعيراً ونفقة فخرج ليلاً فسار على راحلته خمسة أيام، وأقبل يسأل عن رسول الله ﷺ، حتى دلَّ عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو قاعد في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله ﷺ ، قال: إن هذا ليريد غدراً"، فجذبه أسيد بن الحضير[4]، فإذا بالخنجر فسقط في يديه وقال: دمي دمي، فقال رسول الله ﷺ: اصدقني، ما أنت؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم! فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان فخلى

(1) عمرو بن أمية الضمري: شهد بدراً وأحداً مع المشركين، وكان شجاعاً، ثم أسلم فأول مشهد شهده في الإسلام بئر معونة فأسرته بنو عامر، فلما انصرف من بئر معونة لقي رجلين من بني كلاب فقتلهما، وقد كان لهما من رسول الله ﷺ أمان فوداهما رسول الله ﷺ، وهما القتيلان اللذان خرج رسول اللهﷺ، بسببهما إلى بني النضير يستعينهما في ديتهما. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص180).

(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج45، ص426؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص69.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص94؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص265؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج4، ص69.

(4) أسيد بن الحضير: أحد النقباء ليلة العقبة، شريفاً في قومه، وفي الإسلام. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص342؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص83).

عنه رسول الله ﷺ، وأسلم[1] فقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري، ولسلمة بن أسلم بن جريش[2]: "اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غـرة فـاقتلاه" [3]، قـال: عمرو: فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج[4] فقيَّدنا بعيرنا، وقال لي صـاحبي: يـا عمرو! هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعاً، ونصلي ركعتين؟، فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك، إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها، وإني أعرف من الفرس الأبلق، فـأبى عليّ فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً، فلما خرجت لقيني معاوية بن ابي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية الضمري، واحزناه!، فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو بن أمية في خير، وكان عمرو فاتكاً في الجاهلية، فحشد أهل مكة، وتجمعوا، وهرب عمرو و سلمه، وخرجـوا في طلبهما، واشتدوا في الجبل، قال عمرو: فدخلت غاراً فتغيبت عنهم حتى أصبحت، وباتوا يطلبوننا في الجبل، فلما كان ضحوة الغد، أقبل عثمان بن مالك بن عبد التميمي، يختلي لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة، وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال: فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجـري فـسقط وصاح، فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم، ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه، وقلت لصاحبي: لا تتحرك فأقبلوا حتى أتوه، وقالوا: من قتلك؟، قال:عمرو بن أمية الضمري، فقال أبو سفيان: قد علمت أنه لم يأتِ لخير، ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، فإنه كان بـآخر رمـق، فمـات، وشُغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى سكن عنا الطلب، ثم خرجنا إلى التنعيم[5][6].

ويتضح مما سبق أهمية التقيد التام بتعليمات القيادة العليا للمسلمين، وعدم الخروج عنها إلا للضرورة؛ لأن من شأن الخروج عن تعليمات القيادة حرف العملية عن هدفها كما حصل في هذه السرية.

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص265 ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص69.

(2) سلمة بن أسلم بن حريش: ابن عدي شهد بدراً فأرسله النبيﷺ مع عمرو بن أمية بعد وقعة بني النضير ليقاتل أبا سفيان. (للمزيد ينظرابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص142).

(3) البيهقي: السنن الكبرى، ج9، ص213، رقم الحديث19256 .

(4) بطن يأجج: واد ينصب من مطلع الشمس إلى مكة قريب منها. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج4، ص1385).

(5) التنعيم: موضع بمكة. (الحموي: معجم البلدان، ج2، ص49).

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص80؛ ابن عساكر: تاريخ مدينـة دمـشق، ج45، ص22؛ ابـن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص61؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص71.

ولم يكتف عمرو بن أمية الضمري بذلك، ولكنه مضى مرة أخرى لمخادعة قريش حينما أشار عليه رفيقه أن ينزل خبيب بن عدي، فقلت: أين هو؟ قال: هو ذاك المصلوب، فقلت: أمهلني، وتنح عني، فإن خشيت شيئاً فانج إلى بعيرك، فاقعد عليه فأت رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة، ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري، فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً، حتى استيقظوا فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة، فما أنسى صوتها، ثم أهلت عليه التراب برجلي، فأخذت طريقي فأعيوا ورجعوا[1].

ويستطرد عمرو بن أمية الضمري، في وصف طريق عودته إلى المدينة بقوله: فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه، وأتى النبيﷺ، فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على العليل، عليل ضنجان[2]، فدخلت في غار معي سلاحي، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل أعور طويل يسوق غنماً، فدخل الغار، وقال: من الرجل؟، فقلت: رجل من بني بكر، فقال: وأنا من بني بكر، ثم اتكأ، ورفع عقيرته[3] يتغنى ويقول:

فلستُ بمسلمٍ ما دمتُ حياً   ولستُ أدِينُ دينَ المسلمينَا[4].

ويقول لما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط، ثم خرجت حتى هبطت فإذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان الأخبار، فقلت: استسلما فأبى أحدهما فرميته فقتلته، فلما رأى ذلك الآخر استسلم فشددت وثاقه، ثم أقبلت به إلى النبيﷺ، وأتيته بالرجل، فرأيت النبيﷺ، وهو يضحك، ثم دعا لي بخير وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام[5].

إن ما سبق يوضح أهمية اختيار الأشخاص العارفين بدروب ومسالك المكان الذي يريدون التوجه إليه وذلك؛ ليستطيعوا الانسحاب إن دعت الضرورة لذلك، دون أن يستطيع عدوهم اللحاق بهم، ولعل معرفة عمرو بن أمية الضمري الجيدة لدروب ومسالك مكة، هي التي أعمت عيون قريش عنه، وساعدته في الاختباء أكثر من مرة، دون أن تستطيع قريش الإمساك به، رغم عملية الملاحقة التي استنفرت قريش لها جميع أبنائها.

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص71.

(2) عليل ضنجان: لم أجد لها ترجمةً.

(3) عقيرته: منتهى الصوت. (ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص593).

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص365؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص62؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص171.

(5) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج45، ص429؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص71.

وتتبين مهارة عمرو بن أمية الضمري وخدعه العسكرية في هذه السرية في الآتي:

1- إيفاد الرسولﷺ للضمري وابن جريش في سرية لقتل أبي سفيان خدعة، إذ لو بعث الرسولﷺ بأكثر من اثنين لهذه المهمة لانكشف الأمر، ولاحتاط أبو سفيان أكثر.
2- هروب الضمري، وابن جريش بعد انكشاف أمرهما إلى الجبل حسن تدبير، قصد منه قطع الطريق على جموع المشركين من الإمساك بهما، بخلاف لو هرب إلى منطقة سهلية لسهل على المشركين الإمساك بهما.
3- توجه الضمري إلى جثمان خبيب بن عدي، والطلب من ابن جريش التنحي عنه قليلاً نباهة، هدفت إلى ترك الفرصة للأخير من العودة إلى الرسولﷺ في حالة حدوث طارئ للضمري، ووضع الرسولﷺ في صورة ما حصل؛ لاتخاذ ما يلزم.
4- قتل الضمري لعثمان بن مالك عند أول اقترابه من باب الغار فطنة، قصد منها عدم فضح عثمان بن مالك لأمر وجودهما في الغار، مع ما يترتب على ذلك من عودة كل قريش لمكانهما في الغار، وأسرهما أو قتلهما.

6- الخدع العسكرية للصحابة﵃ في سرية خالد إلى بني جذيمة[1] بن كنانة

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، إلى بني جذيمة أسفل مكة داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، وذلك سنة(8هـ = 630م)، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً، فلما وصل إليهم قال لهم: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا، وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا، وأذّنا فيها، قال: فما بال السلاح عليكم؟، قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا معهم، قال: فضعوا السلاح، فوضعوه، فقال: استسلموا! فاستسلموا، فأمر بعضهم يكتف بعضاً، وفرقهم في أصحابه، فلما كان السحر نادى خالد بن الوليد من كان معه أسير فليجهزعليه بالسيف، فأما بنو سليم من أصحابه فقتلوا من كان معهم، وأما المهاجرون

(1) بنوجذيمة: حي من عبد القيس ومنازلهم البيضاء بناحية الخط من البحرين، وجذام قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى بالقرب من المدينة المنورة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص214).

والأنصار فأرسلوا أسراهم فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: " اللهم إني ابرأ إليك مما صنع خالـد"[1]، وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فودى قتلاهم[2].

ويتضح مما سبق رغم براءة الرسولﷺ منه، قدرة خالد بن الوليد في التغلب على جمع من الرجال المسلحين، بكل يسر وسهولة، ودونما إراقة نقطة دم واحدة.

وتتبين مهارة خالد بن الوليد وخدعه العسكرية لبني جذيمة في الآتي:

1- سؤال ابن الوليد لبني جذيمة عن دواعي حملهم السلاح حدق، هدف إلى التأكـد مـن أن حملهم السلاح ليس ضد المسلمين.
2- طلب ابن الوليد من بني جذيمة أن يستأسر كل منهم الآخر خدعة، هدفت إلى ضمان عدم تمرد أحد منهم، والعودة إلى حمل السلاح، مما قد يعرض المسلمين للخطر.
3- تفريق ابن الوليد لبني جذيمة بين أصحابه خدعة أخرى، هدفت إلى التأكد مـن سـيطرة المسلمين الكاملة على بني جذيمة انتظاراً لساعة الصفر.

7- الخدع العسكرية للصحابة رضي الله عنهم في سرية بني حدرد إلى الغابة[3]

قال الصحابي الجليل أبو حدرد: تزوجت امرأة من قومي فأتيت رسول الله ﷺ، أستعينه على نكاحي، فقال: كم أصدقت؟ فقلت: مائتي درهم، فقال: والله ما عندي ما أعينك به، فلبثت أياماً ثم أقبل رجل من جشم[4]يقال له رفاعة بن قيس، في بطن عظيم من جشم حتـى نـزل بقومه، ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول اللهﷺ، قال: فدعاني رسول الله ﷺ، ورجلين من المسلمين فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم، وقدم لنا شارفاً[5] عجفاء، فحمل عليه أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً، وقال: تبلغـوا علـى هـذه فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريباً من معسكر القوم مع غـروب

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، ج5، ص160، رقم الحديث 4339.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص16؛ لطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص164 ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص313؛ العليمي: الأنس الجليل، ج1، ص209.
(3) الغابة: على بعد (5 كم) من المدينة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص182).
(4) جشم: حَيٌّ من تَغْلِبَ وهم الأَراقِمُ. (ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص101).
(5) شارف: الناقة المُسِنَّة. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص462).

الشمس، فكمنت في ناحية، وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من معسكر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبرت، وشددت في العسكر فكبرا، وشدا معي، فو الله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً، وقد غشينا الليل، وقد كان لهم راعٍ قد سرح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، فقال: والله لأتيقنن أمر راعينا، فقال نفر معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك، فقال: لا! إلا أنا، قالوا: نحن معك، فقال: والله لا يتبعني منكم أحد، وخرج حتى مرَّ بي، فلما أمكنني نفحته بسهم في فؤاده، فوثبت إليه فاحترزت رأسه، ثم شددت ناحية العسكر وكبرت، وشد صاحباي وكبرا، فوالله ما كان إلا أن هرب القوم بكل ما قدروا عليه من نسائهم، وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم، واستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فجئت بها إلى رسول الله ﷺ، وجئت برأسه أحمله معي فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي فجمعت إلى أهلي[1].

ويتضح مما سبق موقف الشرك الثابت من الدعوة الإسلامية في كل عصر ومصر، ألا وهو تجنيد كل الإمكانات من أجل استئصال هذه الدعوة الإسلامية من جذورها، ولكن حفظ الله للدعوة جعل كيد المشركين في نحورهم .

وتظهر مهارة أبي حدرد وخدعه العسكرية في هذه السرية في الآتي:

1- بعث الرسول ﷺلأبي حدرد، ورجلين من المسلمين فقط إلى بني جشم خدعة، إذ لو بعثه الرسولﷺ في عدد كثير لانكشف أمره، ولفشلت العملية.

2- مجيء أبي حدرد وصاحبيه مع غروب الشمس إلى معسكر جشم فطنة، هدفت إلى عدم لفت انتباه المشركين إليهم وذلك؛ لأن الاقتراب من معسكر المشركين يسهل على المسلمين معرفة أسرار عدوهم عن قرب.

3- الكمن في مكانين رغم قلة عدد المسلمين خدعة، هدفت إلى ضمان حماية ظهر أبي حدرد أثناء هجومه على معسكر المشركين.

4- التكبير بصوتٍ عالٍ خدعة أخرى هدفت إلى إدخال الرعب، والخوف في قلوب المشركين، وإشعارهم بأن جمعاً من المسلمين قد هاجمهم، ولو لم يفعل أبوحدرد ذلك لما استشعر المشركون بثلاثة مسلمين يهاجمونهم في معسكرهم، الذي يستعدون فيه للهجوم على الرسولﷺ في المدينة.

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص186؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج27، ص340-341؛ ابن كثير: البداية النهاية، ج4، ص224.

8- الخدع العسكرية للصحابةﷺ في سرية أبي قتادة بن ربعي[1] إلـــى بطن إضم

كانت سرية أبي قتادة سنة(8هــ =630م)[2]، إلى بطن إضم، حول المدينة، ليظن ظان أن رسول الله ﷺ، توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، وكان في السرية محلـم بن جثامة الليثي[3]، فمر عامر بن الأضبط الأشجعي[4] فسلم بتحية الإسلام، فأمسك عنه القوم، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله، فلما لحق بالنبيﷺ نزل فيهم قوله تعالى: {يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنـاً تَبْتَغُـونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }[5].

وتتبين مهارة الرسولﷺ، وخدعه العسكرية في إيفاد هذه السرية إلى بطن إضم قبل فتح مكة، وذلك لتشتيت جيش المشركين، ولو لم يصنع الرسولﷺ ذلك، لظلت قريش كلهـا فـي انتظاره، ولصعب عليه فتح مكة.

---

(1) أبو قتادة بن ربعي: الأنصاري المشهور أن اسمه الحارث، اختلف في شهوده بدراً، واتفقوا على أنه شهد أحداً، وما بعدها، وكان يقال له فارس رسول الله ﷺ. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص327).

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص512؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج67، ص149 ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص223.

(3) محلم بن جثامة الليثي: أخو الصعب بن جثامة نزل حمص ومات بها أيام ابن الزبير، ويقال إنـه الـذي مات في حياة رسول الله ﷺ. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج5 ، ص785).

(4) عامر بن الأضبط الأشجعي: هو الذي قتلته سرية رسول الله ﷺ يظنونه متعوذاً بقول لا إله إلا الله، فوداه رسول الله ﷺ، وقال لقاتله: "هلا شققت عن قلبه". (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج3 ، ص576).

(5) سورة النساء: الآية 94.

9- الخدع العسكرية للصحابة ﷺ في سرية غالب بن عبد الله الليثي[1]

بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي في سرية، فأمره أن يشن الغارة على بني الملوح بالكديد[2]، قال: فخرجنا حتى إذا كنا بقديد[3] لقينا الحارث بن برصاء الليثي، فأخذناه فقال: إنما جئت أريد الإسلام، فقلنا: إن تكن مسلماً فلن يضرك رباط يوم وليلة، وخلفت عنده رويجلاً منا، ثم قلنا إن نازعك فاجتز رأسه، ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكمنًا في ناحية الوادي، فبعثني أصحابي ربيئة[4] لهم، فخرجت فأتيت تلاً مشرفاً يطلعني عليهم، ثم انبطحت عليه فوالله إني لأنظر إذ خرج رجل منهم من خبائه، فقال لامرأته: والله إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته أول يومي هذا فانظري إلى أوعيتنا لا تكون جرت الكلاب منها شيئا، قال: فنظرت، ثم قالت: والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً، قال: فقال: ناوليني قوسي ونبلي، قال: فناولته قوسه، وسهمين معها، فأرسل سهماً، فوالله ما أخطأ جنبي، ونزعته وثبت ثم أرسل الآخر، فوضعه في منكبي فانتزعته وثبت، فقال لامرأته: والله لو كان ربيئة لتحركت، والله لقد أصابها سهماي، قال: ثم دخل وراحت الماشية من إبلهم وأغنامهم، فلما احتلبوا، واطمأنوا، وناموا شننا عليهم الغارة، وقتلنا واستقنا الغنم، وخرج صريخ القوم وقومهم، وجاءنا ما لا قبل لنا به، وخرجنا حتى مررنا بابن البرصاء فاحتملناه، وأدركنا القوم، حتى نظرنا إليهم، ما بيننا وبينهم إلا الوادي، إذ جاء الله بالوادي من حيث شاء، وايم الله تعالى ما رأينا قبل ذلك سحاباً ولا مطراً، فجاء بما لا يستطيع أحد أن يحوزه، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا، لا يقدرون فيه على طلبنا[5].

ويتضح مما سبق حفظ الله لأوليائه الذين أخلصوا النية للجهاد في سبيله، حيث يجري الله عز وجل كثيراً من الكرامات التي تحفظ المجاهدين وقت العسرة.

---

(1) غالب بن عبد الله الليثي: أحد بني كلب بن عوف. (ابن الضحاك: الآحاد والمثاني، ج5، ص55).

(2) الكديد: موضع بين مكة والمدينة. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج4، ص1119).

(3) القديد: اسم موضع قرب مكة. (الحموي: معجم البلدان، ج3، ص346).

(4) ربيئة: عَين القوم. (ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص82).

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص125.

وتظهر مهارة ابن الليثي وخدعه العسكرية في التصدي لبني الملوح في الآتي:

1- أخذ المسلمين لابن البرصاء في طريقهم إلى الكديد حدق وذلك؛ خشية أن يكـون عينـاً للمشركين فتفشل العملية بكاملها.

2- خلف الليثي رويجلاً عند ابن البرصاء حدق أيضاً؛ خـشية أن يهـرب ويـسرب إلـى المشركين خبر سير المسلمين للكديد، في حالة كونه عيناً للمشركين.

3- مجيء المسلمين إلى الكديد عند غروب الشمس، ومن ثم الكمن في ناحية الوادي خدعـة، هدفت إلى عدم إشعار المشركين بوصولهم، كما أن الكمن ليلاً بالقرب من معسكر المشركين حدق، لمعرفة كل ما يدور داخل معسكرهم حتى لا يفاجأ المسلمون بما يعدّه المشركون لهم.

4- تقدم ابن الليثي ليكون عيناً للمسلمين، ومجيئه تلاً مشرفاً يطل على المشركين فطنة، هدفت إلى الوقوف على أسرار المشركين عن قرب، ولو لم يصنع ذلك لما عرف المسلمون إمكانات المشركين العسكرية، ليسهل التعامل معها.

5- ثبات ابن الليثي عند شك أحد المشركين به، ورميه بسهمين حدق، انطلى على المشركين، ولو تحرك قليلاً لانكشف أمره، وكثر رميه بالسهام، ولاحتاط المشركون أكثر.

6- شن الغارة على المشركين ليلاً مباشرة بعدما رمى المشركون ابن الليثي بسهمين ظناً منهم بأنه عين متقدمة خدعة، وذلك لاستبعاد المشركين الغارة عليهم في هذه الساعة بعدما تأكـدوا بأن ابن الليثي ليس عيناً للمسلمين.

7- انسحاب المسلمين لحظة ملاحقة المشركين لهم، وحمل ابن البرصاء في طريقهم فطنـة، هدفت إلى عدم ترك أي أثر يدل على طبيعتهم.

10- الخدع العسكرية للصحابة ﷺ في سرية سالم بن عمير[1]

كانت سرية سالم بن عمير، إلى أبي عفك اليهودي سنة (2هـ= 624م)[2]، وكان أبـو عفك شيخاً كبيراً قد بلغ مائة وعشرين سنة، وكان يهودياً، وكان يحرّض على رسول الله ﷺ، ويقول الشعر، ويقول: " ما أهدى قوم إلى رحالهم شراً من هذا الحرمي الذي أخرجته لحمتـه

(1) سالم بن عمير: شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد البكائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وهو يريد أن يخرج إلى تبوك يستحملونه فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وأعينهم تفيض من الـدمع. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، 3، ص10).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص28؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص135.

وبنو أبيه[1]، فقال سالم بن عمير: "عليّ نذر أن أقتل أبا عفك، أو أموت دونه"[2]، فظل يرصد حركة أبي عفك، حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عفك بالفناء، وعلم به سالم بن عمير فأقبل فوضع السيف في كبده، ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، فصرخ عدو الله، فهرع إليه ناس من هم على قوله، فأدخلوه منزله، وقبروه[3].

ويتضح مما سبق موقف اليهود العدائي الثابت من الرسولﷺ، رغم أنه حق وقد جاء ذكره في توراتهم التي يعبدونها.

فقالت أمامة المريدية في ذلك:

تُكذّبُ دينَ اللهِ والمرءُ أحمدا ... لعمرِ الذي أمنَاكَ أنْ بِئسَ ما يُمنَي
حَبَاكَ حَنِيفُ آخرَ الليلِ طعنةً ... أبا عِفْكَ خُذْهـا على كبرِ السنِ[4].

وتَبيْنُ مهارة ابن عمير وخدعه العسكرية في قتل أبي عفك فيما يلي:

1- تأخير ابن عمير قتل أبي عفك حتى تحين الفرصة لذلك فطنة، هدفت إلى اختيار الوقت المناسب للوصول إلى أبي عفك وذلك لأن؛ اختيار الوقت هام جداً في تنفيذ عمليات القصاص، فالاستعجال غالباً ما يكون سبباً من أسباب الفشل.

2- مجيء ابن عمير إلى أبي عفك في ليلة صائفة خدعة، هدفت إلى الوصول إليه وهو نائم في الفناء؛ ليسهل قتله، إذ لو جاءه في غير هذه الساعة لما استطاع الظفر به بهذه السهولة.

(1) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص195.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص28.

(3) المصدر السابق: ج2، ص28.

(4) المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص195.

11- الخدع العسكرية للصحابة﷿ في سرية عبد الله بن عتيك[1] إلـــى أبي رافع سلام بن أبي حقيق النضري[2]

كان أبو رافع سلام بن أبي حقيق اليهودي، قد حزَّب الأحـــزاب علـــى رســـول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ، في قتـــل سلام بن أبي الحقيق، فأذن لهم، فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفرٍ، وأمَّـــر علـــيهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، قال عبـــد الله: اجلـــسوا مكانكم فإني منطلق متلطف للبواب، لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنَّع بثوبـــه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنـــت تريـــد أن تـــدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد على ود[3]، قال: فقمت إلى الأقاليد، وأخذتها وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، فلمـــا ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو مـــن البيت، قلت: أبا رافع، قال: من هذا ؟، فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة، وأنـــا دهش، ثم وضعت صبيب[4] السيف في بطنه، حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته[5]، فجعلت أفتح الأبواب، وأخرج حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي وأنا أظن أنـــي انتهيـــت إلـــى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة وانكسرت ساقي فعصبتها بعمامتي، وجلست عند الباب فقلت: والله لا أبرح حتى أعلم أقتلته أم لا؟ فلما صاح الديك قام الناعي فقال: أنعي أبا رافـــع تـــاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاة قد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ، فحدثته فقال: ابسط رجلك فبسطتها، فكأني لم اشتكها قط[6].

ويتضح مما سبق الروح القتالية العالية للمسلمين في مواجهة الأخطـــار التـــي تتهـــدد دعوتهم، والسعي بكل السبل والوسائل إلى ملاحقة أعداء هذه الدعوة حتى لو اضطر الأمـــر إلى الوصول إليهم في عقر دارهم.

---

(1) عبد الله بن عتيك: أخو جابر بن عتيك من جلة الأنصار ومشايخ الأوس توفى بالمدينة. (للمزيد ينظر ابن قانع: معجم الصحابة، ج2، ص115؛ ابن حبان: مـــشاهير علمـــاء الأمـــصار، ج1، ص25؛ ابـــن حجـــر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص167).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص41.

(3) ود: الوّدُّ بالفتح الوتد في لغة أهل نجد. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص297).

(4) صبيب: وضعت صبيب السيف في بطنه أي طرفه. (ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص518).

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص139.

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص57؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص43.

وتظهر مهارة ابن عتيك وخدعه العسكرية في هذه السرية حسب الرواية الأولى فيما يلي:

1- خروج الخزرج في خمسة نفر على رأسهم ابن عتيك خدعة، إذ لو خرج لهذه العملية عدد أكثر من ذلك، لارتاب اليهود، واحتاطوا لأمرهم، مما يعني فشل العملية.

2- الاقتراب من مكان العملية وقت غروب الشمس، وتحديداً بعد رواح الناس إلـى بيـوتهم حسن تدبير، هدف إلى مراقبة مسرح العملية عن كثب.

3- اقتراب ابن عتيك وحيداً بلطف اتجاه البواب فطنة، هدفت إلى عدم إثارة البواب لأي شيء غريب في المكان مما يستدعي إحضار قوات عسكرية؛ لمسح المنطقة أمنياً وتفتيشها، وهـذا بدوره يعرض العملية كلها للخطر.

4- تقنع ابن عتيك كأنه يقضي حاجته خدعة، هدفت إلى تضليل البواب، فظهوره بمظهر الذي يقضي حاجته طمأن البواب، حتى أنه نادى عليه لدخول المكان، لأن وقت إغلاق البوابة قـد حان.

5- كُمُونُ ابن عتيك داخل الحصن بالقرب من البوابة فطنة، هدفت إلى الاستيلاء على مفاتيح الحصن، بعدما ينتهي اليهود جميعاً من الدخول إلى الحصن.

6- إغلاق ابن عتيك لكل باب بعد فتحه في طريقه إلى أبي رافع فطنة أخرى، هـدفت إلـى الانفراد به وقتله وحيداً؛ وذلك خشية أي نجدة قد تفشل كل هذا الجهد بعد الوصول إليه.

7- مناداة ابن عتيك على أبي رافع في الظلام خدعة، هدفت إلى معرفة من هو أبو رافع من بين الموجودين من أهله، لعدم معرفة ابن عتيك به قبل ذلك، ولو لم يفعل ذلك لمـا اسـتطاع الوصول إليه بهذه السهولة.

وفي رواية أخرى أنهم لما أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، لم يدعوا بيتا في الـدار حتـى أغلقوه على أهله، قال: وكان أبو الحقيق في عريش له فوق البيت فخرجـت إلـيهم امرأتـه فقالت: من أنتم؟، قالوا: أناس من العرب نلتمس الميرة قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليـه، فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة، قال: فصاحت امرأته فنوهت بنا، فابتدرناه وهو علـى فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلنا عليه من سواد الليل إلا بياضه، كأنه قبطية ملقاة، قـال: فلمـا صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكف يـده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل، قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بـسيفه في بطنه، حتى أنفذه، وهو يقول قطني قطني، أي حسبي حسبي[1]، وجعل القـوم يـضربونه

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص57؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص137.

جميعاً، ثم نزلوا فصاحت امرأته، فتصايح أهل الدار، واختبأ القوم في بعض مناهر[1] خيبر، وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران فلم يروهم، فرجعوا[2]، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن الطلب، ثم خرجوا مقبلين إلى المدينة كلهم يدعي قتله، فقدموا على رسول الله ﷺ، فقال ﷺ :" أفلحت الوجوه"، فقالوا: " أفلح وجهك يا رسولَ الله، وأخبروه خبرهم فأخذ أسيافهم فنظر إليها، فإذا أثر الطعام في ذباب[3] سيف عبد الله بن أنيس فقال عليه الصلاة والسلام: هذا قتله[4].

وفي قتل أبي رافع قال حسان بن ثابت[5]:

لله درُ عصابةٍ لاقيْتَهُمْ ... يا ابنَ الحقيقِ وأنتَ يا ابنَ الأشرفِ
يسرونَ بالبيضِ الخفافِ إليكُم ... مرحاً كأسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرفِ
حتى أتُوكم في محلِ بلادكُمْ ... فَسقوكمْ حَتْفَاً ببيضٍ ذَفّفِ
مستبصرينَ لنصرِ دينِ نبيهِمْ ... مستصغرينَ لكلِ أمرٍ مُجْحِفِ[6]

ويتضح مما سبق التنافس الشديد بين الأوس والخزرج في الذود عن رسول الله ﷺ، فحينما قتل الأوس كعب بن الأشرف، ظل الخزرج يتحينون الفرصة لعمل يضاهي عمل الأوس أو يفوقه، فكانت سرية عبد الله بن عتيك الذي استطاع الوصول إلى وكر أبي رافع سلام بن أبي حقيق اليهودي، والفتك به رغم الاحتياطات الأمنية التي احتاطها أبو رافع.

---

(1) مناهر: خرق في الحِصْنِ نافذٌ يدخل فيه الماء. (ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص237).
(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص261.
(3) ذباب: ذُبابُ السيف طَرَفُه الذي يُضرَبُ به. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص52).
(4) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص261.
(5) حسان بن ثابت: شاعر رسول الله ﷺ. (للمزيد ينظر ابن حبان: مشاهير علماء الأنصار، ج1، ص12؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص62؛).
(6) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص137.

وتتضح مهارة ابن عتيك وخدعه العسكرية في هذه السرية حسب الرواية الثانية في الآتي:

1- المجيء ليلاً إلى دار ابن أبي حقيق، وإغلاق جميع الأبواب على أصحابها خدعة، هدفت إلى قطع أي نجدة قد تصل إلى ابن أبي حقيق تجعل موقف المسلمين الذين لا يزيدون عن خمسة أشخاص في حرجٍ شديد.

2- إجابة المسلمين لزوجة ابن أبي حقيق عند سؤالها عن حقيقتهم، أنهم يلتمسون الميرة فطنة، هدفت إلى الوصول إلى ابن أبي حقيق على انفراد وذلك لقتله بسهوله.

3- اختباء القوم بعد تنفيذهم العملية في حصون خيبر ليومين متتابعين حذق، هدف إلى تضليل اليهود من اللحاق بهم، إذ لو سار المسلمون في طريقهم للحق اليهود بهم، وألقوا القبض عليهم، وقتلوهم.

وعاد المسلمون إلى المدينة وقد أزالوا عن طريق الدعوة عدواً لدوداً، وتسامع الناس بعاقبة من يؤلِّب الناس على المسلمين، مما زاد هيبة المسلمين في النفوس، وجعلهم يسيطرون سيطرة تامة على المدينة، فلم يبق فيها أي صوت لليهود أوالمنافقين(1).

وبانتهاء الغزوات والسرايا يكون الرسولﷺ قد أطاح إلى غير رجعة بدولة الكفر قريش؛ لينطلق المسلمون بعد ذلك إلى خارج الجزيرة العربية؛ لتبليغ الدين الجديد، وليبدأ فصل جديد من فصول المواجهة، ولكن هذه المرة مع دولتي الفرس، والروم؛ ليخوض المسلمون على جبهتي الفرس والروم معارك قاسية لازالت إلى يومنا هذا موضع تحليل الخبراء العسكريين والسياسيين على حدٍ سواء.

---

(1) خطاب: الرسول القائد، ص248.

الفصل الثاني

الخدع العسكرية للمسلمين على الجبهة الشرقية

المبحث الأول: الخدع العسكرية للمسلمين في فتح العراق وبلاد فارس

المبحث الثاني: الخدع العسكـــــرية للمسلمين في فتـــح بلاد الشام

المبحث الثالث: الخدع العسكــــرية للمسلمين في فتـــح مصـــــــر

المبحث الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح العراق وبلاد فارس

تطلع الخليفة أبو بكر الصديقﷺ(11-13هـ=632-634م) إلى فتح العراق بعد انتهاء حروب الردة، ولقد وقع اختيار الخليفة للقيام بهذه المهمة في بادئ الأمر علـــى المثنـــى بـــن حارثة الشيباني[1]، ولقد ضلع الأخير في الإغارة على سواد العراق، الذي كان تحت ســيطرة الإمبراطورية الساسانية، ولعل انتصار المثنى في معركة ذي قار[2]، كان نقطة تحــول فـــي تاريخ الدولة الساسانية، التي بدأت قوتها تتراجع أمام قوة المسلمين.

ولم يكتف الخليفة أبو بكرﷺ بذلك، بل أسرع إلى بعث خالد بن بن الوليد؛ ليتولى عملية تحرير العراق، وذلك إلى جانب المثنى، ويمكن القول بأن توجه الخليفة أبي بكرﷺ مبكراً إلى فتح العراق، جاء لقطع الطريق على القبائل العربية التي ارتدت عن الإسلام للجوء إلى جنوب العراق، وتنظيم صفوفها، لمواصلة حربها على الإسلام.

ولقد عمد المسلمون في حروبهم مع الفرس إلى تدبير العديد من الخدع العسكرية، التـــي لولاها لما استطاعوا التغلب على جيوش الدولة الساسانية المدربة، والكثيرة العدد، والعدة.

---

(1) المثنى بن حارثة الشيباني: كان سيداً في الجاهلية قتل سنة (14هـ=635م). (للمزيد ينظر ابن حبـــان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص36؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص766).

(2) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائـــل والفـــرس. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص293).

1- الخدع العسكرية للمسلمين في معركة الولجة[1]

كانت معركة الولجة سنة(12هــ= 633م)[2]، وتعود أسباب هذه المعركة إلى تنامي الخبر إلى أردشير، وهو ملك الفرس، بما كان بمعركة المذار[3]، فبعث أميــراً شــجاعاً يقــال لــه الأندرزعر، وأمده بجيش آخر، مع أمير يقال له بهمن جاذويه، فساروا حتى بلغوا مكاناً يقال له الولجة، فسمع بهم خالد بن الوليد فسار بمن معه من الجنود، ووصى من اســتخلفه هنــاك بالحيطة والحذر، فنازل أندرزعر، واجتمع عنده بالولجة، فاقتتلوا قتالاً شديداً هو أشد مما قبله، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، وكان خالد قد نصب كمينين وراءه؛ عليهما بسر بن أبي رهم[4]، وسعيد بن مرة العجلي[5]، فما كان إلا يسيراً حتى خرج الكمينان من ههنــا، ومــن ههنا، ففرت صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرزعر من الوقعة فمات عطشاً، وقام خالد في الناس خطيبــاً فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب[6]، وقال سيف بن عمر: " بارز خالد يــوم الولجة رجلاً من الأعاجم يعدل بألف رجل فقتله ثم اتكأ عليه، وأتى بغدائه فأكله، وهو متكــئ عليه بين الصفين"[7].

(1) الولجة: موضع بأرض العراق عن يسار القاصد إلى مكة من القادسية. (للمزيد ينظر الحمــوي: معجــم البلدان، ج5، ص383).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص312؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص241؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص345.

(3) المذار: معركة انتصر فيها خالد بن الوليد على الفرس، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل، وذلك سنة (12هــ= 633م). (للمزيد ينظر ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص345).

(4) بسر بن أبي رهم: صحابي، وأحد أمراء الحرب في جيش أبي عبيدة. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص301)..

(5) سعيد بن مرة العجلي: استعمله المثنى بن حارثة بالعراق سنة(12هــ=633م). (للمزيد ينظر المــصدر السابق: ج3، ص115).

(6) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص241.

(7) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص312؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص102؛ ابن الأثير: مــصدر سبق ذكره، ج2، ص241ا ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص509؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكــره، ج1، ص345.

وتتضح مهارة ابن الوليد وخدعه العسكرية في هذه المعركة فيما يلي:

1- إنهاك العدو عسكرياً، من خلال إطالة مدة الحرب اليومية معه، بخلاف ما عهده الفرس سابقاً، حسن تدبير، هدف إلى إنهاك القوات الفارسية قبل الهجوم الأخير عليها.

2- نصب الكمائن العسكرية خلف خطوط العدو، مع عدم الاستعجال في الاستنجاد بها، إلا بعدما يتأكد من رغبة العدو في الفرار من أرض المعركة خدعة، هدفت إلى سحق العدو عند الفرار من أرض المعركة حيث تكون قواته قد انفرط عقدها.

3- وضع جيش العدو بين فكي كماشة خدعة أخرى، هدفت إلى تسهيل عملية سحق العدو عسكرياً بأقل الإمكانات العسكرية.

ولم يقتصر دور المسلمين في معاركهم مع الفرس على تدبير الخدع العسكرية، بل تعداه إلى إحباط الخدع العسكرية للفرس، مثلما حصل في معركة قس الناطف[1]، ويقال لها الجسر، ويقال المروحة، وقتل أبي عبيد بن مسعود[2]، وكانت هذه المعركة سنة (13هـ= 634م)[3]، وذلك بعدما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين في وقعة النمارق[4]، حيث تذامرت الفرس بينهم، واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم جادويه المعروف بذي الحاجب، وإنما قيل له ذو الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كبراً[5]، فوصلوا إلى المسلمين، وبينهم نهر الفرات وعليه جسرٌ فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم، فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد: أأمرهم فليعبروا هم إلينا، فقال: ما هم بأجرأ على الموت منا، فعقد له ابن صلوبا[6]

---

(1) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص1073؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص349).

(2) أبو عبيد بن مسعود: ابن ثقيف الثقفي صاحب المنبر، الذي استشهد في جماعة من المسلمين في قتال الفرس، فيقال قتل يوم جسر أبو عبيد، وهو والد المختار ابن أبي عبيد الذي غلب على الكوفة في خلافة عبد الله بن الزبير سنة (13هـ=634م). (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص267).

(3)الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص312؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص198؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص28.

(4) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج5، ص304).

(5) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص286.

(6) ابن صلوبا: صحابي جليل. (ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص118).

الجسر[1]، ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهــد مثلــه المسلمون في نحو من عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل قائمة لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة، ومما تسمع من الجلاجل التي عليها، ولا يثبت منها إلا القليل، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة، ورشقهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ســتة آلاف، وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً فقتلوها على آخرها، وكان أبو عبيد لمــا رأى الفيل قال: ما هذا؟، ولم يكن رآه فقالوا: هذا الفيل! فارتجز وقال:

يا لَكَ مِنْ ذي أَرْبَعٍ مَا أَكْبَرَكَ   يا لَكَ فِي يَوْمِ الوَغَى مَا أَنْكَرَكَ
إِنِّي لَغَالٍ بِالحُسَــامِ مَشْفَــرَكَ   دَهَاكَ وفِي الهَــلاكِ لـــي دركٌ[2].

ولقد قدمت الفرس بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض، فتقدم إليه أبو عبيد فــضربه بالــسيف فقطع خرطومه فحمي الفيل، وصاح صيحة وحمل فتخبطه برجليه فقتل، فحمل علـــى الفيــل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعد مقتله، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف، كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد، ثم صارت إلى المثنى بن حارثة، فلمــا رأى المسلمون ذلك وهنوا عند ذلك، ولم يكن بقىَ إلا الظفر بالفرس، وضعف أمرهم وذهــب ريحهم وولوا مدبرين، وانكشف الناس فكان أمراً بليغاً، وجاءوا إلى الجسر فمر بعض الناس، ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين، وغرق من المــسلمين فـــي الفرات نحو من أربعة آلاف[3]، وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف[4]، فقد بدأت المعركة علـــى خطأ، والآن وفي وقت متأخر شرع المثنى حين آلت إليه قيادتها يتجه بها نحـــو الـــصواب، فجمع بعض أبطاله، ووقف معهم يقوم بأصعب دور، وأشقه في معركة كهذه، وهـــو حمايـــة المؤخرة، لإتاحة الفرصة لأكبر عدد من العبور، وقد انقطع الجسر من خلفه[5].

---

(1) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص 124.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص148.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص366؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص28.

(4) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص148.

(5) كمال: الطريق إلى المدائن، ص406.

وتظهر مهارة الفرس وخدعهم العسكرية التي أحبطهـا المـسلمون فـي هـذه المعركة فيما يلي:

1- استقدام الفرس للفيلة لساحة المعركة خدعة عظيمة، ومما زاد من عظمة هـذه الخدعـة، وضع الجلاجل في أعناق الفيلة، وذلك لإخافة خيول المسلمين، التي تمثل القوة الضاربة فـي الجيش الإسلامي، فإبطال هذه القوة يعني القضاء على الجيش الإسلامي.
2- إحاطة المسلمين بالفيلة، وقتلها قبل أن يستفحل أمرها، حدق للقائد أبي عبيدة، ولولا ذلـك لتضاعفت خسائر المسلمين العسكرية.

وكذلك تعرض المسلمون للخدع العسكرية من الفرس في معركة القادسـية[1]، والتـي كانت سنة (14هـ= 635م)[2]، وكان بعض أهل الكوفة يقول أنها كانـت سـنة (15هـ= 636م)[3]، والذي هيج أمر القادسية اجتماع أهل فارس إلى رستم والفيرزان، فقـالوا: " قـد وهنّتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يـشمت بنـا شامت"[4]، فقال رستم والفيرزان لبوران بنت كسرى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه، ونساء آل كسرى وسراريهم، ففعلت فأرسلوا في طلبهن، فاجتمعن فسألوهن عن ذكر من أبناء كسرى فلم يوجد عندهن، فقال بعضهن: لم يبق إلا غلام يدعى يزدجر، فجاءوا به فملكوه وهو ابـن إحدى وعشرين سنة، واطمأنت فارس واستوثقت[5]، وبلغ ذلك المثنى بن حارثة والمسلمين، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتـى كَفَرَ أهل السواد من كان له عهد، ومن لم يكن له عهد، فخرج المثنى على حاميته حتى نـزل

(1) القادسية: غرب مدينة بغداد، وهي ثغر من ثغور العراق، ومن القادسية إلي الكوفة (65 كم). (للمزيـد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص291 – 293؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، ج1، ص153؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص381).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص411؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص160؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص299؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص44؛ ابن خلدون: تاريخ ابـن خلـدون، ج2، ص535.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص333؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص19؛ الـسخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج1، ص390؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص478.

(4) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص378؛ ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص151

(5) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص143؛ الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص378؛ ابـن الجـوزي: المصدر السابق، ج4، ص151؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص294.

بذي قار ونزل الناس بالطف[1] في عسكر واحد، ولما وصل كتاب المثنى إلى عمر قال: " والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب"[2].

ولقد ركب عمر ﷺ عازماً على غزو العراق بنفسه، ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم القيام به، فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقيم ويمده بالجنود، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح وإلا أعاد رجلاً وبعث آخر، ففي ذلك غيظ العدو، فجمع عمر الناس، وقال لهم: " إني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً فأشيروا عليّ برجل، وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن[3]، فكتب إليه عمر بانتخاب ذوي الرأي والنجدة، والسلاح، فجاءه كتاب سعد، وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول: قد انتخبت لك ألف فارس، كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة، فلما وصل كتابه وافق مشورتهم قالوا لعمر: قد وجدته، قال: من هو؟ فقالوا: الأسد عاديا سعد بن مالك، فانتهى إلى قولهم وأحضره وأمره على حرب العراق ووصاه[4].

وسار سعد نحو العراق، في أربعة آلاف، ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش التي انتهت إليه رياستها وإمرتها، أمده عمر بإمداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً، وقيل ستة وثلاثون[5]، وجاء رستم فنزل الحيرة[6]، في ستين ألفاً من المقاتلة سوى الأشياع، وفي رواية أخرى كان رستم في مائة وعشرين ألفاً يتبعها ثمانون ألفاً، وكان معه ثلاث وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض، فهو أعظمها، وأقدمها، وكانت الفيلة تألفه[7]، وبثوا حسك الحديد في ساحة الحرب[8].

---

(1) الطُفّ: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. (الحموي: معجم البلدان، ج4، ص36).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص385؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص295؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص525.

(3) هوازن: حي من اليمن. (الحموي: مصدر سبق ذكره، ج5، ص420).

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص255؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص300؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص35؛ البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص255.

(5) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص384؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص161؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2،، ص300؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص36.

(6) الحيرة: مدينة على بعد (5 كم) من الكوفة. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص328).

(7) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص384؛ ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص166؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص309؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص71؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص38.

(8) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص431؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج5، ص174؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص45.

وتَبِيْنُ مهارة رستم وخدعه العسكرية قبل بدء المعركة فيما يلي:

1- استقدام رستم للفيلة خدعة مدبرة، هدفت إلى إخافة خيول المسلمين التي كانت تمثل القوة الضاربة للمسلمين في حروبهم.
2- بث حسك الحديد في ساحة المعركة خدعة أخرى، قصد منها، إيقاع الأذى أكثر بخيول المسلمين.

ولكن المسلمين استطاعوا التغلب على هذه الخدع، وذلك بضرب خراطيم الفيلة واقتلاع عيونها الأمر الذي أربك حركتها، وجعل يوم القتال الأول يمضي بخسارة في الصف الإسلامي، وكانت الليلة الأولى التي سماها المؤرخون ليلة الهدأة لهدوئها وخلوها من القتال[1]، ولم يكتف الفرس بهذه الخدع، فقد حاول رستم مخادعة المسلمين مرة أخرى حينما طلب منهم العبور إليه، ولكن فطنة سعد بن أبي وقاص فوتت هذه الفرصة، ثم قال رستم للمسلمين: أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا: لا بل اعبر إلينا[2].

وتتضح مهارة رستم وخدعة العسكرية التي أحبطها ابن أبي الوقاص فيما يلي:

1-رغبة رستم في استدراج المسلمين إلى ساحة معركته خدعة، هدفت إلى إدخال الجيش الإسلامي في فخاخه التي أعدها، مما يعني إلحاق هزيمة مؤكدة بالمسلمين.
2-فطنة سعد لخدعة رستم ورفض دعوته العبور إليهم، حدق من سعد، ويمكن القول بأن رفض المسلمين العبور إليه، والطلب منه العبور إليهم، كانت سبباً من أهم أسباب هزيمة الفرس في المعركة.

ويمكن القول بأن تغلب المسلمين على هذه الخدع هو الذي حقق لهم النصر على الفرس، رغم قلة عددهم وعتادهم، وكثرة عدد عدوهم وعتاده، بعد ما قامت الحرب بينهم أربعة أيام، وقتلوا من المسلمين ألفين وخمسمائة، فلما كان اليوم الرابع حمل هلال بن علقمة التميمي[3]، على رستم فانهزم وولت الفرس، واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى امتنع الناس من

---

(1) عمارة: معارك العرب ضد الغزاة، ص24.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص169.

(3) هلال بن علقمة التميمي: صحابي قتل يوم القادسية شهيداً وهو أول من عبر دجلة. (االصفدي: الوافي بالوفيات، ج27، ص217).

شرب الماء بالقادسية ثلاث ساعات، لما كان يجري فيه من الدم، وقتل زهرة بن حاوية[1] جالينوس صاحب جيش الفرس وباع ضيعته بثلاثين ألفاً[2]، ولحقهم المسلمون فقتل يومئذ المسلسون بكمالهم، وكانوا ثلاثين ألفاً، وقتل في المعركة عشرة آلاف، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك[3]، وبعد نصر القادسية هذا انفتحت أبواب فارس أمام المسلمين ففتحوا حلوان، والمدائن، وجلولاء، وكلها مدن عربية في العراق، بعد أن ظلت في الأسر الفارسي قروناً عدة[4].

2- الخدع العسكرية للمسلمين في معركة جلولاء[5]

كانت وقعة جلولاء سنة(16هـ= 637م)[6]، وتعود أسباب هذه المعركة أنه لما سار كسرى، وهو يزدجرد بن شهريار، من المدائن هارباً إلى حلوان[7][8]، شرع في الطريق في جمع الرجال والأعوان والجنود، فاجتمع إليه خلق كثير وحجم غفير من الفرس، وقالوا : " لو افترقتم لن تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به، ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذي نحب، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا وأبدينا عذراً"[9]، وأمَّرَ على الجميع مهران، وسار كسرى إلى حلوان فأقام الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولاء، واحتفروا خندقاً عظيماً حولها، وأقاموا بها في العدد والعدة، وآلات الحصار، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ﷺ يخبره بذلك، فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن[10]، ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة[1] أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى،

(1) زهرة بن حاوية: صحابي اتبع الجالينوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه. (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج1، ص162).

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج5، ص174؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص44.

(3) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص36.

(4) عمارة: معارك العرب ضد الغزاة، ص26.

(5) جلولاء: نهر عظيم في طريق خراسان. (الحموي: معجم البلدان، ج2، ص156).

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص472؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص215؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص70؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1، ص131.

(7) حلوان: هي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد. (الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص290).

(8) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص136.

(9) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص468؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص364.

(10) المدائن: عاصمة فارس. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص74).

ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو التميمي[2]، وعلى الميمنة سعد بـن مالـك[3]، وعلـى الميسرة أخوه عمرو بن مالك[4]، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني[5]، ففعل سـعد ذلـك، وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يقارب اثني عشر ألفاً من سـادات المـسلمين، وذلـك فـي (صفر16هـ= مارس637م)، بعد فراغهم من أمر المدائن فساروا حتى انتهوا إلى المجوس، وهم بجلولاء، قد خندقوا عليهم فحاصرهم هاشم بن عتبة، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يسمع بمثله، وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد، كذلك سـعد يبعـث المدد إلى ابن أخيه مرة بعد أخرى، وحمى القتال وقام في الناس هاشم فخطبهم غيـر مـرة فحرضهم على القتال والتوكل على الله، وتعاقدت الفرس وتعاهدت وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب، وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوماً[6]، ولما كان الموقف الأخير وهو يوم الفيصل والفرقان تواقفوا من أول النهار فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله حتى فني النشاب من الطرفين، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً، وذهبت فئة المجـوس، وجـاءت مكانها أخرى، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال: أهالكم ما رأيتم أيهـا المـسلمون؟، قالوا: نعم!، إنّا كنّا كالّون، وهم مريحون، فقال: بل إنّا حاملون عليهم ومجدّون في طلبهم حتى يحكم الله بيننا، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم فحمل وحمل الناس، فأما القعقاع بن عمرو فقد تسلل في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان حتى انتهى إلى باب الخندق، وأقبل الليل بظلامه، وجالت بقية الأبطال بمن معهم في الناس، وجعلوا يأخذون في التحشد من

---

(1) هاشم بن عتبة: ابن أبى وقاص بن أخي سعد بن أبى وقاص، كان ممن يستعين به عمر بن الخطـاب ﷺ على أمور المسلمين ويقدمه في البعث إذا بعث. (ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص14).

(2) القعقاع بن عمرو التميمي: من الشجعان الفرسان، قيل إن أبا بكر الصديق كان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم. (ابن حجرالعسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص450؛ ابن قانع: معجم الصحابة، ج2، ص367).

(3) سعد بن مالك: ابن أهيب ويقال له بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهـري أبـو إسحاق بن أبي وقاص، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية. (ابـن حجـر العسقلاني: المصدر السابق، ج3، ص73).

(4) عمر بن مالك: من مسلمة الفتح، أوفده عمر مدداً لأبي عبيدة بالشام سنة (15هـــ=636م). (المـصدر السابق: ج4، ص595).

(5) عمرو بن مرة الجهني: ابن مالك بن الحارث بن مازن بن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة. (ابن قانع: مصدر سبق ذكره، ج2، ص197).

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص468؛ ابن الأثير: الكامل فـي التـاريخ، ج2، ص365؛ ابـن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص538.

أجل إقبال الليل، وفي الأبطال يومئذ طليحة الأسدي[1] وعمرو بن معدي كــرب الزبيــدي[2] وقيس بن مكشوح[3] وحجر بن عدي[4]، ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليــل ولــم يشعروا بذلك لولا مناديه ينادي: أين أيها المسلمون؟ هذا أميركم على باب خندقهم، فلما سمع ذلك المجوس فروا، وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو، فإذا هو على باب الخنــدق قــد ملكه عليهم، وهربت الفرس كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعدوا لهــم كــل مرصد، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى، فلذلك ســميت جلولاء، وغنموا من الأموال والسلاح والذهب قريباً مما غنموا في المدائن قبلها[5].

وتتضح مهارة القعقاع وخدعه العسكرية في الوصول إلي باب خنــدق الفــرس فيما يلي:

1- التصميم على حسم المعركة، وعدم إطالة مدة الحرب إلى ما لا نهاية كانت فطنة، ولقد تم ذلك بحشد المسلمين لكل طاقاتهم العسكرية المتوفرة، والقذف بها مرة واحدة في وجه العدو.
2- اختيار وحدة صغيرة من الفرسان، للوصول إلى أعماق العدو خدعــة، وذلــك حتــى لا ينكشف أمر المسلمين، إذ لو اختار مجموعة كبيرة من الفرسان، لانكشف أمرها، وقــد تقــع فريسة لدى العدو.

---

(1) طليحة الأسدي: ادّعى النبوة، وقاتله خالد بن الوليد، ثم أسلم وخرج نحو مكة معتمراً في خلافة أبي بكر ﷺ، وقاتل في الفتوحات فقتل يوم وقعة نهاوند مع الأعاجم سنة(21هـ=641م). (العليمي: الأنس الجليــل، ج1، ص223؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص206).

(2) عمرو بن معدي كرب الزبيدي: فارس مذحج وفد على النبيﷺ، وهو الذي قتل الأسود العنسي الذي تنبأ باليمن، وقتل بنهاوند رحمه الله. (للمزيد ينظر المقدسي: البدء والتاريخ، ج5 ص109؛ ابن العماد: شــذرات الذهب، ج1، ص49).

(3) قيس بن مكشوح: من وجوه العرب الموصوفين بالشجاعة، وكان ممن أعان على قتل الأسود العنــسي، وقلعت عينه يوم اليرموك، وكان ذا رأي في الحرب ونجدة، وكان من أمراء عليﷺ يوم صفين فقتل يومئذٍ. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص520).

(4) حجر بن عدي: ابن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية، وكان شريفاً أميراً مطاعــاً أمــاراً بــالمعروف مقداماً على الإنكار، من شيعة علىﷺ، شهد صفين أميراً وكان ذا صلاح وتعبد. (للمزيــد ينظــر الــذهبي: المصدر السابق، ج3، ص462-463؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص39).

(5) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص470؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص178؛ ابن كثير: البدايــة والنهاية، ج7، ص69-70؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص539.

3- التحرك ليلاً تحت جنح الظلام خدعة أيضاً، وذلك لأن التحرك ليلاً هــو أفــضل الــسبل للمحافظة على سرية الحركة للجيش الإسلامي، والوصول لمعاقل العدو، التي يعتقد بأنه آمن فيها.

4- المناداة ليلاً عند وصول الجيش الإسلامي لمعاقل العدو خدعة، هدفت إلى إرباك العــدو، ودفعه للفرار بدلاً من المواجهة العسكرية، كما أنها تبثُّ الحماس في نفوس المسلمين.

5- ملاحقة الجيش المهزوم في ساحة المعركة حدق مهم، وذلك لحرمانه من تجميــع قواتــه والعودة مرة أخرى لحرب المسلمين.

وقال أبو بجيد في يوم جلولاء:

وَيَومُ جَلَوْلاءَ الوَقِيــعَةُ أَصبَحَتْ ... كَتَائِبُنَــا تُــردِي بِأسدٍ عَــوابِــسِ
فَفَضت جُموعُ الفُرْسِ ثُمَّ أنْمَتْهُم ... فَتَباً لأَجْــسَادِ المَــجُوسِ النَّجَــائِسُ
وأفْلَــتَهُنَّ الفَيْرَزَانُ بِجَــــرعةٍ ... ومهــرانُ أردَت يومَ حــزِّ القَوانسِ[1]
أقامـــــوا بدارٍ للمــنية موعــدٍ ... وللترب تحثوها خجوجُ[2] الرواسِ[3][4].

(1) القوانس: جَمْع قَوْنَس وهو عَظْم ناتِئٌ بين أُذُنَي الفَرَس وأعْلَى بَيْضَة الحديد وهي الخُوذة. (للمزيد ينظــر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص126).

(2) خجوج: الطويل الرجلــين. (ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص248).

(3) الروامس: الرياح الزافيات التي تنقل التراب من بلد إلى آخر وبينها الأيام، وربما غشت وجــه الأرض كله بتراب أرض أخرى. (المصدر السابق، ج6، ص102).

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص473.

3- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة تستر(1)

فتحت مدينة تستر سنة(16هـ= 637م)(2)، وقيل سنة (17هـ = 638م)(3)، وكان سبب فتح المدينة أن يزدجر(4) كان يحرّض أهل فارس في كل وقت ويؤنبهم بفتح المسلمين لبلادهم، وقصدهم إياهم في حصونهم(5)، وبلغ الخبر عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالكوفة: أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النعمان بن المقرن، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري(6) وهو بالبصرة: أن ابعث إلى الأهواز(7) جنداً كثيفاً، فسار النعمان بجيش الكوفة فسبق البصريين فانتهى إلى رامهرمز(8)، وبها الهرمزان(9) في جنده، فالتقى معه النعمان بن المقرن في باربل(10)، فاقتتلا قتالاً شديداً فهزم الهرمزان، وفرّ إلى تستر وترك رامهرمز، فتسلمها النعمان عنوة، فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة، بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فرّ فلجأ إلى تستر ساروا إليها، ولحقهم أهل الكوفة، حتى أحاطوا بها

(1) تستر: أعظم مدينة بخوزستان اليوم. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص29؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ج1، ص277؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص395؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4، ص340).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص388؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص553.

(3)الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص496؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص233.

(4) يزدجر: آخر ملوك بني ساسان. (السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج2، ص276).

(5) للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص85.

(6) أبو موسى الأشعري: قدم على رسول الله ﷺ في الأشعريين من اليمن فأسلموا، وهاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين وتوفي سنة (52هـ=672م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص380؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص390).

(7) الأهواز: بلد جنوب العراق يجمع سبع كور، وهي: كورة الأهواز، وكورة جند يسابور، وكورة السوس، وكورة سرمد، وكورة نهر تيري، وكور ة مناذرة. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص206).

(8) رامهرمز: ومعنى رام بالفارسية المراد والمقصود، وهرمز أحد الأكاسرة فكأنّ هذه اللفظة مركبة معناها مقصود هرمز أو مراد هرمز، وقال حمزة: رامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، والعامة يسمونها رامز كسلاً منهم عن تتمة اللفظة بكمالها. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص17).

(9) الهرمزان: ملك الأهواز، وقد أسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يديه. (للمزيد ينظر الجبرتي: عجائب الآثار، ج1، ص6؛ ابن العربي: العواصم من القواصم، ج1، ص116).

(10) باريل: قلعة على بعد (44كم) من الموصل. (السمعاني: الأنساب، ج5، ص175).

فحاصروها جميعاً، وعلى الجميع أبوسبرة[1][2]، لثقة عمر بكفاءته الممتازة وشخصيته القوية النافذة، وكانت أعماله العسكرية تمتاز بتطبيق مبدأ تحشيد القوة، ومبدأ التعـاون، وقـد أدى تمسكه بهذين المبدأين إلى انتصاره على القوات الفارسية الكبيرة بعد حصارها فـي مـدنها الحصينة مع أن الحصار المديد يحتاج إلى قائد ممتاز، وإلى جنود ممتـازين[3] فحاصـروهم أشهراً، وأكثروا فيهم القتل، وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفاً يكون لهم مرة ومـرة عليهم، فلما رأى الفرس مدينتهم مطوقة بالمسلمين من جميع جوانبهـا، ولا أمـل لهـم فـي الخلاص من هذا الطوق المحكم، انهارت معنوياتهم، فخرج رجل إلى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون فيه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم، إن أمنتموني دللـتكم علـى مكان تأتون المدينة فأمنوه في نشابة[4] فرمي إليهم بأخرى[5] قال أبو موسى: فذلك لك، قـال: فابغني إنساناً سابحاً ذا عقل يأتيك بأمر بين، فأرسل أبو موسى إلى مجزأة بن ثور السدوسي[6] فقال: ابغني رجلاً من قومك سابحاً ذا عقل، فقال مجزأة: اجعلني ذلك الرجل، فـانطلق بـه فأدخله من مدخل الماء مدخلاً يضيق أحياناً حتى ينبطح على بطنه، ويتسع أحياناً فيمشي قائماً، ويحبو في بعض ذلك حتى دخل المدينة، وقد أمر أبو موسى أن يحفظ طريق الباب وطريـق السور ومنزل الهرمزان، فهم بقتله ثم ذكر قول أبي موسى: لا تسبقني بأمرٍ، فرجع إلى أبـي موسى فندب أبو موسى الناس معه فانتدب ثلاث مائة ونيف فأمرهم أن يلبس الرجل ثوبين لا يزيد عليهما وسيفه، ففعلوا، قال عبد الرحمن: فكبر ووقع في الماء، وكبر القوم ووقعوا، قال عبد الرحمن: كأنهم البط فسبحوا حتى جاوزوا، ثم انطلق إلى النقب[7] الذي يدخل الماء فيـه وكبر، ثم دخل معه خمسمائة وثلاثون رجلاً أوستة وثلاثون رجلاً، فمضى بطائفة منهم إلـى الباب فوضعهم عليه، ومضى بطائفة إلى السور، ومضى بمن بقي معه حتى صعد السـور،

(1) أبو سبرة: أحد السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة في السنة الثانية الهجرية. (للمزيد ينظـر ابـن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص168).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص85.

(3) خطاب: قادة فتح بلاد فارس، ص160.

(4) نشابة: النبل. (ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص757).

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص390.

(6) مجزأة بن ثور السدوسي: مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن سـدوس السـدوسي ذكـره البخاري في الصحابة. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج5، ص774).

(7) النقب: نقبت الحائط أي بلغت في النقب آخره. (ابن منظور: مصدر سبق ذكره، ج1، ص77).

فانحدر عليه علج معه نيزك فطعنه مجزأة فأثبته، وكبر المسلمون على السور وعلى الباب وفتحوا الباب، وأقبل المسلمون حتى دخلوا المدينة[1] وقتلوا المقاتلة[2].

وتتضح مهارة أبي موسى الأشعري وخدعه العسكرية في فتح مدينة تستر فيما يلي:

1- فرض الحصار الطويل على مدينة تستر فطنة، قصد منها إنهاك المحاصرين، ودفعهم للاستسلام بدلاً من المواجهة.

2- استئمان من طلب الأمان من المشركين حدق، خصوصاً إذا ما كان طلب الأمان مقابل أن يدلهم على مدخل يدخلون منه المدينة المحاصرة.

3-أن الرجل طلب الأمان من خلال نشابة، رمى بها للمسلمين وهي فطنة، إذ لو خرج ببدنه لطلب الأمان لانفضح أمره عند قومه، وقتلوه.

4- إرسال أبي موسى لمسلم واحد إلى هذا الرجل حدق، إذ لو بعث بأكثر من واحد للفت انتباه الأعداء، ولسدوا هذه الثغرة، قبل أن يصلها المسلمون.

5- قطع مجزأة الطريق المؤدي للمدينة سباحة وحيداً، حدق من المسلمين، خشية أن يكون استئمان هذا الرجل للمسلمين خدعة.

6- تقسيم المجموعة التي وصلت سباحة إلى مجموعتين: مجموعة وصلت إلى باب المدينة، وأخرى إلى السور حسن تدبير؛ وذلك لتشتيت جهد المدافعين عن المدينة، مما يعني تسهيل عملية دخول المسلمين للمدينة.

لقد كانت الحروب القديمة تحتاج إلى قائد يعمل بعقله وسيفه: يعمل بعقله لإعداد الخطط العسكرية وتنفيذها وإدارة دفة المعركة، ويعمل بسيفه في المعركة يبارز الأبطال، ويصاول الرجال، والحق أن أبا موسى كان مثالاً رائعاً للقائد الممتاز الذي يعمل بعقله وسيفه معاً في آنٍ واحد، لذلك انتصر في كل المعارك التي خاضها، ولم ينكص له لواء واحد طيلة حياته العسكرية الطويلة[3].

---

(1) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص145؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص233 – 234؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص390.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2 ، ص552.

(3) خطاب: قادة فتح بلاد فارس، ص189.

4-الخدع العسكرية للمسلمين في معركة نهاوند[1]

قال سيف بن عمر: كانت معركة نهاوند سنة (17هـ= 638م)[2]، وقيل كانت سنة (19هـ=640م)[3]، وتعود أسباب هذه المعركة إلى اجتماع الأعاجم وعظماء الفرس، وعزمهم على غزو عمر بن الخطاب في عقر داره، وجمعوا من الجموع ما لا يبلغه الإحصاء والعدد[4]، فتحركوا واجتمعوا إلى نهاوند، ولما وصلها أوائلهم بلغ سعد بن أبي وقاص الخبر فكتب إلى عمر بذلك، فلما قدموا عليه نادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ثم صعد المنبر فقال:" أيها الناس إن الشيطان قد جمع جموعاً فأقبل بها ليطفئوا نور الله ألا إن أهل قومس[5] وأهل الري[6] وأهل همذان[7] وأهل نهاوند قد تعاهدوا على أن يخرجوا العرب من بلادهم، ويغزوكم في بلادكم فأشيروا عليّ"[8]، فأشار عليه علي بن أبي طالبﷺ بالمقام بالمدينة وتوجيه من يقوم بمناظرتهم فبعث حينئذ جيشاً عظيماً، واستعمل عليهم النعمان بن مقرن المزني[9] وقال:" إن أصيب النعمان فأمير الناس حذيفة بن اليمان، وإن أصيب حذيفة فأمير الناس جرير بن عبد الله البجلي[10]،

---

(1) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص345؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص313).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص105.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص267؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج5، ص181.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص411.

(5) قومس: واد من أودية الحجاز. (الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص413).

(6) الري: من أمهات البلاد وأعلام المدن، بينها وبين نيسابور (800 كم). (للمزيد ينظر المصدر السابق: ج3، ص116).

(7) همذان: مدينة مشهورة من مدن فارس، وكانت أكبر مدينة بأرض الجبال. (للمزيد ينظر المصدر السابق: ج5، ص410).

(8) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص273.

(9) النعمان بن المقرن المزني: هو النعمان بن عمرو بن مقرن أول مشاهده الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان ونزل الكوفة، ولي كسكر لعمر ثم صرفه وبعثه على المسلمين يوم وقعة نهاوند، فكان يومئذ أول شهيد. (للمزيد ينظر ابن قانع: معجم الصحابة، ج3، ص145؛ الربعي: وصايا العلماء، ج1، ص53؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص403؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص449).

(10) جرير بن عبد الله البجلي: أبو عمرو وكان ممن هاجر إلى رسول الله ﷺ ما حجبه رسول الله ﷺ منذ أسلم ولا رآه إلا تبسم في وجهه، سكن الكوفة، ومات جرير سنة (51هـ=671م). (ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص44؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص58؛ ابن حجر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج1، ص 580).

فإن أصيب جرير فالمغيرة بن شعبة[1] فالأشعث بن قيس[2]، وكتب إلى عمار بن ياسـر[3] أن استنفر ثلث أهل الكوفة وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن استنفر ثلث أهل البصرة فاجتمعوا، وأراد عمر بذلك أن يقطع الإمدادات الفارسية على أهل نهاوند من جهة، ويـشاغل القـوات الفارسية في جبهات متعددة ليضعفها أولاً، وليضرب ضربته الحاسمة في نهاوند، وبعد إكمال قوات المسلمين فيها ثانياً[4] وساروا حتى نزلوا على فرسخين[5] من نهاونـد، وبهـا جمـوع الفرس يقال مائة ألف، ويقال أربع مائة ألف، وعليهم ذو الحاجب مردانشاه[6]، و قيل الفيرزان في مائة وخمسين ألف مقاتل[7]، وقيل له دوبر[8]، وعبأ النعمان المسلمين في ثلاثـين ألفـاً، وجعل على مقدمته نعيم بن مقرن[9]، وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقـرن[10]،

(1) المغيرة بن شعبة: أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان، وله فيها ذكر وحدث عن النبيﷺ. (للمزيد ينظر ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص43؛ ابن حجرالعسقلاني: الإصـابة فـي تمييـز الصحابة، ج6، ص196-197؛).

(2) الأشعث بن قيس: زعيم وفد قبيلة كندة إلى الرسولﷺ، وقد غزا أذربيجان ففتح حصن جابروان. (للمزيد ينظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص476).

(3) عمار بن ياسر: من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في الله، فكان النبيﷺ يمـر علـيهم فيقول: صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة، واختلف في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة، فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر على الكوفة، وكتب إليهم أنه من النجباء من أصحاب محمد. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص406؛ ابن حجر العسقلاني: مصدر سـبق ذكـره، ج4، ص575).

(4) خطاب: قادة فتح بلاد فارس، ص103.

(5) الفرسخ: يساوي (5 كم). (للمزيد ينظر محمد جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص67).

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص518؛ الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج1، ص41؛ ابـن كثيـر: البداية والنهاية، ج5، ص181.

(7) ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج2، ص556.

(8) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج2، ص156.

(9) نعيم بن مقرن: أخو النعمان بن مقرن، خلف أخاه نعمان حين قتل بنهاوند، وكانت على يديه فتوح كثيرة، هو وأخوه من جلة الصحابة، ومن وجوه مزينة، وكان عمر ﷺ يعـرف لهمـا موضـعهما. (ابـن حجـر العسقلاني: مصدر سبق ذكره، ج6، ص462).

(10) سويد بن مقرن: ابن عائذ أبو عدي المزني أخو النعمان وأخوته، صحابي روى حديثه مسلم وأصحاب السنن، وهو في الإصابة والتهذيب. (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: مصدر سـبق ذكـره، ج3، ص229 السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج1، ص436).

وعلى المجردة القعقاع، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود[1][2]، ولقد تحالف الفرس على الصبر والثبات، فارتبط بعضهم ببعض، وجعلوا لكل عشرة سلسلة لكيلا يهربــوا، وألقــوا الحــسك، وأقاموا الفيلة بينهم وبين المسلمين، فناهضهم المسلمون يوم الأربعاء[3] فاقتتلوا قتــالاً شــديداً حتى كثر القتلى في الفريقين، حتى حجز بينهم الليل، فرجع الفريقان إلى معــسكرهم، فبــات المسلمون يعصبون بالخرق، وتوقد لهم النيران، وبات المشركون في المعازف والخمور حتى أصبحوا ثم غدوا يوم الخميس على البراذين[4]، وأقبية الديباج، والسيوف المحلاة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتلى في الفريقين، وحجز بينهم الليل فرجع الفريقان إلى معسكرهم، فبــات المسلمون يعصبون وتوقد لهم النيران، وبات المشركون في المعازف والخمور[5].

فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شــاء الله، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا، ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا، فلمــا طــال علــى المسلمين هذا الحال واستمر، جمع النعمان أهل الرأي في الجيش، وتشاوروا في ذلك، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا والمشركون في صعيد واحد، فتكلم عمرو بن أبــي ســلمة[6] أولاً، وهو أسن من كان هناك، فقال: إن بقاءهم على ما هم عليه أضر عليهم من الذي يطلبه منهم، وأبقى على المسلمين، فرد الجميع عليه، وقالوا: إنا لعلى يقين من إظهار ديننا، وانجاز موعود الله لنا، وتكلم عمر بن معدي كرب، فقال: ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم، فردوا جميعــاً عليه، وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران أعوان لهم علينا، وتكلم طليحة الأسدي فقال: إنهما لم يصيبا، وإني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال، فإذا برزوا إلــيهم فليفروا إلينا هرباً، فإذا استطردوا وراءهم، وانتموا إلينا عزمنا أيضاً على الفرار كلنا، فــإنهم

---

(1) مجاشع بن مسعود: ابن ثعلبة السلمي ممن بايع رسول الله ﷺ على الهجرة، قتــل يــوم الجمــل ســنة (36هـ=656م). (للمزيد ينظر ابن خياط: الطبقات لابن خياط، ج1، ص49؛ ابن حبان: مــشاهير علمــاء الأمصار، ج1، ص27؛ ابن حبان: طبقات المحدثين بأصبهان، ج1، ص266؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص767).

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص557.

(3) المقدسي: البدء والتاريخ، ج5، ص181؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص109.

(4) البراذين: البرذان الدابة. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص19).

(5) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص274.

(6) عمرو بن أبي سلمة: صحابي روى العديد من الأحاديث عن الرسولﷺ. (الصفدي: الــوافي بالوفيــات، ج15، ص198).

حينئذ لا يشكون في الهزيمة، فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خـــروجهم رجعنا إليهم فاشتبكنا معهم، فاستجاد الناس هذا الرأي(1).

وتتبين أهمية الرأي الذي اقترحه طليحة في الآتي:

1- أن تتولى سرية واحدة فقط من الجيش مناوشة الفرس المتحصنين في الخنـــادق، خدعـــة هدفت إلى استدراج الفرس إلى خارج الخنادق، إذ لو ذهبت أكثر من سرية لهذا الأمر لصعب على المسلمين الانسحاب، لاستدراج الفرس.
2- أن لا يزيد دور هذه السرية عن مناوشة الفرس، خدعة أخرى إذ لو اشتبكت هذه السرية الوحيدة مع الفرس المتحصنين، فإن من شأن ذلك أن يعرضها للخطر.
3- أن تهرب هذه السرية كلما اقترب منها الفرس خدعة، قصد منها إطالة المسافة بين الجيش الفارسي والخنادق التي يحتمي بها.
4- هروب الجيش الإسلامي بأكمله كلما تقدم الجيش الفارسي خدعة محكمـــة، هـــدفت إلـــى تشجيع المتبقين من الفرس في الخنادق للخروج إلى الأماكن المفتوحة، حيث الحـــرب وجهـــاً لوجه مع المسلمين.
5- أن لا يبدأ القتال إلا بعدما يتكامل خروج الجيش الفارسي من الخنادق حدق، إذ لـــو بـــدأ القتال قبل استكمال خروج الجيش الفارسي من الخنادق، لا يحقق النصر كاملاً على الفـــرس، وذلك خشية عودة الفرس إلى خنادقهم.

ولقد أمر النعمان على المجردة القعقاع بن عمـــرو، وأمـــرهم أن يـــذهبوا إلـــى البلـــد فيحاصروهم وحدهم، ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم، ففعل القعقاع ذلك، فلما برزوا مـــن حصونهم انسحب القعقاع بمن معه، ثم انسحب ثم انسحب، فاغتنمها الأعاجم ففعلوا ما ظـــن طليحة، وقالوا: هي هي، فخرجوا بأجمعهم، ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا مـــن يحفـــظ لهـــم الأبواب حتى انتهوا إلى الجيش، والنعمان على تعبئته، وذلك في صدر نهار جمعـــة، فعـــزم الناس على مصادمتهم فنهاهم النعمان، وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تـــزول الـــشمس، وتهـــب الأرواح، وينزل النصر كما كان رسولﷺ يفعل، وألحّ الناس على النعمان في الحملـــة فلـــم يفعل، وكان رجلاً ثابتاً فلما حان الزوال صلى بالمسلمين، ثم وقف على كل راية يحثهم على الصبر، ويأمرهم بالثبات، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة، ويكبـــر

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص415-416؛ ابن كثير: البداية والنهايـــة، ج7، ص109-110؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص577.

الثانية فلا يبقى لأحد أهمية، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة ثم رجع إلى موقفه، وتعبت الفرس تعبئة عظيمة، واصطفوا صفوفاً هائلة في عددٍ وعدة لم ير مثله، وقد تغلغل بعضهم في بعض، وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم من الهرب ولا الفرار[1]، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده، وأمرهم أن يلزموا الأرض، ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا، واستتروا بالحجف[2] من الرمي، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض، وقالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه! فما تنتظر بهم، ائذن للناس في قتالهم، فقال: رويداً، وقال لهم: إني مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا، وحمل النعمان والناس معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها، وما كان يسمع إلا وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم، وقتل منهم في يوم واحد ما طبق أرض المعركة دماً، أما النعمان فقتل شهيداً زلق به فرسه فصرع[3].

لقد ربح النعمان معركة نهاوند، ولكنه خسر نفسه، لذلك خلده التاريخ، ولو أنه خسر هذه المعركة من أجل الحفاظ على نفسه لأهمله التاريخ، فما أحرانا أن نتعلم هذا الدرس من هذا القائد العظيم[4]، وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب يتضح لنا بجلاء حرصه الشديد على اختيار مقصده وإدامته، فكل معاركه تعرضيه، يتحين الفرص لمباغتة أعدائه في الوقت، والمكان المناسبين، بالأسلوب المناسب، ويحرص على إنجاز تحشيد قواته، كما يحرص على أمنها، ويبذل قصارى جهده من أجل تعاونها كقوة موحدة في المعركة الدائرة ومع قوات المسلمين الأخرى في الجبهات الأخرى، كما يعمل على إدامة معنويات جيشه، ويؤمن لقواته كافة أمورها الإدارية[5].

ولقد سجاه أخوه نعيم بثوب، وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة فأخذها وتقدم إلى موضع النعمان فاقتتلوا، فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون، وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه، فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد

---

(1) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص148؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص416؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص110.

(2) الحجف: ضرب من الترسة واحدتها حجفة، وقيل: هي من الجلود خاصة، وقيل: هي من جلود الإبل مقورة. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص39).

(3) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص417؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص111؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص557.

(4) خطاب: قادة فتح بلاد فارس، ص107.

(5) المرجع السابق: ص129.

فيقتلون جميعاً، وأخذ يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في المعركة، وقيل قتل في اللهب ثمانون ألفاً سوى من قتل في الطلب ولم يفلت إلا الشريد[1]، وهرب الفيرزان بعد أن صرع إلى همذان، واتبعه نعيم بن مقرن، وترجل وصعد في الجبل، وكان نعيم قد قدم القعقاع أمامه فاعترضه وقتله المسلمون، ودخل الفل همذان، وبها خسرشنوم، فنزل المسلمون عليها مع نعيم والقعقاع، ودخل المسلمون نهاوند يوم الواقعة وغنموا مما فيها[2]، وقسم حذيفة بين المسلمين غنائمهم فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف درهم، وسهم الراجل ألفي درهم[3]، وسميت هذه المعركة " فتح الفتوح"، لأن دولة الساسانيين لم تقم لهم قائمة بعدها، فاستكمل المسلمون فتح سائر أجزاء إيران في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفانﷺ، وقتل يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين سنة(31هـ= 651م)، فطويت صفحة الساسانيين، وأصبحت إيران من ديار المسلمين[4].

وتتضح مهارة النعمان وخدعه العسكرية في معركة جلولاء فيما يلي:

1- أمر النعمان القعقاع بمن معه من المجردة فقط لمحاصرة الفرس، وأن يهربوا إذا برزوا إليهم خدعة محكمة، إذ لو ذهب الجيش الإسلامي كله لمحاصرة الفرس لانكشف الأمر للفرس واحتاطوا له، فتحرك جزء من الجيش أيسر للمناورة من تحرك الجيش كله.

2- انسحاب القعقاع مرات عدة أمام الجيش الفارسي خدعة أخرى، هدفت إلى استدراج الجيش الفارسي أكثر خارج خنادقه التي يحتمي بها من المسلمين، وتكون إمكانية النصر عليه أكبر.

3- التكبير مرات عدة قبل بدء المعركة خدعة، قصد منها الإيحاء للفرس بأن المسلمين قد استنهضوا كل قواهم للمواجهة، مع ما يعنيه ذلك من زرع الخوف في قلوب الفرس، وجعل النصر من نصيب المسلمين.

4- نهي النعمان الجند عن مصادمة الفرس مع بدء المعركة، رغم كثرة الجراح التي أصابت المسلمين فطنة، قصد منها استدراج الفرس أكثر خارج الخنادق، ليسهل بعد ذلك القضاء عليهم.

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص417؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص111؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص557.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص111؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص557.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص272.

(4) خطاب: قادة فتح بلاد فارس، ص107.

المبحث الثاني

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد الشام

بعدما فرغ الخليفة أبو بكر الصديقﷺ من حرب أهل الردة، جهز أمراء الأجناد لفتح بلاد الشام، فبعث أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، فتمت وقعة أجنادين بالقرب من الرملة بفلسطين، ونصر الله المؤمنين، فجاءت البشرى، والصديقﷺ في مرضه الأخير، ثم كانت وقعة فحل، ووقعة مرج الصفر، وكان الصديقﷺ قد سير خالداً إلى غزو العراق، ثم بعث إليه لينجد مَنْ بالشام، وأَمَّره الصديق ﷺ على الأمراء كلهم، وحاصروا دمشق، وتوفي الصديقﷺ، فبادر عمر بن الخطابﷺ(13-23هـ=634-644م)، بعزل خالد بن الوليد، واستعمل على الكل أبا عبيدة، فجاءه الأمر فكتمه مدة، فلما كان فتح دمشق أظهره، ليعقد الصلح للروم، ففتحوا له باب الجابية صلحاً، وإذا بخالد قد افتتح البلد عنوة من الباب الشرقي، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح، وفي هذه المعارك التي واجه فيها المسلمون جيش الروم كثير العدد والعدة، لم يكن هناك من سبيل أمام المسلمين للتغلب على هذه الجيوش الجرارة، سوى تدبير العديد من الخدع العسكرية التي تفتقت عنها عقول المسلمين، واستطاع المسلمون بهذه الخدع استئصال شأفة جيش الروم الذي سيطر على هذه البلاد مدة طويلة، وجعل غلالها نهباً للإمبراطورية الرومانية.

1- الخدع العسكرية للمسلمين في معركة أجنادين[1]

تعد معركة أجنادين أول معركة بين المسلمين والروم، وذلك سنة (13هـ = 634م)[2]، والذي هيج هذه المعركة أنه لما انصرف أبو عبيدة بن الجراح[3]، وخالد بن الوليد إلى

---

(1) أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين بين الرملة وبيت جبرين. (الحموي: معجم البلدان، ج1، ص103).

(2) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص119؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص134؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص347؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص159؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص265؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص517.

(3) أبو عبيدة بن الجراح: اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح، قال النبيﷺ: " لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، توفى في طاعون عمواس بالشام سنة (18هـ=639م) (للمزيد ينظر ابن حبان:

حمص، بعد وقعة مرج الروم[1]، ونزل عمرو بن العاص[2]، وشرحبيل بن حسنة[3]، على أهل بيسان[4] فافتتحها، وصالح أهل الأردن، واجتمع عسكر الروم بأجنادين، غزة، وبيسان، وعليهم أرطبون من بطارقة[5] الروم، فسار عمرو وشرحبيل إليهم، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي [6][7]، فنزل بالأرطبون، ومعه الروم، وكان الأرطبون أدهى الروم، وكان وضع بالرملة[8] جنداً عظيماً، وبإيلياء[9] جنداً عظيماً، وكتب المسلمون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخبر، فلما بلغ عمر رضي الله عنه الخبر قال: " قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج"[10].

مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص8؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ج1، ص100؛ النسائي: فضائل الصحابة، ج1، ص28).

(1) مرج الروم: كانت هذه الوقعة بين المسلمين والروم في السنة (15هـ=636م). (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص339؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص541).

(2) عمرو بن العاص: أمير مصر يكنى أبا عبد الله، وأبا محمد أسلم قبل الفتح سنة (8هـ= 629م)، وكان من دهاة العرب في الإسلام مات سنة (43هـ=663م). (للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص650).

(3) شرحبيل بن حسنة: وحسنة أمه، ولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة الجيش حيث أنفذهم إلى الشام وكان من أمراء الأجناد الأربعة، وكنيته أبو عبد الله، مات بالشام في طاعون عمواس سنة(18هـ=639م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص330؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج3، ص328).

(4) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص292؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص527).

(5) البطريق: بلغة أَهل الشام والروم هو القَائدُ، مُعرَّب، وجمعه بطَارِقةٌ. (ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص21).

(6) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص119؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص192؛ ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج2، ص544؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص265.

(7) أبو الأعور السلمي: عمرو بن سفيان ويقال عمرو بن عبدالله بن سفيان، شهد اليرموك أميراً على كردوس، وكان مع معاوية بصفين، وكان على أهل الأردن. (للمزيد ينظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص50-51؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج4، ص641).

(8) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها، وكانت رباطاً للمسلمين. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص69).

(9) إيلياء: مدينة بيت المقدس. (للمزيد ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص144؛ الحموي: المصدر السابق، ج1، ص269).

(10) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص447؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص192؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص345.

وقال الواقدي شهد يوم أجنادين مائة ألف من الروم[1]، وكان المسلمون يـوم أجنـادين اثنين وثلاثين ألفاً[2]، وعن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو بـن العاص يحدث في بيت المقدس يقول:" شهدنا أجنادين ونحن يومئذٍ عشرون ألفـاً"[3]، وكانـت الجيوش المكلفة بفتح بلاد الشام، تلاقي صعوبة في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقـد كانـت تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية، التي تمتاز بقوتها وكثرة عددها، وقد بنت الحـصون والقلاع للدفاع عن مراكز المدن، واستخدمت أسلوب الكراديس في تنظيم جيوشها[4].

ولقد جاءت خدعة عمرو بن العاص العسكرية لأرطبون الروم، بعدما أقام عمرو علـى أجنادين لا يقدر من الأرطبون على شيء، ولا تشفيه الرسل فسار إليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه، حتى عرف ما أراد ففطن به الأرطبون، وقال:" لا شك أن هذا هو الأمير، أو من يأخذ الأمير برأيه، وما كنت لأصيب القـوم بـأمر أعظم عليهم من قتله"[5]، فأمر إنساناً أن يقعد على طريقه ليقتله إذا مر به، وفطن عمرو لفعله فقال له: " قد سمعت مني وسمعت منك، وقد وقع قولك مني موقعاً، وأنا واحدٌ من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب إلى هذا الوالي لنساعده، ويشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فـإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى، فقد رآه الأمير وأهل العسكر، وإن لم يروه رددتهـم إلـى مأمنهم ، وكنت على رأس أمرك"[6]، فقال: نعم !، ورد الرجل الذي أمر بقتله، وقال لعمـرو: انطلق وجئ بأصحابك، فخرج عمرو من عنده ورأى أن لا يعد لمثلها، وعلم الرومـي أنهـا خدعة اختدعه بها، فقال:" خدعني الرجل، هذا أدهى الخلق"[7] ولقد بلغ الخبر إلـى عمـر رضي الله عنه فقال: " لله در عمرو"[8]، ثم التقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالاً شديداًحتى كثـرت القتلـى بيـنهم، وانهزم أرطبون فأوى إلى إيلياء، ونزل عمرو بأجنادين[9].

---

(1) فتوح الشام، ج1، ص18.

(2) المصدر السابق: ج1، ص211.

(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص102.

(4) الصلابي: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ج5، ص61.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص345.

(6) المصدر السابق: ج2، ص345.

(7) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص447.

(8) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص192؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص346؛ ابن كثير: البدايـة والنهاية، ج7، ص54.

(9) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص355؛ ابن الجوزي: المـصدر الـسابق، ج4، ص192؛ ابـن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص544.

وشجع انتصار المسلمين في أجنادين أهل الجزيرة العربية على الخروج لجهاد الروم في الشام، ووصلت أخبار النصر إلى المدينة، وسمع بها أهل الحجاز واليمن، الذين تسابقوا في الخروج إلى الشام رغبة في الأجر والثواب(1)، كما استفاد المسلمون من انتصارهم في أجنادين، فاحتلت الجيوش الإسلامية مناطق جديدة، ولكن الروم أخذوا يعيدون تنظيم صفوفهم، ويستعدون لحرب جديدة ضد المسلمين، وقد جلب هرقل قوات من أرمينية، وآسيا الصغرى، ولم يعتمد كثيراً على العرب في بلاد الشام، وعين لقيادتها القائد ماهان(2).

وتتضح مهارة عمرو بن العاص وخدعه العسكرية لأرطبون الروم فيما يلي:

1- أن عمراً لجأ للخدعة بعدما عجز المسلمون عن غلبة أرطبون الروم، مما يعني أن الحرب التي تفتقد للخدعة هي حرب خاسرة.

2- أن الذي تولى تدبير هذه الخدعة هو عمرو بن العاص شخصياً وليس رسولاً آخر، مما يعني أن الأمر في غاية الجد الذي استدعى تدخل عمرو بن العاص شخصياً.

3- أن عمراً استطاع في طريقه للأرطبون الاطلاع على تحصينات الروم العسكرية، وهذه خدعة غاية في الأهمية، أن يعرف القائد الإمكانات الحقيقية لعدوه، قبل منازلته، لوضع الخطط العسكرية المناسبة للانتصار عليه.

2-الخدع العسكرية للمسلمين في معركة اليرموك(3)

كانت معركة اليرموك سنة(13هـ= 634م)، وكانت أول فتح فُتِحَ على عمر بن الخطاب، بعد عشرين ليلة من متوفى أبي بكر(4)، وقيل كانت معركة اليرموك في(رجب 15هـ= أغسطس 636م)(5)، والذي هيج هذه المعركة أن أبا بكر الصديق وجه خالد بن

---

(1) أبو الرب: فلسطين في صدر الإسلام، ص116.

(2) فوزي: الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، ص41.

(3) اليرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن. (الحموي: معجم البلدان، ج5، ص354).

(4) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص123؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص519 .

(5) ابن خياط: الطبقات لابن خياط، ج1، ص4؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ج3، ص313؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص359؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص141؛ الذهبي: العبر في خبر من=

سعيد بن العاص[1] إلى الشام، ووجه خالد بن الوليد إلى العراق، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً، وأن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام، فهابته الروم فأحجموا عنه فلم يصبر على أمر أبي بكرﷺ، ولكن استعجل الأمر فاستدرجه الروم إلى مرج الصفر[2]، ثم هجموا عليه، فقتلوا ابنه سعيد هو ومن معه، وأتى الخبر خالداً فخرج منسحباً حتى أتى البر، واجتمعت الروم إلى اليرموك، فنزلوا به، وقالوا: والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن ورود بلادنا بخيوله، وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكرﷺ بالذي كان، فكتب أبو بكرﷺ إلى عمرو بن العاص، وكان في بلاد قضاعة[3] بالسير إلي اليرموك ففعل، وبعث أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان[4]، وأمر كل واحد منهما بالهجوم مع عدم التوغل حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم[5]، ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم، وخافوا خوفاً شديداً، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر، فعند ذلك سار إلى حمص، وأمر بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف[6]، وجاء جبلة بن الأيهم الغساني[7] في ستين ألفاً من متنصرة العرب[8]، فتكاملوا أربع مائة ألف فيما يزعمون، وأمر عليهم هرقل دمستق ماهان[9]، وقيل كان الروم أزيد من مائة ألف[10]، وقيل كان الروم في مائتي ألف، وأربعين ألف مقاتل منهم ثمانون ألف مقيد، وأربعون ألف مسلسل

غبر، ج1، ص18؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص701؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص4؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص27.

(1) خالد بن سعيد بن العاص: ويكنى أبا سعيد ويقال كان رابعاً أو خامساً في الإسلامﷺ، واستشهد بأجنادين. (للمزيد ينظر ابن الأثير: الآحاد والمثاني، ج1، ص387؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص236).

(2) مرج الصفر: بالضم وتشديد الفاء بدمشق. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص101).

(3) قضاعة: قبيلة شمال الحجاز. (للمزيد ينظر ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص255).

(4) يزيد ين أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير الشام وأخو الخليفة معاوية كان من فضلاء الصحابة من مسلمة الفتح. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص328؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص658).

(5) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص342؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص84.

(6) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص5.

(7) جبلة بن الأيهم الغساني: أبو المنذر ملك آل جفنة بالشام أسلم وأهدى للنبيﷺ هدية فلما كان زمن عمرﷺ ارتد ولحق بالروم. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص532).

(8) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص166؛ ابن العماد: مصدر سبق ذكره، ج1، ص27.

(9) المقدسي: البدء والتاريخ، ج5، ص184.

(10) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص18.

للموت، وأربعون ألفاً مربوطون بالعمائم لئلا يفروا، وثمانون ألف رجل، وقيل كـــانوا مائـــة ألف[1].

ويستدل من هذه الأعداد التي حشدها الروم، لمواجهة المسلمين، حالة الخـــوف التـــي أصابت الدولة الرومانية، من الانتصارات التي حققها المسلمون في بلاد العـــراق المجـــاورة على الفرس، وخشيتهم من هزائم مماثلة للهزائم التي لحقت بالقوات الفارسية.

واقتصرت جميع عساكر المسلمين، على واحد وعشرين ألفاً، سوى الجيش الـــذي مـــع عكرمة بن أبي جهل، وكان واقفاً في طرف الشام ردءاً للناس في ستة آلاف[2]، وقيـــل فـــي عددهم غير ذلك، وكان فيهم ألف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدراً[3].ولقد كتبت الأمراء إلى أبي بكرﷺ، يعلمونه بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم أن اجتمعـــوا وكونـــوا جنـــداً واحداً، فأنتم أنصار الله، وقال الصديق ﷺ:" والله لأشغلن النصارى عن وســـاوس الـــشيطان بخالد بن الوليد"[4]، وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على مـــن بـــه[5]، ودعا خالد الأدلة فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة الجندل، ثم توغل في البر إلى قراقر[6] ثم قال:" كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فإني إن استقبلتها حسبتني من غياث المسلمين"[7] فكلهم قال: " لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش، إنما يأخذه الفذ الراكب فإياك أن تغرر بالمسلمين"[8] فعزم عليهم، ولم يجبه إلى ذلك إلا رافع بن عميرة[9] فقام فيهم فقال:" لا يختلفن هديكم ولا يضعفن يقينكم واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له"[10] فقالوا له: أنت

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص259؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص70.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص5.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص336؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص119؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص258؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص9.

(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص342؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص84؛ ابـــن كثيـــر: المصدر السابق، ج7، ص5.

(5) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص117؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص5.

(6) قراقر: موضع في ديار كلب. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص1075).

(7) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص342.

(8) المصدر السابق: ج2، ص342.

(9) رافع بن عميره: كان دليلاً بصيراً بالطريق حاذقاً دلّ خالد بن الوليد على طريق السماوة حين سيره إلى الشام، وسلك به الصحراء حتى وصل به إلى البشر، جبل بالقرب من أعمال حلب. (للمزيد ينظر ابن حجـــر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص440).

(10) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص342.

رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك فوافقوه، فأمر خالد صاحب كل خيل أن يعد لها الماء بقدر ما يسقيها، وجمع عدداً من الإبل السمان ظمأها حتى إذا أجهدها عطشاً أوردها الماء ثم سقوها العلل[1] بعد النهل[2] ثم صرّوا آذانها وكعموها وخلوا أدبارها، ثم ركبوا من قراقر فلما ساروا يوماً افتظوا لكل عدة من الخيل عشراً من تلك الإبل فمزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ثم سقوا الخيل وشربوا ففعلوا ذلك أربعة أيام[3].

وتظهر مهارة خالد بن الوليد وخدعه العسكرية في الوصول لليرموك في خمسة أيام فيما يلي:

1- دعوة خالد بن الوليد للأدلاء فطنة، هدفت إلى استشارة أكبر عدد من القادة المسلمين في كيفية الوصول لليرموك في أقرب وقت ممكن؛ كي لا يتحمل وحده وزر خطأ قد يكلف المسلمين هزيمة منكرة.

2- ولوج خالد للطريق الصحراوي خدعة هدفت إلى مفاجأة الروم من جانب، وقطع الطريق عليها لمواجهته قبل أن يصل لليرموك من جانب آخر، فالمعركة ينبغي أن تكون في اليرموك وليس في أي مكان آخر.

3- تغلب خالد على مشكلة حاجة الجيش للمياه بالطريقة التي ابتدعها حسن تدبير، هدف تأمين حاجة الجيش من الماء بهذه الطريقة البسيطة، وذلك حتى لا يتعرض الجيش للهلاك في قلب الصحراء.

وكان قتال المسلمين لهم على تساند كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدوم خالد بن الوليد، فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين فسار فيهم خالد بن الوليد، ثم قال:" لا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم متساندون فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن مَنْ وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به، بالذي ترون أنه رأي من واليكم ومحبته، قالوا: هات، فما الرأي؟ قال:" إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى

(1) العلل: الشرب الثاني. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص189).

(2) النهل: الشُّرب الأول. (المصدر السابق: ج1، ص284).

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص342؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص84؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص5.

أنا سنتياسر... إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من إمدادهم[(1)].

ولقد دبر المسلمون العديد من الخدع العسكرية قبل بدء المعركة وكان لها عظيم الأثر في حسم المعركة لصالح المسلمين، ومن هذه الخدع:

1- تقسيم الجيش الإسلامي إلى كراديس[(2)]، فخرج الجيش في ستةٍ وثلاثين كردوساً إلى الأربعين، وقال ابن الوليد :" إن عدوكم كثير وليس تعبيته أكثر في رأي العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس، وعليها عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس، وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان على كردوس من كراديس أهل العراق القعقاع بن عمرو، وجعل على كل كردوس رجلاً من الشجعان[(3)]، ويبدو أن خالداً اتبع هذا النظام لمواجهة تفوق الروم العددي، لأن أسلوب الكراديس يعطي مجالاً للقادة في الميدان للمناورة بالقوات بحرية أكبر، ويوفر للقائد العام احتياطياً لاستخدامه عند الحاجة الماسة[(4)].

2- أن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك، فجاء أبو سفيان، ثم أشار أن يجتزأ الجيش ثلاثة أجزاء فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث الآخر، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم، ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم، ليصل إليهم المدد، فاقتتلوا كما أشار به، ونعم الرأي هو[(5)].

3- مشورة خالد بن الوليد لأبي عبيدة بتفريق الخيل إلى فرقتين، وجعلها وراء الميمنة والميسرة للجيش الإسلامي، حتى إذا هجم المسلمون حموا ظهورهم من أن تأتي الروم إليهم من ورائهم[(6)].

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص335؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص259.

(2) الكردوس: كتلة من الجنود يتألف من ألف مقاتل، وينقسم الكردوس إلى أجزاء عشرية: العريف، يقود عشرة رجال، وآمر الأعشار، يقود مائة رجل، ولكل كردوس قائد له راية. (للمزيد ينظر خطاب: خالد بن الوليد المخزومي، ص140).

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص118؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص259- 260.

(4) أبو الرب: فلسطين في صدر الإسلام، ص126.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص7.

(6) المصدر السابق: ج7، ص8.

ولقد بلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته:" اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن[1]، واسع المطرد[2]، ضيق المهرب"[3] ونزلوا الواقوصة[4]، وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم، ونزل المسلمون بحذائهم على طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو بن العاص:" أبشروا حُصرت الروم، وقلما حاصر قوم قوماً إلا ظفروا بهم"[5]، ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل، والقعقاع بن عمرو، وهما على مجنبتي القلب أن ينشئا القتال[6]، ثم نهد أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، في أيام ذي ضباب ورذاذ فهزموهم، وفض الله جموعهم، فتساقط في هوة ثمانون ألفاً لا يشعر آخرهم بما لقي أولهم، وسميت تلك الهوة هوة اليرموك، وقتلوا بالسيف سبعين ألفاً، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو بأنطاكية[7]، فخرج إلى القسطنطينية[8]، وأشرف على الشام فقال:" السلام عليكم سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبداً"[9]، وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة بن أبي جهل، وابنه عمرو.

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو:

أَلَمْ تَرَنَا عَلى اليَرْمُوكِ فُزْنَا ... كَمَا فُزْنَا بِأَيَّامِ العِرَاقِ
فَتَحْنَا قَبْلَهَا بُصْرَى وكَانَتْ ... مُحَرَّمَةَ الجِنَابِ لَدَي النِّفَاقِ
وعَذْرَاءُ المَدَائِنِ قَدْ فَتَحْنَا ... ومَرْجُ الصِّفْرَيْنِ عَلَى العِتَاقِ

(1) العطن: الموضع الذي تُناخ فيه الإبل إذا رويت. (الزمخشري: الفائق، ج3، ص61).

(2) المطرد: رَمْحٌ قصير تُطْعَنُ به حُمُر الوحش. (ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص268).

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص334؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص117؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص5.

(4) االواقوصة: واد بالشام في أرض حوران. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص354).

(5) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص339؛ ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص117؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص6.

(6) ابن كثير مصدر سبق ذكره، ج7، ص10.

(7) أنطاكية: من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص266).

(8) القسطنطينية: ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة قال ابن خرداذبة: كانت دار ملك الروم، واسمها اليوم إستنبول، وهي اليوم أهم المدن التركية. (الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص347).

(9) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص141؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج5، ص185؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص261؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص516.

قَتَلْنَا مَــنْ أَقَــامَ لَنَــا وفِينَــا   نَهَــابُهُــمْ بِأَسْيَــافٍ رِقَــاقِ
قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تَسَــاوَى   عَلَى اليَرْمُوكِ نَفْرُوقُ الوراقِ
فَضَضْنَا جَمْعَهُم لَمَّا اسْتَحَالُوا   عَلَى الواقــوصةِ البَتَرَ الرقاقِ
غَدَاةَ تَهَافَتُوا فِيهَــا فَصَــارُوا   إِلَي أَمــرٍ يَعْضِــلُ بِالذَّوَاقِ[1].

وتتضح مهارة خالد بن الوليد وخدعه العسكرية في معركة اليرموك فيما يلي:

1- قدرة خالد بن الوليد على معرفة نقاط ضعف الجيش الإسلامي في مواجهة الجيش الرومي، عند أول وصوله من العراق لساحة المعركة، حدق عسكري لخالد.

2- مباشرة خالد لتقسيم الجيش الإسلامي إلى كراديس، لمواجهة الجيش الرومي، خدعة لم يعهدها الروم من قبل في حروبهم مع العرب.

3- رأي أبي سفيان تقسيم الجيش الإسلامي، إلى ثلاثة أقسام، على أن يسير ثلثه فقط لمواجهة الروم في حين يبقى الباقي لحماية ظهر الثلث المتقدم خدعة أخرى لم يعهدها الروم في حروبهم مع المسلمين.

4- جعل الصحراء خلف ظهر الجيش الإسلامي حدق، وذلك لترك الفرصة أمام الجيش الإسلامي، للمناورة العسكرية والهجوم والانسحاب.

5- رأي خالد بجعل الخيل فرقتين، وجعلهما خلف ميمنة وميسرة الجيش الإسلامي، فطنة هدفت إلى حماية الجيش من أي محاولة للالتفاف عليه من قبل الروم.

6- حسم المعركة في يوم ذي ضباب ورذاذ، حسن تدبير، فمن شأن الضباب والرذاذ أن يعمي عن المهاجمين، ويجعلهم وجهاً لوجه مع عدوهم، الذي لم يجد من سبيل سوى الهرب.

وانتهت معركة اليرموك الحاسمة التي فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين، بانتصار المسلمين رهبان الليل فرسان النهار على الروم، وطاردوهم حتى أبواب دمشق[2].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص15.

(2) خطاب: خالد بن الوليد المخزومي، ص143.

3-الخدع العسكرية للمسلمين في معركة فحل(1)

كانت وقعة فحل سنة (13هـ= 634م)(2)، وكان سبب هذه المعركة، مجيء الخبر إلى أبي عبيده بن الجراح، وهو عازم على حصار دمشق، إذ أتاه الخبر بقدوم مدد الروم من حمص، وجاء الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ فكتب إلى عمرﷺ في ذلك فجاءه الجواب:" أن ابدأ بدمشق فإنها حصن الشام، وبيت مملكتهم فانهد لها، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم، فإن فتحها الله قبل دمشق، فذلك الذي يجب، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت، ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فحل، فسر أنت وخالد إلى حمص، واترك عمراً، وشرحبيل على الأردن وفلسطين(3).

ولقد سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق إلى فحل، واستخلف على دمشق يزيد ين أبي سفيان في خيله، وبعث خالداً على المقدمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة، وكان على المجنبتين أبو عبيدة، وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور(4)، وعلى الرجال عياض بن غنم(5)، وكان أهل فحل قد قصدوا بيسان، فنزل شرحبيل بن حسنة بالناس فحلاً، وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم، وما صنعه الروم من تلك المكيدة، وهم يحدثون أنفسهم بالمقام، ولا يريدون أن يقربوا فحلاً حتى

---

(1) فحل: اسم موضع بالشام في ناحية الأردن. (الحموي: معجم البلدان، ج4، ص237).

(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص99؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص144؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص281؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص17؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص23.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج4، ص143؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص278؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص19.

(4) ضرار بن الأزور: شهد اليرموك أميراً على كردوس، وشهد فتح دمشق وتحول إلى الجزيرة ومات بها، وقيل إنه قتل في حروب الردة. (ابن قانع: معجم الصحابة، ج2، ص29؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص482).

(5) عياض بن غنم: هاجر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، وشهد بدراً، وأحداً، والخندق والمشاهد، مات بالمدينة (سنة20هـ=640م). (ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص51؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص354؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج4، ص757).

يرجع جواب كتابهم من عند عمر، ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال[1] .

ولقد حاول الروم مخادعة المسلمين في هذه المعركة، وذلك بعدما عمدوا حينما نزلوا ببيسان إلى بثق أنهارها، وهي أرض سبخة، فكانت وحلاً، ويعلل أحد المؤرخين ذلك بمحاولة الروم تأجيل المعركة حتى تتكامل إمداداتهم[2]، وقرر المسلمون مهاجمة الروم قبل أن تتكامل إمداداتهم العسكرية فاقتحموا الأرض الموحلة بخيولهم[3]، ولم يعلموا بما صنعت الروم فوحلت خيولهم، ولقوا فيها غنائم، وسميت بيسان ذات الردغة لما لقى المسلمين فيها[4]، وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل ما ترك فيه المشركون، فباغتهم القوم، وعلى الروم سقلار بن مخراق[5]، ورجوا أن يكونوا على غرة، فأتوهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم، وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة، فاقتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم إلى الليل، فأظلم عليهم الليل، فانهزموا وهم حيارى، وقد أصيب رئيسهم سقلار، وظفر المسلمون بهم أحسن ظفر وركبوهم، فوجدوهم حيارى لا يعرفون وجهتهم فأسلمتهم هزيمتهم الثقيلة، وحيرتهم إلى الوحل فركبوه، ولحق المسلمون بهم، وقد وحلوا، فركبوهم ووخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة في فحل، وكانت مقتلتهم في الرداغ، فأصيب ثمانون ألفاً لم يفلت إلا الشريد[6]، وغنموا منهم شيئاً كثيراً، ومالاً جزيلاً[7].

ولقد دخل المسلمون فحل، وذلك في (ذي القعدة 13هـ= ديسمبر635م)، على ستة أشهر من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ[8]، وقد أدى انتصار المسلمين في فحل إلى تدهور حالة الرومان المعنوية، ودخول أهل البلاد في معاهدات صلح مع المسلمين، استسلمت فيها بقية مدن فلسطين دون قتال[9].

---

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص141؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص360؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص279–280؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص51.

(2) أبو الرب: فلسطين في صدر الإسلام، ص119.

(3) المرجع السابق: ص119.

(4) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص355؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص19.

(5) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص107؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص280؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص25.

(6) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج2، ص280؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج7، ص25.

(7) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص356؛ ابن عساكر: مصدر سبق ذكره، ج2، ص100.

(8) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص142.

(9) أبو الرب: فلسطين في صدر الإسلام، ص120.

وتتضح مهارة شرحبيل وخدعه العسكرية في هذه المعركة، رغم مُبَادءة الــروم له بالمخادعة فيما يلي:

1-أن الروم لم يستطيعوا استدراج المسلمين للمناطق التي أغرقوها بالمياه، وهذا حدق يحسب للمسلمين في هذه المعركة.
2- أن الجيش الإسلامي ظل في حالة تأهب قصوى للحرب، لصد أي هجوم مباغت من قبل الروم، وهذا ما حصل حينما بدأ الروم بمهاجمة الجيش الإسلامي، ولكن تحسب شرحبيل لهذا الأمر أفشل كل الخدع العسكرية التي دبرها الروم، وهذا حدق يحسب لشرحبيل.
3- أن ملاحقة الجيش الإسلامي للجيش الرومي المهزوم فطنة، كانت تهدف إلى دفع جــيش الروم للهروب إلى المناطق التي أغرقوها بالمياه، لمضاعفة خسائرهم.

4-الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة دمشق

كان فتح مدينة دمشق سنة(13هــ = 634م)[1]، وذكر بعض المؤرخين أن فتح دمــشق وقع سنة(14هــ= 635م)[2]، ويذكر سيف بن عمر أن أبا عبيدة بن الجراح، لما ارتحل مــن اليرموك نزل بالجنود على مرج الصفر، وهو عازم على حصار دمشق، وقد جعل خالد بــن الوليد في القلب، وركب أبو عبيدة، وعمرو بن العاص في المجنبتين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة، فقدموا على دمشق، وعليها الأميــر نــسطاس بــن نسطورس، وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة، وقيل أربعة أشهر[3]، وقيل ســتة أشــهر، وقيل أربعة عشر شهراً[4].

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص142؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص359.
(2) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص125؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ج3، ص311؛ الطبــري: المصدر السابق، ج2، ص356؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص110؛ ابن الجــوزي: المــصدر السابق، ج4، ص143؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص22.
(3) ابن خلدون: تاريخ ابن حلدون، ج2، ص518.
(4) الطبري: المصدر السابق، ج2، ص358؛ ابن عساكر: مصدر سبق ذكره، ج2، ص119؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج4، ص143؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص278؛ ابن كثير: المصدر الــسابق، ج7، ص20؛ ابن خلدون: المصدر السابق،، ج2، ص518.

ويستدل مما سبق أهمية الحصار الطويل للعدو في تقويض عناصر القوة لديه، وتحطيم روحه المعنوية، وجعل فتح مدنه وحصونه أسهل مما لو تمت مهاجمته مباشرة.

ولقد امتنع أهل دمشق من النصارى غاية الامتناع، وأخذوا يرسلون إلى ملكهم هرقل وهو مقيم بحمص يطلبون منه المدد، ولكن دون جدوى، فلما أيقنوا أنه لا يصل إليهم مدد فشلوا وضعفوا، وقوى المسلمون، واشتد حصارهم، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد، وعسر الحال، وعسر القتال، فقدّر الله أن ولد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً، وسقاهم بعده شراباً، وباتوا عنده في وليمته، وفطن لذلك خالد بن الوليد، فلما رأى سكون تلك الليلة وأنه لا يقاتل على السور أحد، كان قد أعدّ سلاليم من حبال، وقد أحضر وقربّ جيشه عند الباب، وقال لهم: إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور، فارقوا إلينا، ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق فنصبوا تلك السلالم، وأثبتوا أعاليها بالشرفات، وأكدوا أسافلها خارج الخندق، وصعدوا فيها، فلما استووا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلالم، وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوهم، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف، وفتحوا الباب عنوة فدخلها الجيش الإسلامي من الباب الشرقي للمدينة[1].

وتظهر مهارة خالد بن الوليد وخدعه العسكرية في هذا الفتح فيما يلي:

1-إعداد السلاليم وتجهيزها فطنة، وذلك لارتقاء الجند للأسوار العالية في ساعة الصفر، فلولا هذه السلاليم لما استطاع المسلمون ارتقاء الأسوار العالية للمدينة.

2- وضع الجيش الإسلامي عند باب المدينة خدعة، قصد منها شد انتباه الجيش الرومي إلى الباب، وإهمال مراقبة الأسوار.

3- التكبير بصوت عال خدعة أخرى، سواء من حيث إرباك المحاصرين داخل المدينة، أو من حيث رفع الروح المعنوية للمسلمين بنجاح عملية تسلق الأسوار.

4- انحدار خالد، وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين مباشرة وقتلهم حدق هام، وذلك لإدخال بقية الجيش الإسلامي للمدينة، ليستكملوا فتحها والسيطرة عليها.

---

(1) البسوي: المعرفة والتاريخ، ج3، ص312 – 313؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص358؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص119؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص279؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص20– 24.

وتمكن المسلمون بعد فتح دمشق وفحل من بسط نفوذهم على سوريا والجزيرة وفلسطين والأردن، فقد اتجه أبو عبيدة إلى مدينة حمص وحاصرها، ثم فتحها صلحاً على أثر زلـزال وقع فيها، وصالحت مدينة حماة على مثل صلح مدينة حمص، ثم اتجه أبو عبيدة إلى مدينـة اللاذقية فحاصرها، وأطال سكانها الحصار لإنقاذ مدينة أنطاكية، لكنـه تمكـن مـن فتحهـا بالقوة[1].

(1) العمري: عصر الخلافة الراشدة، ج1، ص373.

المبحث الثالث

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مصر

كانت دوافع فتح مصر عند المسلمين قوية، فهناك العقيدة التي يريدون التمكين لها في كل مكان، ومصر تتصل بفلسطين، فمن الطبيعي بعد فتح فلسطين أن يتجه المسلمون بجيوشهم إلى مصر، وبتحرير بلاد الشام شطر المسلمون الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين، لايفصل بينهما سوى البحر، كما كان لزاماً على المسلمين فتح مصر، وذلك لحجم القوات العسكرية الرومانية فيها، فهناك مثلاً أسطول قوي في البحر، ولن يأمن المسلمون في الشام، ومصر تحت النفوذ الرومي، ومصر كذلك غنية وهي مصدر لتموين القسطنطينية، فإذا فتحها المسلمون ضعف نفوذ بيزنطة كثيراً، وأمن المسلمون في الشام والحجاز.

1- الخدع العسكرية للمسلمين وفتح حصن بابليون[1]

كان فتح مصر سنة(20هـ = 640م)، وذلك بعدما فرغ عمر بن الخطابﷺ من فتح الشام كلها، كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر سنة (20هـ=641م)[2] وأتبعه الزبير بن العوام[3] مدداً له في اثني عشر ألفاً، فأخذ المسلمون بابليون[4]، وأحاط المسلمون بالحصن، وأميره يومئذ المندقور، الذي يقال له الأعيرج من قبل المقوقس، وكان المقوقس ينزل الإسكندرية، وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاضراً الحصن حين حاصره المسلمون[5]، وقد عمد المسلمون بعدما أحاطوا بالحصن إلى مجموعة من الخدع العسكرية، وذلك لفتح الحصن بأقل الخسائر.

---

(1) بابليون: اسم عام لديار مصر بلغة القدماء، وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص311).

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص291.

(3) الزبير بن العوام: حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص41؛ الذهبي: المعين في طبقات المحدثين، ج1، ص17).

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص405؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص9.

(5) ابن تغري بردى: المصدر السابق، ج1، ص8.

وجاء رجل إلى عمرو بن العاص، وقال: اندب معي خيلاً حتى أتي من ورائهم عند القتال، فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة(1)، فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا قبيل الصبح، وكانت الروم قد خندقوا خندقاً، وجعلوا له أبواباً، وبثوا في أفنيتها حسك الحديد، فالتقاهم القوم حين أصبحوا، وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن، وقاتلهم قتالاً شديداً، بصبحهم وعشيهم(2).

وتتضح مهارة ابن العاص وخدعه العسكرية في فتح الحصن فيما يلي:

1- استجابة عمرو للخدعة التي تقدم بها أحد الرجال فطنة، إذ لو لم يستجب عمرو لذلك لضاعت فرصة الفتح على المسلمين، وهذه فطنة تحسب لعمرو.

2- تحرك الفرسان الخمسمائة من وراء الجبل، بعيداً عن أعين الأعداء حسن تدبير، فاجأ الروم الذين تخندقوا في الخنادق، وذلك لعدم توقعهم وصول المسلمين إليهم من هذه النقطة الصعبة.

3- سير الفرسان الخمسمائة ليلاً فطنة محكمة، فهذا العدد الكبير من السهل رصده نهاراً، ونصب الكمائن له ليلاً، وليس هناك من وقت مناسب لتحرك هذا العدد سوى الليل، وهذه فطنة تهدف إلى الحفاظ على سرية تحرك الجيش، ومباغتة العدو.

4- خروج حذافة في ساعة طلوع الفجر من وراء الروم المتحصنين في الخنادق حسن تدبير، جنب المسلمين الفخاخ التي أعدها الروم للإيقاع بهم، كبث حسك الحديد حول الخنادق التي تحصنوا بها.

وبعدما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير بن العوام: " إني أهب نفسي لله تعالى وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين"(3)، فوضع سلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً، فما شرعوا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، وتحامل الناس على السلم، حتى نهاهم عمرو خوفاً أن ينكسر

---

(1) خارجة بن حذافة: ابن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، شهد فتح مصر، وكان أمير ربع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب ﷺ عمرو بن العاص في فتح مصر، وكان على شرطة مصر في إمرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان الأموي، قتله خارجي بمصر سنة (40هـ=660م)، وهو يحسب أنه عمرو بن العاص. (للمزيد ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،ج7، ص216؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص222).

(2) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص8.

(3) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص215؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص10.

السلم، وكبر الزبير تكبيرة فأجابه المسلمون من الخارج، فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً الحصن، فهربوا وعمد الزبير بأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن[1].

وتظهر مهارة الزبير وخدعه العسكرية التي دبرها في فتح الحصن فيما يلي:

1- وضع السلم من ناحية سوق الحمام فطنة، وذلك لعدم توقع الروم الهجوم عليهم من هذه الناحية، إذ يبدو أن الروم قد أمنوا هذه المنطقة، ولم يحشدوا فيها ما يكفي من المدافعين.
2- أن الزبير هو الذي بدأ بالصعود على السلم، وهذا حدق، وذلك لاستكشاف المكان خشية أن يكون الروم قد كمنوا في هذا المكان مما يعرض جيش المسلمين للخطر.
3- التكبير بصوتٍ عالٍ خدعة، قصد منها زرع الخوف في قلوب الروم، وإشعارهم بأن المسلمين قد هجموا جميعاً، وأنه لا سبيل أمامهم سوى الهروب أو الاستسلام، كما أن التكبير بصوتٍ عالٍ فيه بث للحماس في نفوس الجند المسلمين، ليأخذوا أهبتهم لدخول المدينة وفتحها.
4- التوجه بعد عملية تسلق الأسوار إلى أبواب الحصن مباشرة لفتحها فطنة، وذلك لتسهيل عملية دخول الجيش الإسلامي بكل عتاده، لاستكمال فتح المدينة، وحتى لا يبقى المقتحمون للحصن أقلية قد يتخطفهم الروم بالقتل.

إن شجاعة وإقدام الزبير كانا مضرب الأمثال، وهما المزيتان البارزتان من بين مزايا قيادته، والحق أنه كان جندياً ممتازاً يتحلى بكل مزايا الجندي الممتاز: عقيدة راسخة، وضبط متين، وعقلية متزنة، وشجاعة شخصية، وتدريب جيد، وقابلية بدنية، ومعنويات عالية، وبهذه المزايا برز الزبير بطلاً في كل معركة خاضها[2].

وبينما عبادة بن الصامت[3] من ناحية يصلي وفرسه عنده، رآه قوم من الروم فخرجوا إليه عليهم حلية وبزة، فلما دنوا منه سلّم من الصلاة ووثب على فرسه ثم حمل عليهم، فلما رأوه ولوا هاربين، وتبعهم، فجعلوا يلقون متاعهم، ليشغلوه بذلك عن طلبهم، فصار لا يلتفت إليه حتى دخلوا الحصن، ورموا عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع ولم يتعرض لشئ

---

(1) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص142.

(2) خطاب: قادة فتح الشام ومصر، ص228.

(3) عبادة بن الصامت: أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وقد شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص5؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3 ، ص624).

مما طرحوه من متاعهم، حتى رجع إلى موضعه الذي كان فيه، فاستقبل الصلاة، وخرج الروم إلى متاعهم وجمعوه[1].

وتتبين من هذه الخدعة التي دبرها الروم ولم تنطل على عبادة ما يلي:

1- إلقاء المنسحبين الغنائم في طريق انسحابهم خدعة، قصد منها الروم إشغال عبادة عن ملاحقتهم.

2- عدم انشغال عبادة بالغنائم التي ألقاها الروم في طريق انسحابهم فطنة، مكنته من اللحاق بهم، وإبعادهم عن مراقبة معسكر المسلمين.

3- عودة الروم لجمع الغنائم التي ألقوها في طريق انسحابهم، لعدم التفات عبادة لها عند مطاردته لهم، تؤكد للروم أن الفتح الإسلامي لم يكن يهدف لجمع الغنائم كما زعموا.

ولقد سببت الانتصارات المتتابعة للمسلمين في إخافة المقوقس[2] على نفسه، وأجبرته على سؤال عمرو بن العاص الصلح، ودعاه إليه، على أن يفرض العرب على القبط[3] دينارين دينارين، على كل رجل منهم، فأجابه عمرو إلى ذلك، وكان مكثهم على القتال حتى فتح الله عليهم سبعة أشهر[4].

ويستدل من مجموعة الخدع العسكرية التي دبرها المسلمون لفتح حصن بابليون أهمية هذا الحصن العسكرية، ولعل فتح هذا الحصن كان له ما بعده، من فتح المسلمين لبقية المدن والقرى المصرية، وانتهاء الحكم الروماني لمصر، وهذا ما أكده العمري صاحب كتاب عصر الخلافة الراشدة، في سياق حديثه عن فتح حصن بابليون حينما قال: " وبعد سقوط حصن بابليون فتح الطريق أمام المسلمين للاستيلاء على مصر السفلى حتى لم يلقوا مقاومة عنيفة"[5].

---

(1) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص9.

(2) المقوقس: صاحب الإسكندرية الذي راسل النبيﷺ، وأهدى إليه. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص179).

(3) القبط: أهل مصر وهم أصلها. (للمزيد ينظر الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص217).

(4) للمزيد ينظر ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص10- 20.

(5) عصر الخلافة الراشدة، ج1، ص376.

2- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة الإسكندرية

فتحت الإسكندرية سنة (25هـ= 645م)[1]، وذكر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان: أن عمراً لما فتح مصر أقام بها، ثم كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ يستأمره في الزحف إلى الإسكندرية، فكتب إليه يأمره بذلك، فساروا إليها، واستخلف على مصر خارجة بن حذافة، وكان من دون الإسكندرية من الروم والقبط، قد تجمعوا له، وقالوا: نغزوه بالفسطاط[2] قبل أن يبلغنا وروم الإسكندرية، فلقيهم بالكريون[3] فهزمهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم سار عمرو حتى انتهى إلى مدينة الإسكندرية، فوجد أهلها مستعدين لقتاله إلا أن القبط في ذلك يحبون الموادعة، فأرسل إليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدة، فأبى عمرو ذلك فأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن إلى داخله، وأقام الرجال في السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك، فأرسل إليه عمرو بن العاص: " إنا قد رأينا ما صنعت، وبالكثرة غلبنا من غلبنا، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان"[4]، فقال المقوقس لأصحابه: " قد صدق هؤلاء القوم أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية فنحن أولى بالإذعان"[5]، فأغلظوا له القول وأبوا إلا المحاربة فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً، وحاصروهم ثلاثة أشهر، ثم إن عمراً فتحها بالسيف، وغنم ما فيها، واستبقى أهلها، ولم يقتل ولم يسلب، وجعلهم ذمة كأهل أليونة[6] فكتب بالفتح إلى معاوية بن خديج الكندي السكوني[7] وبعث إلى عمر معه بالخمس[8].

ويعزو المؤرخ محمود شاكر قصد عمرو الزحف على الإسكندرية إلى السير لمدينة نقيوس، وهي مدينة كان لها أهمية عظيمة لمناعتها من الوجهة الحربية(...)، ولها شهرة تاريخية قديمة في زمن الفراعنة[9].

---

(1) ابن تغري بردى: مصدر سبق ذكره، ج1، ص75.

(2) الفسطاط: مدينة مصرية. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص261).

(3) الكريون: اسم موضع قرب الإسكندرية. (للمزيد ينظرالمصدر السابق: ج4، ص458).

(4) القرشي: الخراج، ج1، ص340.

(5) المصدر السابق: ج1، ص340.

(6) أليونة: مدينة الفسطاط. (للمزيد ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص214).

(7) معاوية بن خديج الكندي: عامل معاوية بن أبي سفيان على مصر. (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص236).

(8) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص154؛ البلاذري: مصدر سبق ذكره، ج1، ص222؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص20.

(9) موسوعة الفتوحات الإسلامية، ص88.

لقد كانت مدينة الإسكندرية عند استيلاء المسلمين على مصر عاصمة الديار المصرية، وثانية حواضر الإمبراطورية الرومانية الشرقية، بعد القسطنطينية، وأول مدينة تجارية في العالم، وقد أيقن الروم أن سقوط هذه المدينة في أيدي المسلمين يؤدي حتماً إلى زوال سلطانهم عن مصر[1]، وقد ساعد المسلمين على فتح الإسكندرية موت الإمبراطور هرقل، وضعف الحكومة البيزنطة، بعد وفاته، وقيام المنازعات في القسطنطينية من أجل العرش مما اضطر الروم إلى العمل على إنهاء الحرب، وذلك بعقد صلح مع المسلمين حتى يتفرغوا لمشاكلهم الداخلية[2].

وتتضح مهارة عمرو وخدعه العسكرية التي دبرها لفتح مدينة الإسكندرية فيما يلي:

1- أن عمراً لم يتوجه للإسكندرية مباشرة حيث حشود الروم والقبط، وإنما توجه لمنطقة الكريون، بخلاف توقعات الروم وهي خدعة فاجأت الروم، وكانت الغلبة في هذه المعركة لعمرو، ويبدو أن خسائر الروم البشرية في هذه المعركة كانت عظيمة اضطرتهم للاستنجاد بالنساء لتحصين المدينة.

2- قلة عدد الجنود لدى المقوقس، واقتراب المسلمين من الإسكندرية، دفعه للتفكير في حشد النساء للإقامة على الأسوار، وهذه خدعة كان يقصد منها إخافة المسلمين، ومن ثم الرضوخ لشروطه عند الصلح.

3- أن هذه الخدعة لم تنطل على المسلمين الذين اكتشفوها وهذا حدق، ما يعني افتقادها لأي قيمة عسكرية.

3- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة عين شمس[3]

حاصر المسلمون عين شمس في مصر ما يقرب من الشهر، وارتقى الزبير عليهم سور البلد، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو بن العاص من الباب الآخر فصالحوه، واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو، فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب

(1) حمودة: تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها، ص33؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص194.

(2) سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص53.

(3) عين شمس: اسم مدينة فرعون موسى بمصر. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص178).

أمان[1]، بعدما أشرفوا على الموت، فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى الصلح، فصاروا ذمة، وأجروا من دخل في صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر، ومن اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه[2].

وتظهر مهارة الزبير وخدعه العسكرية التي دبرها لفتح المدينة فيما يلي:

1- ارتقاء الزبير لسور المدينة لوحده خدعة، هدفت إلى الاطلاع على الأوضاع العسكرية للروم داخل المدينة قبل الهجوم.

2- أن هذه الخدعة كان لها نتائج مباشرة في شعور القبط بعدم جدوى المقاومة، وضرورة الصلح مع المسلمين.

3- اختراق الزبير للمدينة والخروج من الجهة الأخرى للمدينة، فطنة هدفت إلى الاطمئنان من عدم وجود كمائن قد تعرض حياة المسلمين للخطر.

ويمكن ملاحظة أن موقف الروم في مصر تميز بالمقاومة العنيفة، لأن المسلمين يسلبونهم سلطانهم، ومنهم من سالم رغبة في الاستفادة من المسلمين، كالمقوقس بعد أن نفض يده من بيزنطة[3].

4- الخدع العسكرية للمسلمين في معركة ذات الصواري[4]

كانت معركة ذات الصواري سنة (31هـ=651م)[5]، وقيل سنة(34هـ=654م)، وجاءت هذه المعركة بعدما أصاب عبد الله بن أبي السرح[6] من أفريقية ما أصاب، ورجع إلى

---

(1) للمزيد ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص514؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص406؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص98؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص24.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص406.

(3) العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص377.

(4) ذات الصواري: في البحر من ناحية الإسكندرية. (للمزيد ينظر الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص34؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص80).

(5) البصري: أخبار المدينة، ج2، ص192؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص575؛ ابن تغري بردى: المصدر السابق، ج1، ص80.

(6) عبد الله بن سعد بن أبي السرح: ابن أبي سرح بن الحارث الأمير قائد الجيوش، وهو أخو عثمان من الرضاعة له صحبة ورواية حديث، ولي مصر لعثمان، وقيل شهد صفين والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى=

مصر، فخرج إليه قسطنطين بن هرقل غازياً الإسكندرية في خمسمائة مركب[1]، وقيل ستمائة مركب[2]، وقيل سبعمائة مركب[3]، وقيل ألف مركب[4]، وكان المسلمون في مائتي مركب[5]، وركب المسلمون البحر مع ابن أبي السرح، ومعه معاوية بن أبي سفيان[6]. في أهل الشام[7]،

ولقد عمد المسلمون في بداية المعركة إلى مخادعة الروم، وذلك حينما تراءى الجمعان وأرسوا سفنهم، فقرب المسلمون سفنهم من سفن الروم، وربطوا بعضها إلى بعض[8]، وحوّل المسلمون بذلك المعركة البحرية إلى معركة أقرب ما تكون إلى المعارك البرية، واشتد القتال بمياه البحر فصبغه بلونها الأحمر القاني[9]، ويعلل المؤرخ محمد السيد الوكيل هذا الفعل إلى نفاذ عتاد المسلمين العسكري[10]، ولقد عمد المسلمون إلى خدعة أخرى حينما صف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن، ووثب الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها، فكانوا يقاتلون على غير صفوف[11]، ووثبت الرجال يضربون بالسيوف على السفن، ويتواجؤون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً، ولقد قتل يومئذٍ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروه في موطن قط، ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام وانهزم قسطنطين مدبراً[12]، وسمي المكان ذات الصواري، والغزوة كذلك، لكثرة ما

إلى الرملة، قال مصعب بن عبد الله: استأمن عثمان لابن أبي سرح يوم الفتح من النبيﷺ، وكان أمر بقتله، وهو الذي فتح إفريقية، وكان قد ارتد فأهدر النبيﷺ دمه ثم عاد مسلماً واستوهبه عثمان، و كان صاحب ميمنة عمرو بن العاص وكان فارس بني عامر المعدود فيهم، توفى سنة(59هـ= 679م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص33).

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص619؛ الذهبي: المصدر السابق، ج3، ص34.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص575.

(3) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص80.

(4) المصدر السابق: ج1، ص80.

(5) المصدر نفسه: ج1، ص80.

(6) معاوية بن أبي سفيان: أمير المؤمنين وأمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، قيل إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء وبقي يخاف من اللحاق بالنبيﷺ من أبيه ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص120).

(7) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص620.

(8) المصدر السابق: ج2، ص620.

(9) سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ص31.

(10) عصر الخلفاء الراشدين، ص366.

(11) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج2، ص620.

(12) ابن العربي: العواصم من القواصم، ج1، ص117.

كان بها من الصواري، ولما سار قسطنطين إلى صقلية، وعرفهم خبر الهزيمة نكروه وقتلوه في الحمام[1]، ولقد حسمت هذه المعركة السيادة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقلبت التفوق البيزنطي لصالح المسلمين[2].

ولقد استولى المسلمون في هذه المعركة على بعض سفن الروم فأضافوها إلى أسطولهم[3]، ومع أن الروم باءوا بفشل ذريع في هذه المعركة، إلا أنهم لم يكفوا عن الإعداد والتجهيز، ولم ينتهوا عن تجميع قواتهم لمواجهة قوة المسلمين في البحر، لقد كانوا يظنون أن قوة المسلمين البحرية يمكن القضاء عليها، لأنها ما زالت في طور التكوين، ولكنهم فوجئوا بهزيمتهم المنكرة في ذات الصواري، فتوقعوا بعد ذلك أن تكون المعركة القادمة على أسوار العاصمة القسطنطينية فراحوا يستعدون لذلك[4].

ويرى فراج أن هذا النصر يشبه نصر اليرموك، وأنه كان إيذاناً ببداية السيادة البحرية الإسلامية، ونهاية السيادة البحرية البيزنطية، لأن المسلمين استطاعوا بعد هذا النصر أن يستولوا على جميع الجزر المتناثرة في حوض البحر الأبيض المتوسط[5].

وتتضح مهارة ابن سعد وخدعه العسكرية في هذه المعركة فيما يلي:

1- ربط المسلمين لسفنهم بسفن الروم خدعة لم تخطر ببال الروم، ولقد أجبرت هذه الخدعة الروم على الوثوب في سفن المسلمين، ما جعلهم هدفاً سهلاً للمسلمين المتوثبين للقتال ونيل الشهادة.

2- وثوب الروم لسفن المسلمين فرقت شملهم، ونسفت خططهم العسكرية، وأوقعتهم في فخاخ المسلمين العسكرية، ولعل استدراج المسلمين للروم إلى ظهور سفنهم تعكس رغبة المسلمين في مواجهة الروم وجهاً لوجه، كما في الحروب البرية التي اعتادوها طوال حياتهم

3- صف عبد الله بن سعد للمسلمين على نواحي السفن خدعة أخرى، هدفت إلى إكثار عدد الجيش الإسلامي، مما زرع الخوف في قلوب الروم.

وفي الحقيقة أن فتح مصر كان من أيسر الفتوح، وأقلها خسارة بالنسبة للمسلمين الفاتحين، وتفسيرها يتوقف على أمرين واضحين: الأمر الأول هو موقف المصريين من هذا

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص575.

(2) سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ص28.

(3) الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار، ج2، ص27.

(4) العمري: عصر الخلافة الراشدة، ج1 ، ص379.

(5) قطوف من تاريخ وحضارة مصر الإسلامية، ص599.

الفتح الإسلامي، إذ لو عارض المصريون هذا الفتح لطال أمده، ولاستغرق المسلمون فيه أكثر من المدة التي استغرقها، والأمر الثاني هو أن أحوال مصر في السنوات القلائل التي سبقت الفتح لمصر كانت تمهد لهذا الفتح، وتكتب له أن ينجح، ويحقق غايته المرجوة[1].

وبعدما أتم المسلمون فتح مصر تطلعوا بعد ذلك إلى ملاحقة الروم غرب مصر، وكانت هذه المرة المنازلة على أبواب ليبيا الشرقية، ليبدأ بعدها فصل جديد من فصول المواجهة، ولكن هذه المرة ليس مع الروم فحسب، ولكن مع الروم والبربر سكان البلاد الأصليين حلفاء الروم، ولم يكتف المسلمون بتطهير بلاد المغرب العربي من الروم، بل تطلعوا إلى بلاد الأندلس، ولقد تحقق للمسلمين ذلك حينما استطاع طارق بن زياد الوصول إلى جبل طارق إيذاناً بفتح بلاد الأندلس ودخولها الإسلام.

---

(1) حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص191.

الفصل الثالث

الخدع العسكرية للمسلمين على الجبهة الغربية

المبحث الأول: الخـــــدع العسكرية للمسلمين في فتح المغرب العربي

المبحث الثاني: الخـــــدع العسكريـــة للمسلمين في فتـــح الأندلس

المبحث الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح المغرب العربي

جاء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، بعدما تم للمسلمين فتح بلاد الشام، ومصر التي أصبحت نقطة تجمع وانطلاق للجيوش الإسلامية، ولقد تولى عمرو بن العاص حشد الجيوش الإسلامية لفتح مدينة طرابلس، وذلك لنشر الإسلام من جانب، ولتوسيع رقعة الدولة الإسلامية من جانب آخر، ولم تقتصر جهود فتح المغرب على عمرو بن العاص، بل ساهم عقبة بن نافع[1] في استكمال ما بدأه عمرو، ولقد بلغ الفتح الإسلامي على الجبهة ذروته في عهد الوليد بن عبد الملك أكثر الخلفاء الأمويين تشجيعاً لهذا الاتجاه.

وقد عانى المسلمون كثيراً في فتح بلاد المغرب، حيث استغرق فتح هذه البلاد ما يقارب السبعين عاماً، وقد أعد المسلمون ما استطاعوا من قوةٍ، وابتكروا كثيراً من الخدع العسكرية، التي كان لها دورٌ عظيمٌ في الانتصار على الجيوش الرومية المدربة على القتال على كل الجبهات، وفيما يلي توضيح لسير الفتح الإسلامي، وتبيين لتلك الخدع.

(1) عقبة بن نافع: أمير المغرب ولد في حياة رسول الله ﷺ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص، ولاه عمرو إفريقية، فانتهى إلى لواته وزناته فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته، وقُتل عقبة سنة(63هـ=683م)، قتله كسيلة بن لمزم البربري، وقتل معه أبا المهاجر دينار، وكان كسيلة نصرانياً، ثم قتل كسيلة في ذلك العام أو فيما يليه زهير بن قيس البلوي. (ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص277).

1- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة طرابلس[1]

غزا عمرو بن العاص مدينة طرابلس سنة(22هـ= 642م)[2]، وقيل سـنة(23هـ = 643م) [3]، فنزل على القبة[4] التي على الشرف[5] من شرقيها فحاصرها شهراً، لا يقدر منهم على شئ فخرج رجل من بني مدلج[6] ذات يوم من عسكر عمرو متصيداً في سـبعة نفـر، فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر، ثم رجعوا فأصابهم الحر، فأخذوا على ضـفة البحر، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم، فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد انحسر من ناحية المدينة، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي انحسر منه البحر فدخلوا منه حتى أتـوا مـن ناحية الكنيسة، وكبروا؛ فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم، وأبصر عمرو وأصحابه وسط المدينة، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم إلا بما خفّ لهم من مراكبهم، وغنم عمرو مـا كان في المدينة[7].

ويعلل المؤرخ علي محمد الصلابي استيلاء المسلمين على المدينة بعد شهر فقـط مـن الحصار؛ إلى كون سكان مدينة طرابلس من الروم وغيرهم لم يكن لهم المقدرة على مقاومـة جيوش المسلمين، لذلك تم الاستيلاء على المدينة دون كثير عناء ولا مقاومة تذكر، لا خارج الأسوار ولا داخلها، حيث فرَ منْ فرَ، وأما من بقي منهم داخل المدينة فقد اختار الدخول فـي أمن المسلمين، حيث كفلوا لهم حماية أنفسهم وأعراضهم ومعابدهم وأملاكهم[8].

---

(1) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام أيضاً مضمومة وسين مهملة، ويقال أطرابلس، وقال ابن بشير البكري: طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن وسماها اليونانيون طرابليطة، وذلك بلغـتهم أيضاً ثلاث مدن لأن طرا معناه ثلاث، وبليطة مدينة، وقد ذُكر أن أشبراوس قيصر أول من بناها. (للمزيـد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص25).

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص227؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص26؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص130.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص295.

(4) القبة: من البناء. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص207).

(5) الشرف: العُلُوُّ والمكان العالي. (المصدر السابق، ج1، ص141).

(6) مدلج: قبـيلة من كنانة. (ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص274).

(7) ابن عبد الحكم: مصدر سبق ذكره، ج1، ص296؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص428.

(8) حركة الفتح الإسلامي، ص78؛ حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص32.

وتظهر مهارة عمرو بن العاص وخدعه العسكرية في هذا الفتح في الآتي:

1- نزول عمرو على القبة العالية شرقي المدينة خدعة، قصد منها متابعة تحركات الروم العسكرية داخل المدينة عن كثب.

2- حصار المدينة لمدة شهر متواصل فطنة، هدفت إلى إنهاك المحاصرين من جانب، وتحين الفرصة للانقضاض على المدينة لفتحها من جانب آخر.

3- في هجوم المسلمين بالرغم من قلة عددهم ومباغتتهم للعدو خدعة وحسن تصرف، حيث إنهم لو رجعوا إلى عمرو وتشاوروا وحركوا الجيش لانتبه العدو، وأغلق الثغرة، واستعد لمواجهتهم.

4- في التكبير بصوتٍ عالٍ خدعة أخرى، أوهمت العدو أن جيش المسلمين كله قد داهم مدينتهم فألقى الله عزّ وجلّ الرعب في قلوبهم وفروا، كما أعطى التكبير إشارة لجيش المسلمين بسرعة التحرك واستغلال حالة الانهزام لدخول المدينة.

ولم تتوقف تداعيات فتح مدينة طرابلس الليبية المفاجئ على هروب الروم من المدينة بل تعداه إلى فتح مدينة صبراته[1]، الواقعة إلى الغرب من مدينة طرابلس في اتجاه الحدود الليبية- التونسية، بعدما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس، وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة لهم به أمنوا، فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة طرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير، فصبحت خيله مدينة صبراته، وقد غفلوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد، واحتوى جند عمرو على ما فيها ورجعوا إليه[2]، ويعزو المؤرخ عبد الحميد حسين حمودة توجه عمرو إلى فتح مدينة صبراته بعد فتح مدينة طرابلس مباشرة، إلى الدعم الذي قدمه سكان هذه المدينة للروم وقت حصار المسلمين لطرابلس[3].

ولما فتح عمرو بن العاص مدينة صبراته، رأى أن التقدم بهذا الجيش أكثر من ذلك هو إضعاف لقواته، وتشتيت لجهوده، وتحفيز العدو لضربه، خاصة أن رجال مخابراته قد أخبروه أن هناك تجمعات من الروم والقبائل المحلية بدأت تلتقط أنفاسها، وترتب أمورها وذلك

---

(1) صبراته: اسم مدينة ليبية فتحها عمرو بن العاص بعد طرابلس، وتقع هذه المدينة اليوم على بعد (67كم) غربي مدينة طرابلس العاصمة الليبية. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص184) .

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص296.

(3) تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص32.

لمحاربته، فلما رأى ذلك أدرك أن التقدم بدون استئذان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه نوع من التجاوزات العسكرية المقررة لفتح برقة وطرابلس[1].

وتتبين مهارة عمرو بن العاص العسكرية في فتح مدينة صبراته، بالإسراع إلى تجريد الخيل مباشرة بعد فتح مدينة طرابلس، وذلك بهدف تعزيز الانتصار على الروم بانتصارٍ آخر، ومما ساعده في ذلك ما وصله من معلومات حول إطمئنان أهل صبراته كثيراً، بعد وصول المعلومات إليهم بتأخر فتح مدينة طرابلس لمناعتها العسكرية.

2- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح قصر خوار

سار عقبة بن نافع الفهري سنة(26هـ= 646م) إلي أهل الخوار، وهو قصر عظيم على رأس المفازة[2]، في وعورة على ظهر جبل، وهو قصبة كوار[3]، فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى إليه تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطع لهم شيئاً، فمضى أمامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها ثم رجع عقبة إلى خوار، من غير طريقه التي كان أقبل منها، فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلاً، فوجدهم مطمئنين، فاستباح باقي المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلتهم[4].

وتَبِيْنُ مهارة عقبة بن نافع وخدعه العسكرية في فتح قصر خوار في الآتي:

1- حصار عقبة لأهل خوار مع أول وصوله إليهم لمدة شهر كامل حسن تدبير، هدف إلى إراحة جنده الذين ساروا لمدة أسبوعين متتابعين في الصحراء من جانب، ولإنهاك المحاصرين ودفعهم للاستسلام من جانب آخر.

---

(1) الصلابي: حركة الفتح الإسلامي، ص78.

(2) المفازة التي لا ماء فيها، وإذا كانت ليلتين لا ماء فيها فهي مفازة. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص393)،

(3) كوار: إقليم من بلاد السودان جنوبي فزان، افتتحه عقبة بن نافع عن آخره وأخذ ملكه فقطع إصبعه فقال له: لم فعلت بي هذا ؟ فقال: أدباً لك إذا نظرت إلى إصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبداً. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص486).

(4) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص331- 332.

2- رفع الحصار فجأة بعد شهر كامل والتحرك بعيداً عن المنطقة، ومن ثـم العـودة إليهـا بسرعة خدعة، هدفت إلى استنزال أهل القصر من حصونهم، ليسهل عليه مهـاجمتهم مـرة أخرى وفتح قصرهم.

3- عودة عقبة إلى قصر خوار من غير طريقه التي كان أقبل منها خدعة، إذ لو عاد من الطريق نفسه التي أقبل منها لانكشف أمره، ولاحتاط أهل خوار منه مرة أخرى، وتحصنوا في حصونهم، ولصعب عليه فتح قصرهم.

4- مباغتة عقبة لأهل قصر خوار ليلاً، وهم مستريحون فطنة، إذ لو أقبل عليهم نهاراً لما استطاع مباغتتهم وفتح قصرهم.

ويعزو اللواء الركن محمود شيت خطاب إقدام عقبة على التغلغل في الصحراء بقـوات قليلة خفيفة، لأن الحركة في الصحراء صعبة بقوات كبيرة لقلة المياه حينها، ولأنه قدّر أنه لن يصادف في تغلغله قوات ضاربة كبيرة العدد؛ لأن قوات الروم النظامية لن تستطيع القتال في مثل هذا الميدان، وإنما ميدانها المناطق الساحلية التي تتوفر فيها المياه، فليس أمام عقبة غير قوات سكان الصحراء الأصليين، وهؤلاء قليلون يمكن التغلب عليهم بقوات خفيفة قليلة كمـا فعل[1]، أما إبراهيم بيضون فإنه يعزو توجه عقبة إلى جهة الصحراء هو رغبتـه لـضرب تحركات القبائل البدوية في تلك الجهات، ومنعها من القيام بأي عمل يعيق تقدم المسلمين فحقق انتصارات مهمة في هذه المناطق[2].

3- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة سبيطلة[3]:

سار عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة(27هـ=647م)[4]، نحو إفريقية، وبث السرايا في كل ناحية في جيش قوامه عشرون ألفاً من المسلمين[5]، وكان ملكهم اسـمه جرجيـر[1]،

---

(1) قادة فتح المغرب العربي، ص98.

(2) الدولة العربية في إسبانيا، ص22.

(3) سبيطلة: مدينة من مدن إفريقية، وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي، وبينها وبين القيروان (100 كم). (للمزيد ينظر الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق االآفاق، ج1، ص 283؛ الحمـوي: معجـم البلدان، ج3، ص187).

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص574؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص93.

(5) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص313؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص344.

وملكه من طرابلس إلى طنجة، وكان هرقل ملك الروم قد ولاه على إفريقية، فلما بلغه خبـــر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة وعشرين ألف فـــارس[2]، كمـــا استطاع أن يحمل مدينة طرابلس على العصيان والثورة في محاولة منــــه لإنهـــاك الجـــيش الإسلامي قبل الوصول إليه، وفعلاً فوجئ المسلمون بتمرد المدينة فحاصروها، ولكن خطـــة جرجير لم تحقق هدفها المنشود؛ لأن المسلمين رفعوا الحصار عن طرابلس وآثروا التوجـــه مباشرة إلى معقل السيادة البيزنطية[3]، والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة ســـبيطلة يوم وليلة، وهذه المدينة كانت في ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم، وراسله عبد الله بن سعد يدعوه إلى الإسلام أو الجزية، فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما، وانقطع خبر المسلمين عن عثمان بن عفانﷺ، فسير عبد الله بن الزبير[4] في جماعة إلـــيهم ليأتيـــه بأخبارهم فسار مجداً، ووصل إليهم وأقام معهم، ولما وصل كثـــر الـــصياح والتكبيـــر فـــي المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر، فقيل قد أتاهم عسكر، ففت ذلك في عضده[5].

ولقد رأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من الصباح إلى الظهر، فإذا جـــاء وقت الظهر عاد كل فريق إلى خيامه وشهد القتال من الغد، فلم ير ابن أبي الـــسرح معهـــم، فسأل عنه فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول: " من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينـــار وأزوجه ابنتي"[6]، وهو يخاف فحضر عنده وقال له تأمر منادياً ينادي: " من أتـــاني بـــرأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته، واستعملته على بلاده، ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله"[7].

---

(1) جرجير: هو جرجيرريوس القائد من الإفرنج الذين استولوا على إفريقية بعد انحسار نفوذ الـــروم، وقـــد اتخذ من سبيطلة عاصمة له لمناعتها بدلاً من قرطاجنة. (للمزيد ينظر العمري: عصر الخلافة الراشدة، ج1، ص378).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص483.

(3) بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص24.

(4) عبد الله بن الزبير: أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق حملت به بمكة، وخرجت مهاجرة إلى المدينة وهى حامل، فلما قدمت المدينة فولدته بها وأتت به النبي ﷺ فوضعه في حجره ودعا بتمرة فمضغها وحنكه بهـــا، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، قتله الحجاج بن يوسف في المسجد الحرام سنة (72هــ=690م) ثم صلبه في ولاية عبد الملك بن مروان. (للمزيد ينظر ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص30؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج3 ص363).

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص483؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص574؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص93.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص574؛ الناصري: المصدرالسابق، ج1، ص93.

(7) ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج2، ص574.

ويبدو بأن عبد الله بن الزبير كان خبيراً في تدبير الخدع العسكرية، ولعل إرسال الخليفة عثمان بن عفانﷺ له جاء لهذا السبب، بعدما أبطأ الفتح على المسلمين، وتتبين مهارة ابن الزبير وخدعه العسكرية في قدرته على إبطال خدعة جرجير العسكرية والتي فتت في عضد عبد الله بن سعد، وجعلته هدفاً لكل الجيش الرومي، فأصبح جرجير بفضل هذه الخدعة هدفاً لكل الجيش الإسلامي.

ولم يكتف عبد الله بن الزبير بهذه الخدعة، بل فكر في خدعة أخرى لحسم المعركة والانتصار على جرجير، حيث قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن سعد: " إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن تترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن والروم في باقي العسكر، إلي أن يضجروا ويملّوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم"(1).

ولقد أحضر جماعة من أعيان الصحابةﷺ، واستشارهم فوافقوه على ذلك، فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم، وخيولهم عندهم مسرجة، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديداً ، فلما اقترب وقت الظهر همّ الروم بالانصراف على العادة، فلم يمكنهم ابن الزبير، وألحّ عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون، فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين، وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى هاجموهم، وحملوا حملة رجل واحد، وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون، وقتل جرجير، قتله ابن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذت ابنة الملك جرجير سبية، ونزل عبد الله بن سعد المدينة فحاصرها حتى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، وكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار(2).

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص484.

(2) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص160؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص165؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص484؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص574؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص93.

وتتضح مهارة ابن الزبير وخدعه العسكرية في الآتي:

1- قتال الروم بخلاف كل الأيام خدعة، هدفت إلى إنهاك القوات الرومية قبل عودتها إلى الخيام، بحيث لا تستطيع هذه القوات أن تدافع عن نفسها أمام ما أعده ابن الزبير لهم من خدع عسكرية.

2- ترك مجموعة من أبطال المسلمين في خيامهم مستريحين لقتال الروم وقت الظهيرة فطنة، هدفت إلى مباغتة هؤلاء للروم في خيامهم لحظة عودتهم من الحرب وقت الظهيرة وهم متعبون.

3- الهجوم بعد الظهيرة بمجموعة من أبطال المسلمين الذين لم يصبهم التعب على الروم وقت عودتهم للخيام حسن تدبير؛ إذ لا إمكانية للهجوم في هذا الوقت مرة أخرى بالأبطال الذين كانوا في ساحة الحرب حيث يكون التعب قد غلبهم.

4- التكبير بصوتٍ عالٍ وقت الهجوم خدعة، هدفت إلى إشعار الروم بأن كل الجيش الإسلامي قد شارك في الهجوم، مما يعني إدخال الخوف والرعب في قلوبهم، ودفعهم للهروب أو الاستسلام.

ويبين هذا الانتصار جدوى وأهمية الخدع العسكرية المحكمة في تحقيق الانتصار العسكري السريع، بدلاً من المعارك العسكرية التقليدية التي قد تطول مدتها، وتزداد معها الخسائر العسكرية، ويبطئ فيها النصر.

وفي رواية أخرى حول قتل جرجير ذكر بعض المؤرخين أنه لما تراءى الجمعان أمر جرجير جيشه فأحاطوا بالمسلمين، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه فقال عبد الله بن الزبير: " فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على حصانه، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان"[1] قال: فأمر بهم فحموا ظهري، وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه، وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك، فلما اقتربت منه أحس مني الشر، ففرّ على حصانه، فلحقته فطعنته برمحي وذففت[2] عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح، وكبرت فلما رأى ذلك البربر فروا كفرار القطا، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فغنموا غنائم جمة وأموالاً

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص344؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص152.

(2) ذففت: ذَفْذَفْتُ على الجريح تذفيفاً إذا أَسرعت قتله. (ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص111).

كثيرة وسبياً عظيماً، وذلك ببلد يقال له سبيطلة على يومين من القيروان، فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير[1].

وتتضح مهارة ابن الزبير وخدعه العسكرية في قتل جرجير حسب هذه الرواية في الآتي:

1- رصد ابن الزبير لجرجير من وراء صفوف الجيش حذق، إذ لو تقدم ابن الزبير لرصد جرجير من أمام الصفوف لكشف الروم أمره، وأمّنوا ملكهم واحتاطوا من ابن الزبير.

2- إشعار ابن الزبير لابن أبي السرح برغبته في قتل جرجير، وحاجته لمن يؤمن له ظهره وقت الهجوم فطنة، هدفت إلى تأمين ظهره، خشية أن يتعرض ظهره لعملية غدر من قبل الروم، ويصبح المسلمون في ورطة كبيرة.

3- اختراق ابن الزبير لصفوف الروم بهذه الجرأة فطنة، حيث ظن الروم أنه رسول سلام، ولو لم يصنع ذلك لاعترضوه في أول الطريق وأجهزوا عليه.

4- نصب ابن الزبير لرأس جرجير على رأس الرمح خدعة، قصد منها إشاعة الخوف بين الروم، ودفعهم للهروب من ساحة المعركة، فلو ظل أمر قتل جرجير سراً، لما علم به جنده، ولما استطاع المسلمون تحقيق هذا النصر بهذه السهولة.

5- ملاحقة المسلمين لجيش جرجير المهزوم بالقتل والأسر حسن تدبير، هدف إلى سحق القوات الرومية؛ ليسهل على المسلمين بعد ذلك فتح بقية بلاد المغرب العربي.

ولم تخل معركة سبيطلة من نتائج مهمة، فقد كانت ضربة قوية أصابت معنويات البيزنطيين في صميمها، وكان عليهم منذ الآن أن يحسبوا بدقة لكل مجابهة قادمة مع المسلمين، خاصة وأن إغارتهم لاسترجاع طرابلس ستؤول إلى فشل ذريع، رغم تنسيق المواقف بينهم وبين حلفائهم من بعض القبائل البربرية[2].

ولقد تعرض المسلمون خلال هذه الفترة لبعض الخدع العسكرية من البربر على وجه التحديد كما حصل في تهودة[3]، حينما خرج عقبة بن نافع إلى السوس[4] سنة(60هـ=

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص344؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص152.

(2) بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص24.

(3) تهودة: مكان قريب من القيروان. (للمزيد ينظر القضاعي: الحلة السيراء، ج2، ص327).

(4) السوس: بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية، وقيل السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص281).

680م) وكان قد استخلف على القيروان[1] عمر بن علي القرشي[2]، وزهير بن قيس البلوي[3]، فتقدم عقبة إلى السوس، وخالفه رجل من العجم في ثلاثين ألفاً إلى عمر بن علي، وزهير بن قيس، وهما في ستة ألاف فهزمه الله، وخرج ابن الكاهنة البربري[4]، على أثر عقبة، كلما رحل عقبة من منهل[5] دفنه ابن الكاهنة، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس ولا يشعر بما صنع البربري، فلما انتهى عقبة إلى المحيط الأطلسي اقتحم فرسه فيه حتى بلغ نحره ثم قال: " اللهم إني أشهدك أن لا مجاز، ولو وجدت مجازاً لجزت"[6] وانصرف راجعاً والمياه قد غورت[7].

وتتبين مهارة ابن الكاهنة في دفنه لكل آبار المياه في الطريق التي سلكها عقبة، دون أن يستشعر به الجيش الإسلامي، مما يجعل الجيش الإسلامي عرضة للموت عطشاً في حالة عودته من الطريق نفسها التي سلكها في طريقه إلى عملية الفتح.

ويتضح مما سبق وصول الفتح الإسلامي للمغرب العربي إلى نهايته، ولكن مما يؤخذ على القائد عقبه بن نافع أن اندفاعه إلى فتح بلاد المغرب العربي كان ينقصه القضاء على جيوب المقاومة البربرية، التي كانت تتبعه واستطاعت حرمانه من شريان الحياة في الحرب، ألا وهو المياه، وخصوصاً في المناطق الصحراوية من المغرب، كما يتضح من طول مدة فتح

---

(1) القيروان: مدينة كان معاوية بن خذيج قد اختطها بموضع يقال له اليوم القرن، فنهض إليه عقبة بن نافع الفهري فلم تعجبه فركب بالناس إلى موضع القيروان اليوم. (للمزيد ينظر الحموي: المصدر السابق ، ج3، ص1105).

(2) عمر بن علي القرشي: لم أجد له ترجمةً.

(3) زهير بن قيس البلوي: يكنى أبا شداد شهد فتح مصر وروى عن علقمة بن رمثة البلوي وروى عنه سويد بن قيس وقتلته الروم ببرقة سنة(76هـ=695م)، وذكر له قصة مع عبد العزيز بن مروان قال فيها إنه قال لعبد العزيز وهو أمير على مصر وقد ندبه إلى برقة فخاطبه بشيء، فأجابه زهير أتقول لرجل جمع ما أنزل الله على نبيه قبل أن يجمع أبواك هذا، ونهض إلى برقة فلقى الروم في عدد قليل فقاتل حتى قتل شهيداً. (للمزيد ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ج14، ص152؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص579).

(4) ابن الكاهنة: الكاهنة ملكة البربر قتلها حسان بن النعمان سنة(74هـ= 693م). (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص137).

(5) منهل: المنهل المورد وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي. (ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص681).

(6) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص336.

(7) القضاعي: الحلة السيراء، ج2، ص329.

بلاد المغرب إذا ما قورنت بفتح بلاد الشام ومصر، إلى المقاومة الشديدة التي قادها البربر لمواجهة الفتح الإسلامي لبلادهم.

ولم تتوقف مؤامرات البربرعند هذا الحد بل تعداه إلى الفتك بالقائد عقبة بن نافع، فبعدما أتمّ عقبة فتح بلاد المغرب العربي، عاد قاصداً العودة إلى القيروان ، فأمر أصحابه أن يفترقوا عنه، حتى بقي في قلة، فأخذ على مكان يقال له تهوذة أو بادس فعرض له كسيلة بن لمزم[1] في جمع كثير من الروم والبربر، ولقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل عقبة ومن كان معه[2]، وذلك سنة(62هـ=682م)[3]، وقيل سنة (63هـ=683م)[4].

وتتبين مهارة كسيلة وخدعه العسكرية في قدرته على حشد البربر خلفه ضد الفتح الإسلامي، وكذلك تتبع خط سير الجيش الإسلامي دون أن يشعر به أحد من المسلمين، حتى إذا ما تأكد له بقاء عقبة في نفر قليل شن عليه الغارة، مما سبب في مقتل عقبة، ونفر من المسلمين ووقوع البقية الأخرى أسرى عنده، ويعزو المؤرخ عبد العزيز الثعالبي ماقام به كسيلة برغبته في الولاية على إفريقية اعتماداً على مكانته من البربر فأسرع بمن اختاره منهم إلى القيروان فدخلها في حفل عظيم، ولم يبق بها من المسلمين غير أصحاب الأنفال والذراري، فصانعهم بالأمان، واستولى عليها ودانت له جميع البلاد التي كان يتولاها المسلمون فحكمها باسم البربر، إلى أن عاد المسلمون ففتحوها مرة أخرى بعد أقل من أربع سنوات من إستيلاء كسيلة عليها[5].

ويتضح مما سبق أهمية تطهير المناطق الداخلية من جيوب المقاومة، قبل التقدم لفتح مناطق متقدمة، وذلك حتى لا يقع الجيش الفاتح أثناء عودته من الفتح لكمائن العدو، كما حصل للقائد عقبة بن نافع، كما يتضح مما سبق عدم قدرة عقبة بن نافع في احتواء القائد البربري كسيلة، رغم أنه أسلم على يد القائد أبي المهاجر دينار[6]، ولكنه ارتد بعدما لم يستطع عقبة بن نافع التصرف معه في مواقف كان بالإمكان تجنبها.

---

(1) كسيلة بن لمزم: ملك البرانس من البربر أسلم ثم ارتد عن الإسلام، وقتله زهير بن قيس البلوي وذلك سنة(64هـ = 684م). (للمزيد ينظر ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص337).

(2) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج1، ص335؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص13.

(3) القضاعي: الحلة السيراء، ج2، ص324.

(4) ابن عبد الحكم: مصدر سبق ذكره، ج1، ص336.

(5) الثعالبي: تاريخ شمال أفريقيا، ص56.

(6) أبو المهاجر دينار: مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وقد كان عقبة عزله عن إفريقية وقيده وغزا به إلى المغرب لشيء عتب عليه فيه. (للمزيد ينظر ابن تميم: المحن، ج1، ص290؛ السمعاني: الأنساب، ج5، ص547؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص152).

المبحث الثاني
الخدع العسكرية للمسلمين في فتح الأندلس

جاء انتهاء المسلمين من فتح بلاد المغرب العربي على يد القائد عقبة بن نافع، فرصة لتطلع المسلمين هذه المرة إلى فتح أوروبا، وذلك لاستكمال نشر الدين الإسلامي من جانب، ولتأمين حدود الدولة الإسلامية من الجهة الغربية من جانب آخر، ولقد ساهم يليان حاكم مدينة سبتة[1]، في لفت انتباه المسلمين لأهمية فتح بلاد الأندلس، ولعل أهم ما يميز الفتح الإسلامي للأندلس هو الدور البارز للبربر في عملية الفتح، فقد سجلت مصادر التاريخ الإسلامي صفحات مشرقة للقائد البربري المسلم طارق بن زياد[2] في عملية الفتح الإسلامي لهذه البلاد، مما يعني تمكن الإسلام في قلوب البربر، بالإضافة إلى ذلك فإن عدد الجيش الإسلامي الذي فتح الأندلس كان في بادئ الأمر قليل العدد والعدة، أمام جيوش الإسبان كثيرة العدد والعدة، ولكن بفطنة طارق بن زياد العسكرية استطاع المسلمون هزيمة هذه الجيوش الجرارة والانتصار عليها؛ لترفرف راية الإسلام فوق بلاد الأندلس لأكثر من ستة قرون.

---

(1) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص182).

(2) طارق بن زياد: مولى الوليد بن عبد الملك، دخل الأندلس غازياً سنة(92هـ= 710م)، وقدم مع موسى بن نصير وافداً إلى الوليد بن عبد الملك. (ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص509).

1- الخدع العسكرية للمسلمين في الوصول إلى جبل طارق[1]

كان طارق بن زياد سنة(92هـ=710م) مرابطاً في طنجة [2][3]، وكان المضيق الذي بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان حاكم سبتة، وكان على مدينة يقال لها الخضراء[4]، والخضراء مما يلي طنجة، وكان يليان يؤدي الطاعة إلى لذريق[5] حتى سخط عليه، فراسل طارق ولاطفه حتى تهاديا، وتعود أسباب نقمة يليان على لذريق، أن يليان قد بعث بابنة له إلى لذريق صاحب الأندلس، يؤدبها ويعلمها، فاغتصبها فبلغ ذلك يليان فقال: " لا أرى عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب"[6]، ويعزو البعض موقف يليان الناقم من لذريق هو ماشاهده من قوة المسلمين، وتصميمهم على تحقيق أهدافهم خلال حصارهم لمدينته، فقرر كسب الوقت، واغتنام الفرصة، والعمل مع الجانب الرابح، فقرر الانضمام إلى المسلمين[7] فبعث إلى طارق: " إني مدخلك الأندلس"[8]، وطارق يومئذٍ بتلمسان[9]، وموسى

---

(1) جبل طارق: سمي بجبل طارق لأن طارق بن زياد، لما جاز بمن معه من البربر وتحصنوا بهذا الجبل أحس في نفسه أن العرب لا تثق به فأراد أن يزيح ذلك عنه، فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها، فتبرأ بذلك عما اتهم به، وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء (9 كم). (للمزيد ينظر الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص540).

(2) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص43).

(3) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص232؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص345.

(4) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد المغرب العربي، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة وهي شرقي شذونة وجنوبي قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر، لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها. (للمزيد ينظر الحموي: المصدر السابق، ج2، ص136).

(5) لذريق: ملك الإفرنج بالأندلس. (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص346).

(6) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص345؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص267.

(7) العسلي: فن الحرب الإسلامي، ج2، ص258.؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص25.

(8) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص345؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص252.

(9) تلمسان: وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أمقادير يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص44).

بن نصير [1] بالقيروان، فقال طارق:" فإني لا أطمئن إليك حتى تبعث إليّ برهينة"[2] فبعث إليه بابنتيه، ولم يكن له ولد غيرهما، فأقرهما طارق بتلمسان واستوثق منهما، ثم خرج طارق إلى يليان وهو بسبتة على المضيق ففرح به حين قدم عليه، وقال له: " أنا مدخلك الأندلس"[3]، وكان فيما بين المضيقين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيما بين سبتة والأندلس، فلما أمسى جاء يليان بالمراكب إلى من بقى من أصحابه فحملوا إليه حتى لم يبق منهم أحد ولا يشعر بهم أهل الأندلس، ولا يظنون أن المراكب محملة بخلاف مما كانت تحمله من منافع، وكان طارق آخر من ركب البحر، وذلك بعدما تأكد من وصول جيشه بأمان، وتخلف يليان ومن كان معه من التجار؛ ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده[4]، ويذكر المؤرخ إبراهيم بيضون أن خدمات يليان لم تكمن في تسهيل العبور إلى الأراض الإسبانية بقدر ما كان هدفها تحقيق الانتصار للعرب بأي ثمن، وكانت معلوماته القيمة عن أوضاع مملكة القوط ومشاغل لوذريق الذي لم يكن في عاصمته حينئذٍ والاتفاقات السرية مع فريق الساخطين على الملك القوطي، ومساعدات أخرى كان لها أثرها الإيجابي في نجاح العرب الباهر[5].

ويتضح مما سبق أهمية تضليل العدو قبل أي عملية نقل للقوات العسكرية والعتاد العسكري إلى أراضيه، حتى إذا ما حانت ساعة الصفر بدأ الهجوم المباغت مما يعني خطف نصر عسكري بأقل الخسائر العسكرية، خصوصاً أن المسلمين كانوا أقل عدداً وعدة من الإسبان، ويمكن القول إن هذه العملية كانت باكورة اشتهار طارق بن زياد عسكرياً في التاريخ الإسلامي.

وتظهر مهارة طارق وخدعه العسكرية في عملية نقل الجند إلى المضيق في الآتي:

1-اغتنام طارق لعرض يليان بإدخاله الأندلس فطنة، إذ لو لم يغتنم هذه الفرصة لضاعت فرصة فتح بلاد الأندلس بهذه السهولة.

---

(1) موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن اللخمي متولي إقليم المغرب وفاتح الأندلس، قيل كان مولى امرأة من لخم، وقيل ولاؤه لبني أمية، وكان أعرج مهيباً ذا رأي وحزم. (للمزيد ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص318؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص497).

(2) ابن عبد الحكم: مصدر سبق ذكره، ج1، ص345.

(3) المصدر السابق: ج1، ص345.

(4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص232.

(5) الدولة العربية في إسبانيا، ص70.

2- اشتراط طارق على يليان أن يبعث إليه برهينة قبل عبور المضيق فطنة، قصد منها التأكد من صدق يليان، ورغبته بإدخال المسلمين إلى الأندلس.

3- نقل القوات العسكرية الإسلامية ليلاً والكمن نهاراً خدعة، هدفت إلى مفاجأة العدو، إذ لو تمت عملية نقل القوات في وضح النهار لرصدها الإسبان، ولتعرضوا لهـا قبـل أن تـصل للساحل.

2- تأخر طارق في صعود البحر حتى تتم عملية نقل الجند بالكامل للساحل الإسباني حـسن تدبير، قصد منه الاطمئنان إلى وصول الجنود المسلمين بالكامل آمنين، ولتدارك أي خطأ أو مفاجأة قد يتعرض لها الجنود المسلمون في طريقهم للساحل الإسباني.

3- تأخر يليان عن الإبحار مع المسلمين خدعة لبني جلدته، قصد منها لفت انتبـاههم بعـدم تعاونه مع المسلمين في غزوهم للأندلس، الأمر الذي قد يعرض حياته للخطر.

ولقد بلغ خبر طارق ومن معه أهل الأندلس، وتوجه طارق فسلك بأصحابه على قنطـرة من الجبل إلى مدينة يقال لها قرطاجنة[1]، وزحف يريد قرطبة فمر بجزيـرة أم حكـيم فـي البحر، ويلاحظ أن موقع هذا الميناء قريب وسهل الاتصال بمدينة سبتة على الساحل الغربـي المقابل، بينما يصعب اتصاله بإسبانيا ذاتها لوجود مرتفعات بينهما، وهذا يدل علـى حـسن اختيار طارق لهذا الموقع الإستراتيجي[2]، وكان المسلمون حين نزلوا الجزيرة وجـدوا بهـا بعض الإسبان، ولم يكن بها غيرهم فأخذوهم ثم عمدوا إلى رجل من الإسـبان فـذبحوه ثـم طبخوه، ومن بقى من أصحابة ينظرون، وقد كان لحماً في قدورٍ أُخر، فلما نضجت طرحوا ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل، ولا يعلم بطرحهم له، وأكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه، ومن بقي من الإسبان ينظرون إليهم فلم يشكّوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم، ثم أرسلوا من بقي مـنهم فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس[3].

ويعكس هذا الفعل قساوة الحرب التي واجهها المسلمون في حربهم مع الإسبان، والتـي أجبرتهم على هذا الفعل والذي لولاه لما استطاعوا كسر إرادة أعدائهم.

---

(1) قرطاجنة: بلد قديم على ساحل البحر بينها وبين تونس (18 كم). (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلـدان، ج4، ص323).

(2) العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص68؛ الغنيمي: معركة بلاط الشهداء، ص21؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص45.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص346؛ ابن الأثير: الكامل من التاريخ، ج4، ص268.

وتتضح أهمية الخدعة التي قام بها المسلمون في التمويه بذبح أحـد الإسـبان وطبخه في الآتي:

1- ذبح أحد الإسبان بقصد طبخه وأكله خدعة، هدفت إلى إشاعة الخوف في صفوف الإسبان الذين جندوا كل إمكاناتهم العسكرية لوقف الفتح الإسلامي، ولو لم يصنع المسلمون ذلك أمـام الإسبان لما استطاعوا إثارة خوف الإسبان المدافعين عن المدن الإسبانية.

2- إطلاق سراح بعض الإسبان بعد أن أوهمهم المسلمون بذبح صـاحبهم وطبخـه خدعـة أخرى، هدفت إلى إشاعة هؤلاء الأسرى لما رأوه من خوف في معسكرات الجيش الإسلامي وسط الإسبان، ولو لم يطلق المسلمون سراح هؤلاء الأسرى لظل المـدافعون عـن المـدن الإسبانية على حالهم من القوة المعنوية، مما يعني تأخر الفتح الإسلامي، وتضاعف خـسائر المسلمين العسكرية.

وقال المقري: تم فتح طارق بن زياد للجبل المنسوب إليه سنة (92هـ= 710م)، وذلك في اثني عشر ألفاً غير اثني عشر رجلاً من البربر، ولم يكن فيهم من العرب أي شيء[1].

ويعكس هذا القول الدور الذي قام به البربر في عملية الفتح الإسلامي للأندلس، وعلى رأسهم القائد البربري طارق بن زياد، بعدما تمكن الإسلام في قلوبهم.

2- الخدع العسكرية للمسلمين في معركة وادي لكة[2]

كانت معركة وادي لكة في (رمضان92هـ= يوليو710م)[3]، وقيل كانت هذه المعركة في (ربيع الأول92هـ= فبراير710م)[4]، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد ثمانية أيام، وذلك بعدما تنامى إلى سمع لذريق فتح طارق للجزيرة الخـضراء، جاء لذريق في جموع العجم وملوكها وفرسانها في نحو مائة ألف ذوي عدد وعـدة، وكـان لذريق ولّى ميمنته أحد ابني غيطشة[5][1]، وميسرته الآخر، فكانا رأسي الـذين أداروا عليـه

---

(1) نفح الطيب، ج1، ص231.

(2) وادي لكة: موضع من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبلي في كورة شـذونة. (للمزيـد ينظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص67؛ المقري: المصدر السابق، ج1، ص258).

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص68؛ القضاعي: الحلة السيراء، ج2، ص333؛ المقري: المصدر السابق، ج1، ص258) .

(4) المقري: المصدر السابق، ج1، ص249.

(5) المصدر السابق: ج1، ص249.

الهزيمة، وأدّاهما إلى ذلك طمع رجوع ملك والدهما إليهما[2]، وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق، وأرسلوا إلى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعاً وخادماً لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وأنهم غير تاركي حقهم لديه، ويسألونه الأمان على أن يميلوا إلية عند اللقاء فيمن تبعهم، وأن يسلم إليهم إذا ظفر ضياع والدهم بالأندلس كلها، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة، فأجابهم إلى ذلك وعاقدهم عليه، فالتقى الفريقان من الغد فانحاز الأولاد إلى طارق، فكان ذلك أقوى أسباب الفتح، وكان الالتقاء على وادي لكة من كورة شذونة، فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه، ونصر الله المسلمين نصراً مؤزراً، ورمى لذريق نفسه في وادي لكة، وقد أثقلته السلاح، فلم يعلم له خبر ولم يوجد[3].

ويظهر مما سبق أهمية استثمار الخلافات والانقسامات الداخلية في صفوف العدو، وذلك لإضعافه أكثر خصوصاً في وقت الحرب، حتى ولو كان ثمن ذلك تقديم وعود سخية لمن يقف مع المسلمين في الحرب، ولعل هزيمة لذريق في معركة وادي لكة، والنصر السريع للمسلمين رغم كثرة عدد جيش لذريق وعدته كانت بسبب خذلان ابني غيطشة للذريق، وانحيازهم للمسلمين في وقت الحرب، حسبما كان الاتفاق.

وتتضح أهمية الخدعة التي عرضها ابنا لذريق على طارق وقبل بها الأخير في الآتي:

1- قبول طارق لشروط ابني غيطشة بالانضمام إليه ضد لذريق مع بدء المعركة مقابل إعادة ضياع والدهم حدق، إذ لو لم يقبل طارق بهذا العرض، لما استطاع المسلمون تحقيق هذا النصر على لذريق بهذه السهولة.

2- انحياز ابني غيطشة مع بدء المعركة خدعة محكمة، هدفت إلى شطر الجيش إلى قسمين ما ضعف موقف لذريق، إذ لو انحاز ابنا غيطشة قبل بدء المعركة، لما استطاعا خدمة المسلمين مثلما خدماهما بانحيازهما مع بدء المعركة.

---

(1) غيطشة: تولى ملك إسبانيا سنة(77هـ=696م)، وكان حسن السيرة لين العريكة وأطلق كل محبوس كان في سجن أبيه وأدى الأموال إلى أربابها، ثم توفي وخلف ولدين فلم يرض بهما أهل الأندلس وتراضوا برجل يقال له لذريق وكان شجاعاً وليس من بيت الملك. (للمزيد ينظر المقري: نفح الطيب، ج1، ص250).

(2) المصدر السابق: ج1، ص258.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص48.

لقد كانت هذه المعركة الباب الكبير الذي دخل منه المسلمون إلى قلب إسبانيا، ورسخوا أقدامهم فيها خلال تلك القرون، وكم كان موسى بن نصير صادقاً في تقريره الذي أرسله إلى دمشق واصفاً عظمة هذا الانتصار، بقوله: " إنها ليست الفتوح، ولكنها الحشر"، وكان موسى مصيباً في تصوراته إلى حدٍ كبير، فالارتباك الذي أصاب مقاتلي القوط، والذعر الــذي عــمّ المملكة الإسبانية أتاحا لطارق أن يعمل بسرعة، وأن لايفقد أية فرصة للتقــدم نحــو المــدن الكبرى[1]، كما حصل المسلمون من الغنائم على أعداد كبرى من الخيول كانت كافية لحملهم جميعاً فلم يبق بينهم راجلاً مما يسر لهم مرونة الحركة وخفة الانتقال وساعدهم على التحرك بسرعة وخلال فترة قصيرة حتى وصلوا إلى طليطلة[2]، ولم يكــن تحقيــق هــذه المرونــة والسرعة في التحركات بالمستطاع لو تم الاعتماد على العدد المحدود من الخيول التي نقلهــا المسلمون معهم عبر المضيق[3].

3- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة قرطبة[4]

سار طارق بن زياد إلى مدينة قرطبة في (محرم93هــ= أكتوبر711م)[5] فكمنوا بعدوة نهر شقندة في غيضة[6] أرز شامخة، وأرسل الأدلاء فأمسكوا راعي غنم فسئل عن قرطبــة فقال: رحل عنها عظماء أهلها إلى طليطلة، وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء أهلها، وسئل عن سورها فأخبر أنه حصين عالٍ فوق أرضها إلا أنه فيــه ثغــرة، ووصفها لهم، فلمّا داهمهم الليل أقبلوا نحو المدينة، ووطأ الله لهم أسباب الفــتح بــأن أرســل السماء برذاذ أخفى حوافر الخيل، وأقبل المسلمون رويداً حتى عبروا نهر قرطبة ليلاً، وقــد أغفل حرس المدينة احتراس السور فلم يظهروا عليه، ضيقاً بالذي نالهم من المطر والبــرد، فترجل القوم حتى عبروا النهر، وليس بين النهر والسور إلا مقدار ثلاثين ذراعاً أو أقل، وقد حاولوا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقاً، ورجعوا إلى الراعي ليدلهم على الثغرة التي ذكرهــا،

---

(1) بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص72؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص28.

(2) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس. (للمزيد ينظر الحمــوي: معجــم البلــدان، ج4، ص39) .

(3) العسلي: فن الحرب الإسلامي، ج2، ص267؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص47.

(4) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص324).

(5) المقري: نفح الطيب، ج3، ص12.

(6) غيضة: مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. (ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص202) .

فأراهم إياها فإذا بها غير سهلة التسلق، إلا أنه كانت في أسفلها شجرة تين مكنت أفنانها من التعلق بها، فصعد رجل من أشداء المسلمين في أعلاها، ونزع مغيث الرومي[1] عمامته فناوله طرفها وأعان بعض الناس بعضاً حتى كثروا على السور، وركب مغيث ووقف من خارج وأمر أصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا، وقتلوا نفراً منهم وكسروا أقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوة[2].

ويتضح مما سبق حجم المعاناة التي واجهها المسلمون في فتح بعض المدن الإسبانية التي كانت أشبه ما يكون بقلاع عسكرية حصينة، ولم يكن هناك من سبيل لفتحها إلا بتدبير الخدع العسكرية.

وتتضح مهارة طارق بن زياد وخدعه العسكرية في فتح مدينة قرطبة في الآتي:

1- الكمن في مكان كثيف الأشجار خدعة هدفت إلى تسهيل مراقبة الهدف، بخلاف كون الكمين في مكان مكشوف، إذ من شأن ذلك تنبيه المراقبين، ودفعهم للاحتياط والابتعاد عن مكان الكمين.

2- الإمساك بأحد الأدلاّء؛ ليدل المسلمين على مدينة قرطبة فطنة، قصد منها تعريف المسلمين بحقيقة القوات الإسبانية الموجودة في المدينة، كما قصد من الإمساك بالراعي معرفة مدى حصانة سور المدينة، والثغرات الموجودة فيه، ولولا ذلك لصعب على المسلمين فتح المدينة بهذه السهولة.

3- أن تكون ساعة الهجوم على المدينة في الليل دون النهار حسن تدبير، قصد منه إخفاء تحرك المسلمين تجاه المدينة، ومما أخفى تحرك المسلمين في الليل أكثر؛ الرذاذ الذي أخفى أثر حوافر الخيل، ولو تحرك المسلمون في وضح النهار لانكشف أمرهم، ولاستعد الإسبان للمسلمين وبذلك تعطّل هجومهم.

4- ترجل المسلمين لحظة وصولهم للنهر الذي يسبق سور المدينة خدعة، هدفت إلى منع الجلبة التي يمكن أن يسببها وصول المسلمين بخيولهم للسور، مما يعني تنبيه المحاصرين داخل المدينة بوصول المسلمين، ومن ثمّ الاستعداد لصدهم عن المدينة.

---

(1) مغيث الرومي: رسول الوليد بن عبد الملك إلى موسى بن نصير في الأندلس. (للمزيد ينظر المقري، نفح الطيب، ج1، ص275).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص269؛ المقري: المصدر السابق، ج1، ص261.

5- صعود رجل واحد من المسلمين للسور قبل الهجوم على المدينة خدعة أخرى، هدفت إلى التأكد من عدم وجود كمائن خلف سور المدينة، مما يعرض حياة المسلمين للخطر.
6- تسلق بعض المسلمين للسور تباعاً فطنة هدفت إلى تعزيز عـدد يكفـي مـن الجنـود المسلمين؛ لاقتحام المدينة والوصول للبوابة الرئيسة لفتحها بالقوة، وذلك لدخول كل الجـيش الإسلامي؛ لاستكمال السيطرة على المدينة.

ولم يكتف المسلمون بفتح المدينة، ولكنهم تعقبوا أميرها حتى قتلوه، بعدما سارع بالفرار في أصحابه، وهم زهاء أربعمائة، وخرج إلى كنيسة بغربي المدينة وتحصن بها، وكان الماء يأتيها من تحت الأرض من عين في سفح جبل، ودافعوا عن أنفسهم، وملك مغيث المدينة وما حولها، وأقام على محاصرة العلج بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق من ذلـك[1]، ولقـد عمـد مغيث إلى خدعة جديدة بعدما طال حصار الكنيسة، حيث تقدم إلى رجل أسود من عبيده اسمه رباح، بالكمين في حديقة إلى جانب الكنيسة ملتفة الأشجار لعله أن يظفر بعلج يقف به علـى خبر القوم ففعل، ودعاه ضعف عقله إلى أن صعد في بعض تلك الأشجار، وذلك أيـام جنـي الثمار، فملكوه وهم في ذلك هائبون له منكرون لخلقه إذ لم يكونوا عاينوا أسوداً قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه مصبوغ أو مطلي ببعض الأشياء التي تسود فجردوه وسط جماعتهم، وأدنوه إلى القناة التي منها كان يأتيهم الماء وأخذوا في غسله وتدليكه بالحبال الحرش[2] حتى سال دمه، فاستغاثهم وأشار إلى أن الذي به خلقه من بارئهم عزّ وجل ففهموا إشارته وكفوا عن غسله، واشتد فزعهم منه ومكث في إسارهم سبعة أيام لا يتركـون التجمع عليه والنظر إليه، إلى أن يسّرَ الله له الخلاص ليلاً ففر وأتى الأمير مغيثـاً فـأخبره بشأنه وعرفه بالذي اطلع عليه من موضع الماء الذي ينتابونه ومن أي ناحية يأتيهم، فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التي أشار عليها الأسود حتى أصـابوها فقطعوهـا عـن جريتها[3].

ويبدو أن مغيثاً هدف من وراء ملاحقته لأمير قرطبة القضاء عليه؛ كي لا يستعيد جمع صفوفه وحشد قواته للإغارة على المسلمين مرة أخرى، ولعل تحصن أمير قرطبة وجنوده في كنيسة قرطبة جاء لتحقيق ذلك، ولكن فطنة مغيث العسكرية فوتت عليه تلك الفرصة.

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص262.
(2) الـحَرَشِ: إذا كانت خشنة الـجلد. (ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص281).
(3) المقري: مصدر سبق ذكره، ج1، ص262-263.

وتتبين مهارة مغيث وخدعه العسكرية للظفر بأمير قرطبة فيما يلي:

1- الكمن في مكان قريب من الهدف الذي سعى المسلمون للوصول إليه خدعة، إذ لو كان الكمين في مكان بعيد عن الهدف لما استطاع المسلمون رصده، ومن ثم الوصول إليه.

2- كان الهدف من الكمين واضحاً ومحدداً؛ ألا وهو الظفر برجل واحد يدلهم على أخبار أميرهم وهذه فطنة، إذ لو كان هدف الكمين غير واضح لتشتت الجهد، وتعرض الكمين للفشل.

3- اختيار مغيث لرجل واحد من المسلمين للكمن بجانب سور الكنيسة خدعة، إذ لو كمن أكثر من رجل واحد بجانب الكنيسة لانكشف الأمر، ولفشلت عملية إلقاء القبض على الأمير.

4- هروب الرجل الأسود من أسر الإسبان، بعدما اطلع على القناة التي تمد الكنيسة التي يتحصن بها الأمير بالمياه خدعة أخرى، فلقد كشف هذا الرجل لمغيث كل الأسرار التي اطلع عليها طوال الأيام السبعة التي وقع فيها بالأسر، ومن ضمن الأسرار التي اطلع عليها القناة التي توصل المياه لداخل الكنيسة، فأمر مغيثٌ على الفور بقطعها؛ ليستسلم المحاصرون بداخلها على الفور.

ولقد أصبحت قرطبة بعد فتح المسلمين لها حاضرة إسبانيا الإسلامية، واستعادت مكانتها القديمة التي سلبتها إياها طليطلة، واستقر بها ولاة الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية بالأندلس أي بعد نحو ثلاثة قرون، واحتفظ أهلها من النصارى بحريتهم الدينية والمدنية مقابل ما كانوا يدفعونه من جزية وفقاً للعهد الذي صولحوا عليه[1] .

4- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة قرمونية[2]

دخل موسى بن نصير الأندلس في (رمضان93هـ= يونيو711م)[3]، في جمع كثير، وقيل إنهم كانوا ثمانية عشر ألفاً وقيل أكثر، وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده، فلما عبر إلى الأندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له: تسلك طريق طارق، فأبى فقال له الأدلاء: نحن ندلك على طريق أشرف من طريقه، ومدائن لم تفتح بعد، ووعده يليان بفتح عظيم فسر بذلك

---

(1) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص31.

(2) قرمونية: كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص230).

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص269؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص 269.

فساروا به إلى مدينة ابن السليم[1] فافتتحها عنوة ثم سار إلى مدينة قرمونية، وهي حصن مدن الأندلس، فقام يليان وخاصته فأتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح فـأدخلوهم مـدينتهم فأرسل موسى إليهم الخيل ففتحوها لهم ليلاً فدخلها المسلمون وملكوها[2].

ويتضح مما سبق دور يليان في خداع بني قومه من نصارى الأندلس، فلقد سجلت كتب التاريخ ليليان دوراً بارزاً في عملية فتح العديد من مدن الأندلس، وذلك جنباً إلى جنـب مـع طارق بن زياد مرة، ومع موسى بن نصير مرة أخرى.

ويتضح أهمية ما قام به يليان في فتح مدينة قرمونية في الآتي:

1- أنه جاء لسكان المدينة في صورة المنهزم، وهذه خدعة فلو جاء على غير هذه الحال لما فتح له سكان المدينة أبواب مدينتهم.

2- إرسال موسى الخيل ليلاً عقب دخول يليان المدينة مباشرة خدعة أخرى، إذ لو بعث الخيل في اليوم التالي، فقد يكون الإسبان قد عرفوا يليان، ومساندته للعرب، ومن ثم الفتك به، ممـا يعني حرمان المسلمين من دخول المدينة بالسهولة التي دخلوها، بعدما فتح لهم يليان أبوابهـا على مصراعيها.

5- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة ماردة[3]

سار موسى بن نصير إلى مدينة ماردة، وذلك بعيد فتحه لمدينـة إشـبيلية [4] مباشـرة فحاصرها، وكان أهلها خرجوا إليه فقاتلوه قتالاً شديداً، فكمن لهم موسى لـيلاً فـي مقـاطع الصخر فلم يرهم الكفار، فلما أصبحوا زحف إليهم فخرجوا إلى المـسلمين علـى عـادتهم،

---

(1) ابن السليم: أحد أقاليم الأندلس. (للمزيد ينظر الإدريسي: نزهة المـشتاق فـي اختـراق الآفـاق، ج2، ص536).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص269؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص269.

(3) ماردة: كورة واسعة من نواحي الأندلس من أعمال قرطبة. (للمزيد ينظر الإدريسي: نزهة المشتاق فـي اختراق الآفاق، ج2، ص545؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص38).

(4) إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها. (للمزيد ينظر الحموي: المصدر الـسابق، ج1، ص195).

فخرجوا عليهم من الكمين وأحدقوا بهم، وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلاً ذريعاً، ونجا من نجا منهم، فدخل المدينة وقاتلهم[1].

ويبدو من فتح هذه المدينة بهذه الصعوبة طبيعة بعض المدن الإسبانية المحصنة، والتي لم يكن من سبيل إلى فتحها إلا بتدبير الخدع العسكرية .

ويستدل مما قام به موسى بن نصير في فتح مدينة ماردة بهذه الخدعة الآتي:

1- أن موسى كمن لهم ليلاً، وهذه خدعة إذ لو كمن لهم في النهار لانكشف أمـــره، كمـــا أن الكمن فيما بين الصخور خدعة أخرى، وذلك لاستبعاد الإسبان الكمن في أماكن كهذه.

2- زحف موسى إليهم في بادئ الأمر خدعة قصد منها استدراجهم إلى خارج المدينة، ممـــا يسهل عليه الإطباق عليهم، من الكمينين اللذين أعدهما.

3- خروج الكمين بعد الزحف مباشرة خدعة أخرى هدفت إلى تطويق الإسبان بعد خروجهم من المدينة لملاقاة المسلمين، ولقطع الطريق عليهم من أي محاولة للانسحاب والعــودة إلـــى داخل المدينة.

ولم يكتف موسى بن نصير في فتحه لمدينة ماردة بالكمائن الليلية فحسب، بل عمد إلى صناعة دبابة زحف بها عليهم وثقبوا سورها، فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمي برج الشهداء[2].

ويستدل من هذا الفعل على أهمية إبداع القائد العسكري للوســائل القتاليـــة لمواجهـــة الطوارئ التي لم تكن في الحسبان، كما صنع موسى بن نصير حينما صنع الدبابة لمواجهـــة أسوار المدن الإسبانية العالية والمحصنة، مما سهل إقتحامها رغم قوة المدافعين عنها.

ولقد دعا موسى بن نصير أمام هذه الخسائر البشرية في صفوف المسلمين إلى الـــسلم، فنزل إليه في دعوته قوم أعطاهم الأمان، واحتال في توهيمهم في نفسه، فدخلوا عليه أول يوم فإذا هو أبيض الرأس واللحية، كما أزال خضابه فلم يتفق معه أمر، وعاودوه قبل الفطر بيوم فإذا به قد خضب لحيته بالحناء، فعجبوا من ذلك، وعاودوه يوم الفطر فإذا هو قد سود لحيتـــه فازداد تعجبهم منه، وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم: " إنا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاءوا، ويتصورون في كل صورة أحبوا. كان ملكهم شيخاً فقد صـــار شـــاباً

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص270.

(2) المصدر السابق: ج4، ص270.

والرأي أن نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة"[1] فأذعنوا عند ذلك وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية[2]، وأموال الكنائس وحليها للمسلمين، ثم دخلها يوم الفطر سنة(94هـ= 712م) فملكها[3].

وتَبِيْنُ مهارة موسى بن نصير في مخادعة الإسبان في الآتي:

1- إن دعوة موسى للسلم والصلح خدعة، هدفت إلى طمأنة الإسبان للقبول بالسلام، ومن ثم النزول إليه لتمرير بقية الخدع التي أعدها لهم، ولو لم يصنع ذلك لما استطاع استدراجهم ومخادعتهم.

2- صبغ موسى لشعر رأسه ولحيته بالأبيض قبيل الفطر مباشرة فطنة، قصد منها إظهار ضعفه، وعجزه ورغبته بالسلام معهم.

3- صبغ موسى لشعر رأسه ولحيته بالأسود يوم الفطر فطنة أخرى، قصد منها إظهار قوته، وقدرته على التشكل كل يوم، وهذا الأمر لم يعهده الإسبان من قبل، مما قوّى عندهم فكرة أن يكون موسى نبياً، مع ما يعنيه ذلك من ضرورة السمع له والطاعة.

وبعد فتح ماردة نظم موسى حاميتها العسكرية من العرب والبربر دون اللجوء إلى جاليتها اليهودية الكبيرة، ولعل هذا مؤشرٌ إلى أهمية المدينة من جهة، وإلى بداية السيطرة العربية المركزة على مرافق البلاد من جهة أخرى[4].

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص270.

(2) جليقية: ناحية قرب ساحل المحيط الأطلسي من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب.

(للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2 ، ص157).

(3) المقري: مصدر سبق ذكره، ج1، ص270-271.

(4) بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص78.

6- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة مالقة[1]

أخرج موسى بن نصير ابنه عبد الأعلى إلى تدمير[2] ففتحها، وقيل إنـه لمـا حاصـر مالقة، وكان ملكها ضعيف الرأي قليل الحذر، وكان يخرج إلى جنان له بجانب المدينة طلبـاً للراحة من كآبة الحصار من غير نصب عين وتقديم طليعة، وعرف عبد الأعلى بأمره فأكمن له في جنبات الجنة التي كان ينتابها قوماً من وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم، أرصدوا له ليلاً فظفروا به وملكوه فأخذ المسلمون المدينة عنوة وملؤوا أيديهم غنيمة[3].

ويتضح مما سبق أهمية الحصار في إنهاك إمكانات العدو، ودفعه للتصرف بعيداً عن الأخذ بأسباب الحيطة والحذر مما يسهل عملية الوصول إليه.

وتظهر مهارة عبد الأعلى وخدعه العسكرية في القبض على ملك مدينـة مالقـة في الآتي:

1- أن الكمين أُعدَّ في جنب الحديقة التي يتردد عليها الملك مع فرسانه، وهذه خدعـة قـصد منها ضمان إلقاء القبض على الملك، إذ لو كان الكمين بعيداً عن مكان تردد الملـك لـصعب على المسلمين رصده، ومن ثم القبض عليه.

2- إلقاء القبض على الملك ليلاً، بعد رصده فطنة قصد منها قطع الطريق على أي محاولـة للمقاومة من قبل الإسبان.

ولقد تعّرض المسلمون في أثناء فتحهم لمدينة تدمير، لخدعة من قبل ملكها، وذلك حينما سار جيش مغيث الرومي، بعيد فتح مدينة غرناطة إلى مدينة تدمير، واسم قصبتها أريولة[4]، ولها شأن في المنعة، وكان ملك تدمير علجاً داهية، وقاتلهم قتالاً شـديداً، ثـم دارت عليـه الهزيمة في نهاية الأمر، فبلغ السيف في أهلها مبلغاً عظيماً أفنى أكثرهم، ولجأ العلـج إلـى أريولة في يسير من أصحابة لايغنون شيئاً فأمر النساء بنشر الشعور، وحمل القصب والظهور

---

(1) مالقة: مدينة بالأندلس. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج5 ، ص43).

(2) تدمير: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة. (للمزيد ينظر للحموي: المصدر السابق، ج2، ص19).

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص275.

(4) أريولة: مدينة قديمة من أعمال الأندلس، من ناحية تدمير. (للمزيد ينظر الأصبهاني: معجم السفر، ج1، ص346).

على السور في زي القتال متشبهات بالرجال، وتصدر أمامهن في بقية أصحابه يغايظ المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه، فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على السور، وعرضوا عليه الصلح، فأظهر الميل إليه، ونكر زيه فنزل إليهم بأمان على أنه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثق منهم، فلما تمّ له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه، واعتذر إليهم بالإبقاء على قومه، وأخذهم بالوفاء بعهده، وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها إلا النساء والأطفال فندموا على الذي أعطوه من الأمان، واسترجحوه فيما احتال به، ومضوا على الوفاء له، وكان الوفاء عادتهم، وصارت كلها صلحاً ليس فيها عنوة، وكتبوا إلى أميرهم طارق بالفتح وخلفوا بقصبة البلد رجالاً منهم، ومضى معظمهم إلى أميرهم لفتح طليطلة[1].

ويتضح مما سبق احترام المسلمين لعهودهم التي قطعوها على أنفسهم، حتى لو كانت هذه العهود في مصلحة أعدائهم.

وتظهر مهارة ملك تدمير وخدعه العسكرية للمسلمين في الآتي:

1- ظهور النساء متشبهات بملابس الرجال العسكرية على سور المدينة خدعة هدفت إلى إيهام المسلمين بكثرة عدد الرجال المدافعين عن المدينة، ومن ثم فإنه لا سبيل أمامهم سوى الصلح، ولو لم يفعل ذلك لفتح المسلمون مدينة تدمير عنوة.

2- مشاغلة المسلمين وقتالهم بعدد قليل من الرجال فطنة، قصد منها الوصول لصلح مشرف مع المسلمين، إذ لو لم يصنع ذلك لفرض عليه المسلمون شروطهم للفتح.

3- نزول ملك تدمير في زي رسول سلام حسن تدبير، هدف إلى التفاوض مباشرة مع المسلمين، وذلك محاولة منه انتزاع شروط أفضل مما لو بعث رسولاً آخر، وهذا ما تحقق له فعلاً ولقد شعر المسلمون بعظيم هذه الخدعة، حينما عرّف عن نفسه، واكتشاف المسلمين عند دخولهم المدينة خلوها من الرجال.

وفي الوقت الذي كان فيه طارق بن زياد، وموسى بن نصير في أقصى غرب أوروبا، يفتحون المدن الإسبانية الواحدة تلو الأخرى، كان قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي، ومسلمة بن عبد الملك في أقصى الشرق يفتحون مدن بلاد ما وراء النهر، والسند، والروم الواحدة تلو الأخرى، ولا زالت آثار الفتح الإسلامي لهذه البلاد شاهداً على عظمة الإسلام، ورغبة شعوب هذه البلاد بالمسلمين، حيث رفرفت رايات التوحيد فوق هذه البلاد في وقت مبكر من عمر الدولة الإسلامية، ولا زالت شعوب هذه المنطقة من العالم تدين بالإسلام.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص269؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص264.

الفصل الرابع

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد ما وراء النهر والسند والروم

المبحث الأول: الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد ما وراء النهر

المبحث الثاني: الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد السند

المبحث الثالث: الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد الروم

المبحث الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد ما وراء النهر[1]

جاء الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، في عهد مبكر من تاريخ الإسلام، وذلك أواخر (النصف الثاني من القرن الهجري الأول= السابع الميلادي) في عهد الخلفاء الأمويين عبد الملك بن مروان وأبنائه: الوليد، وسليمان، وهشام، ولقد تولى فتح هذه البلاد قتيبة بن مسلم الباهلي[2]، الذي وصل إلى بلاد خراسان والياً عليها سنة (86هـ=705م)، ولقد أمضى هذا القائد أربعة عشر عاماً في فتح هذه البلاد، واجه خلالها ملوك الترك، الذين استنهضوا كل إمكاناتهم، وإمكانات الأمم الأخرى لوقف الفتح الإسلامي، ولكن فطنة قتيبة أدت إلى إطفاء آخر بصيص لحضارة إيران القديمة، وذلك لغرسه تعاليم الدين الإسلامي العظيم في البلاد التي يفتحها [3] حتى أخرجت العظماء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم، وكانت لقتيبة همة لم تعرف عن الكثير من قواد الجنود، وكان له في سياسة جنده العناية فأحبهم وأحبوه وساقهم إلى الموت فلم يبالوا [4].

لقد حقق قتيبة السيطرة الأموية على هذه البلاد، وتمكن من إثبات جدارته بالإمارة والقيادة، بحيث عُدّ من أشهر وأنجح القادة العسكريين، وسانده حاكم قوي هو الحجاج بن

---

(1) بلاد ما وراء النهر: يطلق مسمى بلاد ما وراء النهر على الدول الواقعة وسط آسيا والتي عرفت فيما بعد باسم آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، وقد عرّف الأوروبيين هذه المنطقة حتى بداية القرن العشرين باسم ترانساوكسانيا؛ وهي ترجمة لاتينية للاسم الذي أطلقه العرب عندما فتحوا تلك المنطقة في (القرن الهجري الأول= السابع الميلادي)، وهو بلاد ما وراء النهر، ثم أطلقوا عليها اسم بلاد ما وراء النهرين إشارة إلى النهرين العظيمين اللذين يحدانها شرقا وغربا: نهر السير داريا (2212 كم) والآمور داريا (1415 كم)، وبالعربية نهر "جيحون" ونهر "سيحون" بالاستعارة من أسماء أنهار الجنة. (للمزيد ينظر المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص79؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص196؛ طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص106).

(2) قتيبة بن مسلم الباهلي: ابن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي، وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند، ثم إنه افتتح فرغانة وبلاد الترك سنة (95هـ=713م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص414).

(3) السري: مصرع الفاتح قتيبة بن مسلم، مجلة التاريخ العربي، العددان: 87،88، ص217.

(4) الخضري: الدولة الأموية، ص292.

يوسف الثقفي[1]، وكانت أوضاع الدولة قد استقرت، فاجتمعت له شجاعة القائد، وعزم الوالي، وقوة الدولة[2].

1- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة بخارى[3]

خرج قتيبة بن مسلم غازياً إلى بخارى سنة (90هــ=708م) [4]، فاستنجد وردان خذاه ملك بخارى، بالصغد[5]والترك من حوله فأتوه، وقد سبق إليها قتيبة فحاصرها، فلما جــاءتهم أمدادهم خرجوا إلى المسلمين يقاتلونهم، فقالت الأزد[6] : " اجعلونا ناحية وخلوا بيننــا وبــين قتلاهم "[7] فقال قتيبة: تقدموا، فتقدموا وقاتلوهم قتالاً شديداً، ثــم إن الأزد انهزمــوا، حتــى ضربت النساء وجوه الخيل وبكين، فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المــسلمين علــى التــرك فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقفهم، فوقف الترك على تلٍ، فقال قتيبة: " من يزيلهم عــن هــذا الموضع"[8] فلم يقدم عليهم أحد من العرب، فأتى بنو تميم، فقال لهم: يوماً كأيامكم، فأخذ وكيع ابن الأسود التميمي[9] اللواء، وقال: يا بني تميم أتسلمونني اليوم، قالوا: لا يا أبــا مطــرف، وكان هريم بن أبي طحمة[10] على خيل تميم، ووكيع رأسهم، فقال وكيع: يا هريم قدم خيلك،

---

(1) الحجاج بن يوسف الثقفي: ولي الحكم بالعراق في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مــروان، وتــوفي سنة(95هــ= 713م)، عن خمس وخمسين عاماً. (للمزيد ينظر الذهبي: العبر في خبــر مــن غبــر، ج1، ص121؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج3، ص261).

(2) طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص107.

(3) بخارى: بالضم من أعظم مدن ما وراء النهر، وبينها وبين نهر جيحون يومان. (للمزيد ينظر الحمــوي: معجم البلدان، ج1، ص353).

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص681؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص254؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص91.

(5) الصغد: كورة عجيبة قصبتها سمرقند. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص409).

(6) الأزد: تجمع قبائل وعمائر كثيرة في اليمن. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص71).

(7) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص254.

(8) الطبري: مصدر سبق ذكره ، ج3، ص681؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص254.

(9) وكيع بن الأسود التميمي: والي خراسان بعد قتل قتيبة بن مسلم سنة(97هـــ=715م). (للمزيــد ينظــر الطبري: مصدر سبق ذكره، ج4، ص47؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص25).

(10) هريم بن أبي طحمة: كان هريم شجاعاً كيساً، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة، ومع عدي بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب. (للمزيد ينظر ابن قتيبة: المعارف، ج1، ص417؛ ابن الأتير: مصدر سبق ذكره ، ج4، ص254).

ودفع إليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم إلى نهر بينهم وبين التـــرك فوقف، فقال وكيع: تقدم يا هريم، فنظر هريم نظر الجمل الهائج الــصائل، وقـــال: أأقـــتحم بالخيل هذا النهر فإن انكشفت كان هلاكها يا أحمق!، فقال وكيع: يا ابن اللخناء[1] أترد أمري فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم في الخيل، وانتهى وكيع إلى النهر فعمل عليه جـــسراً مـــن خشب، وقال لأصحابه: من وطنّ نفسه على الموت فليعبر، وإلا فليلبث مكانه، فما عبر معـــه إلا ثلاثمائة رجل[2]، وقيل ثمانمائة رجل[3] فدبّ فيهم حتى إذا تعبوا أقعدهم، فأراحوا حتى دنا من العدو فجعل الخيل مجنبتين، وقال لهريم : " إني مطاعن القوم فأشغلهم عنـــا بالخيـــل"[4]، وقال للناس: شدّوا على عدوكم، وحمل هريم خيله عليهم فطاعنوهم بالرماح، فما كفوا عـــنهم حتى أنزلوهم عن موقفهم، ونادى قتيبة: أما ترون أن العدو منهزم فما عبر أحد ذلـــك النهـــر حتى ولى العدو منهزمين، فأتبعهم الناس[5]، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، وسبى منهم خمـــسين ألـــف رأس، وفتحها فأصاب بها قدوراً يصعد إليها بالسلاليم[6]، وكان سقوط هذه المدينة ذا أهميـــة بالغة بالنسبة للعرب، إذ هي بمثابة الباب الجنوبي الغربي لبلاد ما وراء النهر، فضلاً عن أنها كانت أهم مواضع هذا الإقليم، وما وقع من غنائمها كان عظيماً[7].

ويستدل مما سبق دور قتيبة في فتح بلاد ما وراء النهر، وأهمية إثارة الحمية القبلية في الجند لحمل راية الجهاد كما صنع قتيبة، حينما توجه لبني تميم بعدما هـــزم الأتـــراك الأزد، لحمل راية الجهاد.

وتَتَبِيْنُ مهارة قتيبة وخدعه العسكرية في فتح مدينة بخارى فيما يلي:

1- إقبال قتيبة على جيشه المكون من عدة قبائل، وحثهم على إزالة الأتراك عن الموقع الذي انتزعوه من المسلمين بالقوة فطنة، قصد منها استنهاض العصبية والهمة القبلية للجنـــد، وقـــد تحقق لقتيبة من ذلك ما أراد، حيث استجابت قبيلة تميم لهذا الأمر، وحملت راية الجهاد.

---

(1) اللخناء: وهي التي لم تختتن. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص383).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج4، ص254.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص682.

(4) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص254

(5) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج3، ص682.

(6) الحموي: معجم البلدان، ج1، ص355.

(7) فامبري: تاريخ بخارى، ص63.

2- صنع وكيع لجسر من خشب على عجل فطنة أخرى، قصد منها الوصول للأتراك الـذين ظنوا أنهم في مأمن من المسلمين بتحصنهم خلف النهر، ولو لم يصنع هذا الجسر لما استطاع المسلمون الوصول للأتراك.

3- جعل الخيل مجنبتين خدعة، هدفت إلى إشغال الأتراك بصد الخيل، في حين يتفرغ وكيع بالزحف حتى الوصول للجند ومطاعنتهم بالسلاح عن قرب، وذلك لحسم المعركة في أسـرع وقت.

ولقد استمرت حملات قتيبة على إقليم بخارى ثلاث سنوات، فكان يغزوه في الـصيف، ويعود في الشتاء إلى مرو، حتى تمكن أخيراً من فتحه، وثبت أقدام المسلمين فيه[1].

2- الخدع العسكرية للمسلمين والقصاص من نيزك طرخان[2]

لما فتح قتيبة بخارى والطالقان[3] استأذنه نيزك طرخان في الرجوع إلى بلاده، وكان نيزك قد أسلم، وسمي بعبد الله، فأذن له فرجع إلى طخارستان[4] فعصى، وكاتـب الأعـاجم، وجمع الجموع فزحف إلى قتيبة، ووجه سليم الناصح[5]، فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستنصحه: " يا سليم ما أظن عند صاحبك خيراً كتب إليّ كتاباً لا يكتب إلى مثلي" [6] فقال له سليم: " إنه رجل شديد في سلطانه سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعك منه غلظـة كتابه إليك فأحسن حالك عنده"[7]، وكان صديقاً له، فلم يزل يختدعه ويعطيه عن قتيبـة ممـا يسأل حتى خرج إلى قتيبة على الأمان، فأقام عنده أياماً، ثم ضرب عنقه، وعنق ابن أخت له، وبعث برؤوسهم إلى الحجاج[8].

---

(1) طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص109.

(2) نيزك طرخان: صاحب مدينة باذغيس. (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص243).

(3) الطالقان: من نواحي خراسان بين مرو الروذ وبلخ، وبينها وبين مرو الروذ (132كم). (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص6؛ محمد جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص56).

(4) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص23).

(5) سليم الناصح: مولى عبد الله بن أبي بكرة. (للمزيد ينظر ابن قتيبة: المعارف، ج1، ص614؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص243).

(6) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص244.

(7) المصدر السابق: ج4، ص244.

(8) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص286؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص243.

ويستفاد مما قام به قتيبة أهمية استدراج الخصوم الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين والقصاص منهم، وضرب أعناقهم ليكونوا عبرة لغيرهم.

وتتضح مهارة قتيبة وخدعه العسكرية بالقصاص من نيزك طرخان فيما يلي:

1- توجيه قتيبة لسليم الناصح ليحمل كتاب الصلح لنيزك طرخان خدعة، هدفت إلى إشعار نيزك بأهميته العسكرية، ولو لم يفعل ذلك لما استطاع قتيبة استدراج نيزك.

2- تبسيط سليم الناصح لمضمون كتاب قتيبة خدعة أخرى، هدفت إلى استدراج نيزك وطمأنته على نفسه، ولو لم يفعل ذلك لفشلت مهمته كرسول ووسيط.

3- اختيار قتيبة لسليم الناصح ليكون رسوله لنيزك طرخان حسن تدبير، قصد منه طمأنة نيزك بنوايا قتيبة الحسنة نحوه، ولو بعث قتيبة برسول آخر لما كان له ذلك التأثير الذي كان لسليم الناصح.

4- تلبية سليم لكل طلبات وشروط نيزك للخروج من مخبئه وتسليم نفسه حكمة، هدفت إلى طمأنته أكثر، إذ لو لم يفعل ذلك لما استجاب له نيزك، وقبل بالخروج معه لقتيبة.

3- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد الشعب[1]

سار قتيبة بن مسلم سنة (91هـ= 709م)[2] إلى الجوزجان[3][4] فأخذها من ملكها، واستعمله عليها، ثم أتى بلخ[5] فدخلها، وأقام بها نهاراً واحداً، ثم خرج منها وقصد نيزك خان[6] ببغلان[7]، وقد نزل نيزك خان معسكراً على مدخل الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده،

---

(1) الشعب: بلاد واسعة في جبال قرب بلخ بخراسان فيها قلاع ومضائق. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص347).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص3؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص82.

(3) الجوزجان: اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ، ويقال لقصبتها اليهودية، ومن مدنها الأنبار وفارياب وكلار، وبها قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبؓ. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص182).

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص78.

(5) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص479).

(6) نيزك خان: ملك الترك الأعظم. (للمزيد ينظر ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص81).

(7) بغلان: موضع بخراسان. (للمزيد ينظرالبكري: معجم ما استعجم، ج1، ص262).

وفي مدخل الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية لعلوها وارتفاعها واتساعها فقدم على قتيبة الرؤي خان ملك الرؤب وسمنجان[1]، فاستأمنه على أن يدله على مدخل القلعة، فأمنه وبعث معه رجالاً إلى القلعة فأتوها ليلاً ففتحوها وقتلوا خلقاً وهرب الباقي، ودخل قتيبة الشعب[2].

ويتضح من هذا الفعل أهمية الأدلاء في الوصول إلى عورات المدن والقلاع المحصنة، كما حصل في فتح قتيبة لقلعة شمسية.

وتتضح مهارة قتيبة وخدعه العسكرية في فتح بلاد الشعب فيما يلي:

1- استئمان قتيبة لملك الرؤب وسمنجان حكمة، قصد منها استمالة الأخير في مواجهته لنيزك خان، ولو لم يفعل ذلك لما استطاع المسلمون فتح قلعة شمسية بهذه السهولة.

2- إرسال قتيبة لبعض الرجال فقط مع ملك الرؤب وسمنجان خدعة، هدفت إلى الوصول بسرعة للقلعة وتطويقها وسحق العدو بأقل الإمكانات العسكرية، إذ لو بعث بالجيش كله لانكشف أمر المسلمين، وما استطاعوا فتح القلعة بهذه السهولة.

3- المجيء للقلعة ليلاً وليس نهاراً خدعة أخرى، هدفت إلى عدم إشعار المتحصنين في القلعة بأي خطر محدق بهم، حيث يسترخي الجند في الليل بعد نهار شاق من المتابعة والرصد، مما يجعل فرصة فتح القلعة أيسر بكثير فيما لو جاءها المسلمون نهاراً.

ولقد مضى قتيبة بعد فتح بلاد الشعب إلى حصن السكون، فحاصره شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجدري، وقرب فصل الشتاء، فدعا قتيبة بعض خواصه ممن كان يصادق نيزك[3] فقال: " انطلق إليه وأثن عليه بغير أمان، وإن أعياك فأمنه، وإن جئت دونه صلبتك"[4]، فمضى الرجل، وأشار عليه بلقائه، وبأنه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين معه، ولم يزل يختدعه، وهو يمتنع حتى قال له: إنه قد أمنك، فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه، وخرج معه نيزك، ومعهم جيفونة ملك طخارستان، الذي كان قيده حتى انتهوا إلى الشعب، وهناك خيل أكمنة الرجل، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتله، وقتل معه صول[5]

---

(1) سمنجان: بلدة من طخارستان. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص252).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص82.

(3) نيزك: ملك الترك. (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص75).

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص78؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص82.

(5) صول: رئيس الترك. (للمزيد ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص45).

طرخان[1] حليفة جيفونة[2]، وابن أخي نيزك ومن أصحابه سبعمائة وصلبهم، وبعث برأسه إلى الحجاج وأطلق جيفونة وبعث به إلى الوليد ثم رجع إلى مرو[3][4].

ويتبين مما سبق أهمية استدراج الخصوم بكل السبل، وذلك للقصاص منهم، ليكونوا عبرة لغيرهم.

وتظهر مهارة قتيبة وخدعه العسكرية في القصاص من نيزك فيما يلي:

1- حصار قتيبة لحصن السكون لشهرين متتابعين خدعة، هدفت إلى إنهاك المحاصرين، وإجبارهم على الاستسلام، إذ لو سارع إلى الهجوم مباشرة قبل الحصار، لطالت الحرب ولما استطاع الوصول إلى هذه النتيجة بهذه السهولة.

2- إرسال قتيبة لرسول صديق لنيزك خان، وتوصيته بمدحه والثناء عليه من دون وعد بالأمان في بادئ الأمر حدق، قصد منه طمأنة نيزك برغبة المسلمين في مصالحته، ولو حمل الرسول رسالة شديدة اللهجة لنيزك، لتحصن الأخير أكثر في حصنه، ولصعب على المسلمين الوصول إليه.

3- أمان نيزك حكمة، هدفت إشعاره بتنازل المسلمين له، ومن ثم فالمطلوب منه أن يقابل هذا التنازل بتنازل آخر مقابل له.

4- استخدام عبارات الثناء والمدح لنيزك حكمة أيضاً، قصد منها إشباع غروره، وطمأنته بنوايا المسلمين الحسنة تجاهه، ولو استخدم المسلمون عبارات غليظة، لما استجاب نيزك لهم.

---

(1) طرخان: ملك الترك. (للمزيد ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص15).

(2) حيفونة: ملك طخارستان. (ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص77).

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص286؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص3؛ ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج3، ص79؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص222.

(4) مرو: أشهر مدن خراسان. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص112).

4- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة خوارزم[1]

كان ملك خوارزم ضعيفاً فغلبه أخوه خرزاد على أمره وخرزاد أصغر منه، فكـان إذا بلغه أنّ عند أحد من أتباع الملك جارية أو دابة أو متاعاً فاخراً أرسل فأخذه، ولا يمتنع عليـه أحد، ولا يمنعه الملك، وقد ملأ هذا الأمر الملك غيظاً، فلمّا طال ذلك منه عليه، كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم، واشترط عليـه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يعارضه، يحكم فيه بما يرى، وبعث في ذلك رسلاً ولم يطلع أحداً من وزرائه على ما كتب به إلى قتيبة، فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء سنة(93هـ= 711م)[2] وقت الغزو، وقد تهيأ للغزو فأظهر قتيبة أنه يريد الصغد، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة، وسار واستخلف على مرو ثابتاً الأعور أحد أشراف العرب، قال: فجمع ملوكه وأحباره فقال: " إن قتيبة يريد الصغد، وليس بغازيكم فهلمّ نتنعم في ربيعنا هذا"[3] فأقبلوا على الشرب والتنعم، فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارست[4]، فقال خوارزم شـاه لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نقاتله!. قال: " لكني لا أرى ذلك، قد عجز عنه من هـو أقوى منا وأشدّ شوكة، ولكني أرى أن نصرفه بشيء نؤديه إليه فنصرفه عامنا هذا، ونـرى رأينا"[5] قالوا: ورأينا رأيك، وأخذ أخاه فدفعه إليه[6].

ويوضح هذا الفعل ثقة الأعداء بالمسلمين في كـل عـصر ومـصر، والتوجـه إلـيهم لمساعدتهم في رفع الظلم عنهم.

---

(1) خوارزم: من بلاد خراسان، قال أبو الفتح الجرجاني: معنى خوارزم هين حربها لأنها في سهلة لا جبـل بها. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج2، ص515).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص272.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص12؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص308.

(4) هزارست: قلعة حصينة بخوارزم. (السمعاني: الأنساب، ج5، ص640).

(5) الطبري: مصدر سبق ذكره،.ج4، ص12؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص272؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص79.

(6) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج6، ص308.

وتتضح مهارة قتيبة وخدعه العسكرية في فتح مدينة خوارزم فيما يلي:

1- قبول قتيبة لعرض ملك خوزارزم بتسلمه أرضه، مقابل القضاء على معارضيه فطنة، إذ لو لم يقبل قتيبة هذا العرض لما استطاع فتح المدينة بهذه السهولة.

2- إظهار قتيبة أنه يريد غزو الصغد دون خوارزم خدعة، هدفت إلى مفاجأة خوارزم على حين غرة، مما يصعب عليهم أ ي خيار سوى الاستسلام، وهذا مما كان من ملك خوارزم.

3- نزول قتيبة بجيشه في هزارست على حين غرة خدعة، قصد منها الضغط على ملك خوارزم لتقديم تنازلات سياسية لقتيبة، ومنها تسليم أخيه الذي كان ينازعه في ملكه.

5- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة الباب[1]

غزا مسلمة بن عبد الملك[2] سنة (95هـ= 713م)[3]، مدينة الباب، فأتاه رجل فسأله أن يؤمنه على نفسه، وأهل بيته ويدله على عورة المدينة، فأعطاه ذلك، فدخل المسلمون المدينة ونذر بهم العدو فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما جاء وقت السحر كبر شيخ من المسلمين، وأظهر الله المسلمين[4].

ويعكس فتح هذه المدينة اتساع دائرة الفتوحات الإسلامية على يد القائد قتيبة، ووصولها إلى مناطق بعيدة.

وتظهر مهارة مسلمة وخدعه العسكرية في فتح مدينة الباب فيما يلي:

1- أمان مسلمة للرجل الذي طلب الأمان له ولأهل بيته فطنة، هدفت إلى معرفة عورة المدينة من خلال هذا الرجل، ولو لم يُؤَمّنْ مسلمة هذا الرجل، لصعب على المسلمين فتح المدينة بهذه السهولة.

---

(1) الباب: مدينة من أرمينية. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص5).

(2) مسلمة بن عبد الملك: ابن مروان بن الحكم، ويلقب بالجرادة الصفراء، قال خليفة: مات مسلمة سنة(120هـ=737م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص241).

(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج58، ص32؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص229.

(4) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص307.

2- التكبير وقت السحر بعد قتال شديد خدعة، هدفت إلى الإيحاء للمحاصرين وصـول كـل المسلمين إليهم، ومن ثم عدم جدوى المقاومة، كما يقصد من التكبير بصوت عـال الإيحـاء للمسلمين بفتح المدينة.

6-الخدع العسكرية للمسلمين والقصاص من صولا التركي[1]

كان سبب مسير يزيد بن أبي المهلب[2] إلى جرجان سنة(97هـ = 716م)[3]، وقيـل سنة(98هـ= 717م)[4]، أن صولاً التركي كان ينزل قهستان[5] والبحيرة، وهي جزيرة فـي البحر بينها وبين قهستهان خمسة فراسخ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم كان يغير علـى فيروز فولفول ملك جرجان، فيصيب من بلاده فخافه فيروز فسار إلى يزيد بخراسان، وقـام عليه فسأله عن سبب قدومه فقال: خفت صولاً فهربت منه، وأخذ صول جرجان، فقال يزيـد لفيروز هل من حيلة لقتاله؟ قال: نعم، شيء واحد إن ظفرت به قتلته، وأعطى بيده، قال: مـا هو؟ قال: تكتب إلى الأصبهبذ[6] كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان، واجعل له على ذلك جعلاً، فإنه يبعث كتابك إلى صول يتقرب إليه فيتحـول عـن جرجـان فينـزل البحيرة، وإن تحول عن جرجان وحاصرته ظفرت به، ففعل يزيد وضمن للأصبهبذ خمـسين ألف دينار إذا هو حبس صولاً عن البحيرة ليحاصره بجرجان، فأرسل الأصبهبذ الكتاب إلـى صول، فلما أتاه الكتاب رحل إلى البحيرة ليتحصن بها، وبلغ يزيد مسيره فخرج إلى جرجان في ثلاثين ألفاً[7]، ومعه فيروز، وأقبل حتى أتى جرجان فدخلها، ولم يمنعه منها أحد، وسـار منها إلى البحيرة فحاصر صولاً بها، فكان يخرج إليه صول فيقاتله، ثم يرجع فمكثـوا بـذلك

---

(1) صول التركي: ملك جرجان، وكان صول رجلاً تركياً، وكان هو وأخوه فيروز ملكي جرجان تمجسا بعد التركية، وتشبها بالفرس، فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمنهما، فأسلم صول على يـده، ولم يزل معه حتى قتل يزيد. (للمزيد ينظر الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص 105؛ ابـن خلكـان: وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص46).

(2) يزيد بن المهلب: أمير الصلاة لسليمان بن عبد الملك ولما تولى عمر بن عبد العزيـز الخلافـة عزلـه وسجنه. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص503).

(3) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص314.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص51.

(5) قهستان: ناحية بين نيسابور وأصبهان. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص20).

(6) الأصبهبذ: ملك أذربيجان. (للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص215).

(7) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج 4، ص51؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص308.

ستة أشهر، فأصابهم مرض، وموت، فأرسل صول يطلب الصلح على نفسه وماله وثلاثمائة من أهله وخاصته، ويسلم إليه البحيرة فأجابه يزيد، فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب، وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً[1]، وأطلق الباقين[2].

ويوضح هذا الفعل ثقة المجوس بالمسلمين، واللجوء إليهم لطلب العون والمساعدة، رغم حداثة معرفتهم بالإسلام.

وتتضح مهارة ابن أبي المهلب وخدعه العسكرية في القصاص من صول التركي فيما يلي:

1- احتضان ابن المهلب لملك الجرجان حكمة، هدفت إلى كسب الملك لصفه في حربه ضد الأتراك، وفي الوصول إلى صول أيضاً وقتله.

2- أمر يزيد بن المهلب من ملك أذربيجان الطلب من صولا التركي للإقامة بجرجان خدعة، هدفت إلى مسارعة ملك أذربيجان لإرسال كتاب يزيد إلى صول التركي، بقصد التقرب منه، ومن ثم مغادرة جرجان على وجه السرعة للتحصن في الجزيرة .

3- استدراج صول التركي للجزيرة بعد إخراجه من جرجان خدعة، هدفت إلى ضمان محاصرته في مكان ضيق يصعب الهروب منه، ومن ثم تكون فرصة إلقاء القبض عليه سهلة، إذا ما قورنت بوجوده في مكان واسع.

4- استجابة يزيد لشروط صول للصلح خدعة، هدفت إلى تثبيط عزيمته القتالية، كما أن قبول يزيد لشروط صول، تركت الأتراك بدون قيادة، مما جعلهم لقمة سائغة للمسلمين.

---

(1) صبراً: القِصَاص. (للمزيد ينظر الزمخشري: الفائق، ج2، ص242).

(2) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص314؛ البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص331؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص51؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص308؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص92.

7- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة جُرجان[1]

فتحت جرجان أول مرة سنة(92هـ= 710م)[2]، ثم في سنة (98هـ= 716م)، نقض أهلها العهد فحلف يزيد بن المهلب: " لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بدمائهم، ويأكل من ذلك الطحين"[3]، فأتاها وحاصر أهلها سبعة أشهر، وهم يخرجون إليه في الأيام فيقاتلونه ويرجعون، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان[4] يتصيد، وقيل رجل من طيئ[5] فأبصر وعلاً[6] في الجبل فتبعه، ولم يشعر حتى هجم على معسكرهم، فرجع كأنه يريد أصحابه، وجعل يخرق قباءه[7]، ويعقد على الشجر علامات فأتى يزيد فأخبره فضمن له يزيد مكافأة إن دلهم على الحصن، فانتخب معه ثلاثمائة رجل، واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد، وقال له: " إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت، وإياك أن أراك عندي مهزوماً [8]، وضم إليه جهم بن زحر[9]، وقال للرجل متى تصلون؟، قال: غداً العصر، قال يزيد: نحرص على مناهضتهم عند الظهر، فساروا، فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب كان عندهم فصار مثل الجبال من النيران، فنظر العدو إلى النيران فهالهم ذلك فخرجوا إليهم، وتقدم يزيد إليهم فاقتتلوا وهجم أصحاب يزيد الذين ساروا على عسكر الترك قبل العصر، وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالتكبير من

---

(1) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص119) .

(2) الجرجاني: تاريخ جرجان، ج1، ص44؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص26؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص77؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص32.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص49؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص27؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص305؛ اليافعي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص203؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص91؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج1، ص113.

(4) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند قال الجرجاني معنى خر كل وأسان معناه سهل أي كل بلا تعب. (للمزيد ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج2، ص489؛ الحموي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص350).

(5) طيئ: قبيلة عربية. (ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص21).

(6) وعل: تيس الجبل. (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5، ص206).

(7) القباء: الذي يلبس والجمع الأقبية. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص218).

(8) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص309.

(9) جهم بن زحر: عامل يزيد بن المهلب على جرجان. (للمزيد ينظر ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص320).

ورائهم، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم، وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخين إلى يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان، وقال من طلبهم بثأر فليقتل، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة، وأجرى الماء على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ليبر بيمينه فطحن وأكل، وقيل قتل منهم أربعين ألفاً(1).

ويتبين ما سبق أهمية اغتنام الفرص بأقصى سرعة وعدم إرجائها إلى الغد، وضرورة بر القائد بيمينه الذي قطعه على نفسه.

وتتضح مهارة ابن المهلب وخدعه العسكرية في فتح مدينة جرجان فيما يلي:

1- خروج رجل واحد للبحث عن ثغرة يستطيع المسلمون النفاذ منها لمعسكر الأتراك خدعة، إذ لو خرج أكثر من رجلٍ واحد لهذه المهمة لانتبه الأتراك لهذا الأمر، ولاحتاطوا أكثر من المسلمين، ورمموا الثغرات في معسكرهم.

2- عودة هذا الرجل عن معسكر الأتراك كأنه يريد أصحابه، وخرقه لملابسه وعقدها على الأشجار طوال طريق عودته حدق، قصد منه العودة لهذه الثغرة حينما يأتي بالمدد من المسلمين، إذ لو لم يعمد إلى ذلك لما استطاع العودة مرةً أخرى للثغرة نفسها.

3- إحراق يزيد لكل الحطب الذي كان عندهم حتى كان كالجبال خدعة، هدفت إلى إرهاب أهل جرجان، وإدخال الخوف في قلوبهم؛ ليسهل على المسلمين فتح المدينة.

4- الهجوم على الأتراك من محورين خدعة أخرى، هدفت إلى إضعاف الأتراك وتشتيت جهودهم في مواجهة المسلمين.

5- التكبير بصوت عالٍ من وراء الأتراك خدعة، هدفت إلى مفاجأة الأتراك بوصول كل الجيش الإسلامي إليهم من الخلف، وأنه لا خيار أمامهم سوى الاستسلام.

---

(1) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص315؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج6، ص43؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص309؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص93.

8- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة الباب والأبواب[1]

استعمل يزيد بن عبد الملك[2] الجراح بن عبد الله الحكمي[3] على أرمينية[4]، وأمده بجيش كثيف، وأمره بغزو الخزر[5] وغيرهم من الأعداء ويقصد بلادهم، فسار الجراح وتسامع الخزر به، فعاد حتى نزلوا بالباب والأبواب، ووصل الجراح إلى برذعة[6] فأقام حتى استراح هو ومن معه، وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر[7]، فسمع بأن بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجراح إليه، فحينئذ أمر الجراح مناديه فنادى في الناس: أن الأمير مقيم ههنا عدة أيام، فاستكثروا من الميرة، فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم، ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه، فلمّا كان الليل أمر الجراح بالرحيل، فسار مجداً حتى انتهى إلى مدينة الباب والأبواب، فلم ير الخزر، فدخل البلد فبث سراياه في الإغارة على ما يجاوره، فغنموا وعادوا من الغد، وسار الخزر إليه، وعليهم ابن ملكهم، فالتقوا عند نهر الران[8]، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحرض الجراح أصحابه، واشتد القتال فظفروا بالخزر، وهزموهم، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع ما معهم[9].

---

(1) الباب والأبواب: مدينة أرمينية سميت بهذا الاسم، وذلك لأنها بنيت على طريق في الجبل. (للمزيد ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص198).

(2) يزيد بن عبد الملك: ابن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز سنة (101هـ=720م)، وله سبع وثلاثون سنة، وتوفي بأرض البلقاء، سنة (105هـ=723م) وله إحدى وأربعون سنة. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص57؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص714؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1، ص246).

(3) الجراح بن عبد الله الحكمي: أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي، ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز وكان بطلاً شجاعاً مهيباً. (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص189).

(4) أرمينية: كورة بناحية الروم قصبتها دبيل. (للمزيد ينظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ج1، ص254؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص16).

(5) الخزر: من أرمينية. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص360).

(6) برذعة: بلدة بأقصى أذربيجان. (الحموي: معجم البلدان، ج1، ص379).

(7) نهر الكر: نهر بأرمينية. (المصدر السابق: ج3، ص410).

(8) نهر الران: نهر بأرمينية. (المصدر نفسه: ج3، ص9).

(9) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص313؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص361.

ويتبين مما سبق وصول الفتح الإسلامي في العهد الأموي إلى مناطق بعيدة حتى وصل إلى أرمينية.

وتظهر مهارة الجراح وخدعه العسكرية في فتح مدينة البـــاب والأبـــواب فيمـــا يلي:-

1- أمر الجراح مناديه أن ينادي في الناس أن الأمير مقيم ههنا عدة أيام فاستكثروا من الميرة خدعة، هدفت إلى استدراك تسرب أخبار سير جيشه لملك الخزر، من قبل بعض الجند الذين كانوا معه.

2- أمر الجراح جيشه بالرحيل ليلاً في اليوم نفسه الذي أمرهم فيه بالإقامة لعدة أيام خدعـــة أخرى، هدفت إلى مفاجأة ملك الخزر الذي وصلته الأخبار بأن المسلمين قد آثـــروا المكـــوث عدة أيام قبل هجومهم عليه.

3- دخول المدينة بسرعة، وبث السرايا فيها، وجمع الغنائم، والخروج بسرعة خارج المدينة فطنة هدفت إلى إتمام العملية بأسرع وقت ممكن قبل تمكن العدو من رص صفوفه.

ولقد سار الجراح بعد ذلك إلى بلنجر، وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله، وكـــان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة، فشدوا بعضها إلى بعض، وجعلوها حـــول حـــصنهم ليحتموا بها، وتمنع المسلمين من الوصول إلى الحصن، وكانت تلك العجل أشد شـــيء علـــى المسلمين في قتالهم، فلما رأوا الضرر الذي عليهم منها، انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلاً، وتعاهدوا على الموت، وكسروا جفون[1] سيوفهم، وحملوا حملة رجل واحد، وتقـــدموا نحـــو العجل وجدّ الكفار في قتالهم، ورموا من النشاب ما كان يحجب الشمس فلم يرجع أولئك حتى وصلوا العجل، وتعلقوا بها وقطعوا الحبل الذي يمسكها، وجذبوها فانحدرت وتبعهـــا ســـائر العجل، لأن بعضها كان مشدوداً إلى بعض، وانحدر الجميع إلى المـــسلمين، والـــتحم القتـــال واشتد وعظم الأمر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر، ثم إن الخزر انهزموا، واستولى المسلمون على الحصن عنوة، وغنموا مما فيه[2].

وتتضح مهارة الجراح وخدعه العسكرية في فتح حصن بلنجر، إدراكه أهمية الوصول إلى العجل التي تلف أسوار الحصن، وقطع حبالها ودفعها أسفل الوادي، وذلك ليسهل عليـــه الوصول لأسوار الحصن وفتحه، ويوضح ما سبق أيضاً استخدام الدواب لحمايـــة الحـــصون

---

(1) الجفن: غمد السيف. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص45).

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص362.

العسكرية، ومما يترتب على ذلك من تعطيل زحف الجيش المتقدم لهذه الحصون، كما يوضح مما سبق طبيعة بعض المدن التي استولى المسلمون عليها في بلاد السند، فهي عبــارة عــن قلاع عسكرية محصنة بالأسوار العالية.

9- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة سمرقند(1)

غزا قتيبة بن مسلم مدينة سمرقند سنة (93هـ= 711م)(2)، وذلك بعدما فرغ من فــتح خوارزم، وعزم الرجوع إلى بلاده، فقام إليه المجشر بن مزاحم السلمي(3) فقال: إن لي حاجة فأخلني، فأخلاه، فقال: " إن أردت الصغد يوماً من الدهر فالآن فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام" (4). قال: أشار بهذا عليك أحــد؟ قــال: لا!. قــال: فأعلمته أحداً؟ قال: لا!. قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك، فأقام يومــه ذلــك، فلمــا أصبح من الغد دعا أخاه عبد الرحمن بن مسلم فقال: " سر في الفرســان والمراقبــة، وقــدم الأثقال إلى مرو"(5) فسار في عشرين ألفاً(6)، ويوضح هذا الأمر التشديد على ضرورة إحاطة النصائح المهمة بالسرية القصوى، حتى لا تتسرب تفاصيلها إلى الأعداء، فيحتاطوا للأمــر، ولقد لحقه قتيبة في بقية الجيش، فلما سمعت الأتراك بقدومهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء وأمروهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليــل فيكبســوا جــيش المسلمين، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالح في ستمائة فارس مــن الأبطــال الذين لا يطاقون، وقال: خذوا عليهم الطريق، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق، وتفرقــوا ثلاث فرق، فلما اجتازوا بهم الليل وهم لا يشعرون بهم نادوا عليهم، فاقتتل المــسلمون هــم

---

(1) سمرقند: يقال لها بالعربية سمران، بلد معروف مشهور، قيل إنه من أبنية ذي القرنين مما وراء النهــر وهو قصبة الصغد مبنية، وقال الأزهري: بناها شمر أبو كرب، فسميت شمر كنت، فأعربت فقيــل ســمرقند هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها. (الحموي: معجم البلدان، ج3، ص246-247).

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص101.

(3) المجشر بن مزاحم السلمي: صاحب الرأي بخراسان في الحرب. (للمزيد ينظر ابن خلدون: تاريخ ابــن خلدون، ج3، ص113).

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص14؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص85.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص274.

(6) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص85.

وإياهم، فلم يلبث من أولئك الأتراك إلا النفر اليسير، واحتزوا رؤوسهم، وغنموا مما كان معهم من الأسلحة المحلاة بالذهب والأمتعة(1).

ويتضح مما سبق ضرورة رصد حركات العدو، ومعرفة نقاط تجمعه، للوصول إليه بأقصر الطرق، وسحقه قبل أن يستكمل استعداداته العسكرية.

ولقد اقترب قتيبة من سمرقند فنصب عليها المنجنيق(2) فرماها بها، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم فثلم فيها ثلمة فسدها الترك بغرار الدخان، فلما أصبحوا رماهم بالمنجنيق فثلم أيضا ثلمة، وصعد المسلمون فوقها وتراموا هم وأهل البلد بالنشاب، فقالت الترك لقتيبة بن مسلم: " ارجع من يومك هذا ونحن نصالحك غداً"(3) فرجع عنهم وصالحوه من الغد على ألفي ألف مثقال ومائة ألف يحملونها إليه في كل عام(4).

ويبين ما سبق ضرورة أن يتبع الحصار الطويل مباشرة قتال شديد، وذلك لتحقيق النصر في أسرع وقت، قبل أن تتدخل عوامل سياسية أو عسكرية قد تفشل الحصار.

وتتبين مهارة قتيبة بن مسلم وخدعه العسكرية في فتح مدينة سمرقند فيما يلي:

1- اغتنام قتيبة لنصيحة أحد قواده بالسير لفتح مدينة سمرقند، بعد فتح مدينة خوارزم مباشرة حكمة، تعكس قدرة قتيبة على اغتنام هذه الفرصة، لفتح أحد أهم مدن ما وراء النهر.

2- تجريد قتيبة لأخيه صالح في ستمائة فارس على الفور لوقف زحف الأتراك الذين جاءوا لقطع الطريق على جيش المسلمين فطنة، إذ لو تأخر قتيبة قليلاً لوصل الأتراك لمقدمة الجيش الإسلامي، وللاقى المسلمون منهم أذى عظيماً.

3- تفرق المسلمين الستمائة في ثلاث فرق في انتظار الأتراك خدعة، هدفت إلى تطويق الأتراك ليسهل السيطرة عليهم.

4- السماح للأتراك باجتياز الكمين الذي أعده المسلمون، ومن ثم المناداة عليهم بعد ذلك خدعة، هدفت إلى إشعار الأتراك بوقوعهم في كمائن المسلمين من كل جانب، ومن ثم فلا سبيل أمامهم سوى الاستسلام أو الموت.

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص14.

(2) المنجنيق: التي ترمى بها الحجارة، معربة وأصلها بالفارسية من جي نيك أي ما أجودني، وهي مؤنثة، وجمعها منجنيقات ومجانيق، وتصغيرها مجينيق. (للمزيد ينظر الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص45).

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص85.

(4) للمزيد ينظر المصدر السابق: ج9، ص85-86.

5- قذف سمرقند بالمنجنيق من جانب، ورفع وتيرة القتال من جانب آخر حدق، هـدف إلـى الضغط على المحاصرين للقبول بالاستسلام، ودفع الجزية للمسلمين، بـدلاً مـن المواجهـة، والموت.

وتكمن أهمية فتح سمرقند أنها ضمت مصنعاً للورق، وحمل المسلمون هذه الـصناعة إلى دمشق[1].

10- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة كاشغر[2] الصينية

فتح قتيبة بن مسلم مدينة كاشغر، من أرض الصين، وذلك سـنة(96هـ= 708م)[3]، وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدده ويتوعده، فدخل الرسل على الملك الأعظم فيها فقال لهـم ملك الصين: ما أنتم؟، وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة بن شمرج الكتابي[4]، فقالوا: نحن رسل قتيبة بن مسلم، وهو يدعوك إلى الإسلام، فإن لم تفعل فالجزية، فإن لم تفعل فـالحرب، فغضب الملك وأمر بهم إلى دار، فلما كان الغد دعاهم فقال لهم: كيف تكونون فـي بيـوتكم؟ فلبسوا ثياب مهنهم فأمرهم بالانصراف، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال: كيـف تـدخلون على ملوككم؟ فلبسوا الوشي[5] والعمائم[6] والمطارف[7]، ودخلوا على الملك فقال لهم: ارجعوا فرجعوا، فقال الملك لأصحابه: كيف رأيتم هؤلاء؟ فقالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال مـن تلـك المرة الأولى، وهم أولئك، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فقال لهم: كيف تلقـون عـدوكم؟ فشدوا عليهم سلاحهم، ولبسوا المغافر[8]، والبيض[9]، وتقلدوا الـسيوف، وركبـوا خيـولهم ومضوا، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم

---

(1) طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص109.

(2) كاشغر: مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند، وتلك النواحي وهي في وسـط بـلاد الـصين، وأهلها مسلمون. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، 431).

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص12؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص289؛ ابن كثيـر: البدايـة والنهاية، ج9، ص140؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج3، ص85.

(4) هبيرة بن شمرج الكتابي: من أشراف العرب. (للمزيد ينظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج3، ص85).

(5) الوشي: نوع من الثياب. (الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص301).

(6) العمائم: تيجان العرب. (المصدر السابق: ج1، ص191) .

(7) المطارف: أردية من خز مربعة لها أعلام. (المصدر نفسه: ج1، ص164).

(8) المغافر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. (المصدر نفسه: ج1، ص199).

(9) البيض: من الحديد. (المصدر نفسه: ج1، ص29).

أقبلوا نحوه مشمرين فقيل لهم: ارجعوا، وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف مـــنهم، فانصرفوا ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم ؟ فقالوا: ما رأينا كهؤلاء قط[1].

ويبين مما سبق أهمية اختيار الرسل والوفود التي تتولى المفاوضات مع الأعداء، وذلك لإيقاع الخوف في قلوب عدوهم؛ ليسهل بعد ذلك فرض الشروط عليهم.

وحينما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إليّ زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة، فقال له الملك حين دخل عليه: " قد رأيتم عظم ملكي، وليس أحد يمنعكم مني، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي، وأنا سائلك عن أمرٍ فإن تصدقني وإلا قتلتك"[2]، فقال: سل! فقال الملك لما صنعتم ما صـــنعتم في زي أول يوم والثاني والثالث؟ فقال: أما زينا أول يوم، فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطيبنا عندهم، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا فقال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم! فانصرفوا إلى صاحبكم، وقولوا له: ينـــصرف راجعاً عن بلادي، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم، فقال له هبيرة: تقول لقتيبة هـــذا! وأول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون!، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإنا نعلم أن لنـــا أجلاً إذا حضر فأكرمها عندنا القتل فلسنا نكرهه، ولا نخافه[3].

ويتبين مما سبق أهمية ظهور المسلمين أمام أعدائهم بمظهر القوي، ولـــيس بمظهـــر الضعيف الذي يستجدي رضا الأعداء، مقابل مصالح دنيوية.

وبعدما استمع الملك لرد ابن شمرج، قال الملك: فما الذي يرضي صاحبكم؟ فقال: قـــد حلف أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضك ويختم ملوكك ويجبي الجزية من بلادك، فقال: أنا أبر يمينه وأخرجه منها، أرسل إليه بتراب من أرضي، وأربع غلمان من أبناء الملوك، ثم اتفـــق الحال على أن بعث صحافاً من ذهب فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة، وبعث بجماعة مـــن أولاده، وأولاد الملوك ليختم رقابهم، وبعث بمال جزيل ليبر بيمين قتيبة[4]، ويعزو المـــؤرخ محمد سهيل طقوش قبول قتيبة لعرض ملك الصين، هو إدراك قتيبة أنه يواجه إمبراطوريات

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص290؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص141.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص290؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص85.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص32؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص290؛ ابن خلـــدون: المصدر السابق، ج3، ص85.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص289 ابن كثير: مصدر سبق ذكـــره، ج9، ص141-142؛ ابـــن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج3، ص85.

قوية تتطلب منه استعدادات وتجهيزات لم تكن متوفرة، مع طول خط الإمـــدادات وصـــعوبة الاتصالات مع الإدارة المركزية[1].

فقال سوادة بن عبد الملك السلولي:

لا عيــبَ فــي الــوَفْــدِ الذينَ بَعَثْتَــهُمْ ... للصِّين إنْ سَلَكُوا طَرِيقَ المَنْهَجِ
كَسَرُوا الجُفُونَ عَلَى القَذَى خَوفَ الرَدَى ... حَاشَا الكَرِيمُ هبيرةُ بن مِشمرَجِ
أَدِّي رِسَــالَــتَــكَ الَّــتِي اسْــتَرْعَيْتَــهُ ... وأَتَاكَ مِنْ حَنَثَ اليَمِينِ بِمخرجِ[2].

ويتبين مما سبق اتساع دائرة الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية، حتى بلغــت الصين شرقاً والأندلس غرباً.

وتتضح مهارة قتيبة وخدعه العسكرية في فتح مدينة كاشغر الصينية فيما يلي:

1- إرسال وفد من ثلاثمائة رسول إلى ملك الصين حكمة، هدفت إلى إرهاب هذا الملك الذي يحكم بلاداً واسعة وعظيمة، ويعتقد بأنه ظل الله في الأرض، ولو كان الوفد قليلاً لما اهتم ملك الصين باللقاء به مرات عدة ، ولما حمل كلامهم محمل الجد.
2- إتقان المسلمين للأدوار الثلاثة التي سأل عنها ملك الصين، ولبسهم للباس متوافق مع كل دور، فطنة هدفت إلى تغيير قناعة ملك الصين عن العرب، وقبوله بالصلح معهم.
3- رد هبيرة الحكيم على ملك الصين، الذي ظن أنه يستطيع إهلاك المسلمين بكثرة جيــشه فطنة، هدفت إلى إرهاب ملك الصين، الذي أخذ بدوره في التراجع عن تهديداتـــه، والقبــول بكل شروط قتيبة للصلح، ولولا هذا الأمر لصعب على المسلمين فتح بلاد واسعة كالصين.

---

(1) تاريخ الدولة الأموية، ص110.
(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص32؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص290.

11- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة كمرجة[1]

حاصر خاقان[2] سنة (110هـ= 728م)[3] مدينة كمرجة، وهـي مـن أعظـم بلـدان خراسان، وبها جمع من المسلمين فأغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التي على الخنـدق، فأتاهم ابن خسرو بن يزدجرد في ثلاثين رجلاً، فقال: " يا معشر العرب لم تقتلون أنفسكم؟، أنا الذي جئت بخاقان ليرد عليّ مملكتي، وأنا آخذ لكم الأمان"[4] فشتموه، وأتاهم بازغري[5] فـي مائتين، وكان داهية، وكان خاقان لا يخالفه، فدنا من المسلمين بأمان، وقال : " لينـزل إلـيّ رجل منكم أكلمه بما أرسلني به خاقان"[6] فأحضروا يزيد بن سعيد الباهلي[7]، وكـان يفهـم بالتركية يسيراً فقال له إن خاقان أرسلني، وهو يقول: " إني أجعل من عطائه مـنكم سـتمائة ألف، وهو محسن إليكم"[8]، فقال يزيد: " كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شياه، لا يكون بيننا وبينهم صلح"[9] فغضب بازغري، وكان معه تركيان فقالا: ألا تضرب عنقه، فقال: " إنه نزل بأمان"[10]، وفهم يزيد ما قالا فخاف، فقال: " بلى إنما تجعلون نصفين فيكون نصفنا مع أثقالنا، ويسير النصف معكم، فإن ظفرتم فنحن معكم، وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن الصغد"[11] فرضوا بذلك، وقال: "أعرض على أصحابي هذا "[12]، وصعد في الحبل فلما صار على السور نادى: " يا أهل كمرجة اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمـان،

---

(1) كمرجة: مدينة من مدن الصغد بسمرقند، وهي من أعظم بلدان خراسان. (الحموي: معجم البلـدان، ج5، ص479).

(2) خاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك. (للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص142).

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص387؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص109.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص133؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص387؛ ابن خلـدون: المصدر السابق، ج3، ص110.

(5) بازغري: لم أجد له ترجمةً.

(6) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص387.

(7) يزيد بن سعيد الباهلي: لم أجد له ترجمةً.

(8) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج4، ص133.

(9) المصدر السابق: ج4، ص133.

(10) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص387.

(11) المصدر السابق: ج4، ص387.

(12) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج4، ص133.

فما ترون ؟"[1] قالوا: لا نجيب ولا نرضى، قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين، قالوا: نموت قبل ذلك[2].

ويستدل مما سبق أهمية تعلم لغة الأعداء لتجنب أذاهم، كما يستدل مما سبق تمسك الشعوب التي وصلها الإسلام بالمسلمين، وذلك لما لمسوه من عدل الإسلام، وحسن معشر المسلمين.

ولقد أمر خاقان بعد ذلك بقطع الخندق، فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقي المسلمون الحطب اليابس، حتى سوى الخندق ليصلوا إليهم فأشعلوا فيه النيران، وهبت ريح شديدة صنعاً من الله، فاحترق الحطب، وكانوا جمعوه في سبعة أيامٍ في ساعةٍ واحدة[3].

ويعكس هذا الفعل أهمية يقظة المسلمين العسكرية، وعدم إتاحة الفرصة للعدو للوصول إليهم، فكان ليقظة المسلمين عظيم الأثر في إفشال خطط الأتراك الهجومية مما حفظ المدينة من السقوط في أيدي الأتراك.

ولقد فرق خاقان بعد ذلك على الترك أغناماً وأمرهم أن يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها تراباً، ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك، فأرسل الله سبحانه وتعالى سحاباً فمطرت مطراً شديداً فاحتمل السيل ما في الخندق، وألقاه في النهر الأعظم[4]، ورماهم المسلمون بالسهام فأصابت بازغري نشابة في سرته فمات في ليلته فدخل عليهم بموته أمر عظيم[5].

وتَبِيْنُ مهارة المسلمين وخدعهم العسكرية في حماية مدينة كمرجة من غزو الأتراك في الآتي:

1- إغلاق المسلمين لباب مدينة كمرجة، وقطع القنطرة التي على الخندق حكمة، هدفت إلى منع العدو من الوصول لأسوار المدينة، ومن ثم الدخول إليها، والفتك بالمسلمين، ولو لم يفعل المسلمون ذلك لباغتهم العدو، واقتحم عليهم المدينة.

2- إلقاء المسلمين للحطب اليابس بجانب الحطب الرطب للأتراك فطنة، هدفت إلى إحراق الحطب الرطب الذي ألقاه الأتراك لبناء جسر للوصول إلى المدينة، ولو لم يفعل المسلمون ذلك لنجح الأتراك من الوصول إليهم.

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج4، ص387.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص133.

(3) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص110.

(4) النهر الأعظم: من أنهار مدينة مرو. (ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص411).

(5) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج4، ص133؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص387.

3- رد يزيد بن سعيد الحكيم على عرض بازغري، فطنة هدفت إلى زرع الخوف في قلوب الأتراك الذين ظنوا أنهم بحصارهم للمدينة قد أوهنوا المسلمين.
4- طلب يزيد من بازغري إمهاله بعض الوقت ليعرض على أهل المدينة شروط الاستسلام خدعة هدفت إلى الإفلات من الموت، الذي طلبه التركيان من بازغري أن ينفذه بحق يزيد.
5- مناداة يزيد أهل كمرجة عند أول صعوده لسور المدينة، وإعلامهم بأن الأتراك قد جاءوا لدعوتهم للكفر بعد الإيمان حكمة، هدفت إلى تحريض سكان المدينة على الأتراك، والتمسك أكثر بالمسلمين.

وكان مدة حصار مدينة كمرجة ثمانية وخمسين يوماً، فيقال إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً[1] فعيّر خاقان أهل الصغد، وقال لهم: " زعمتم أن هذه خمسين حماراً، وأنَّا نفتحها في خمسة أيام فصارت الخمسة أيام شهرين"[2].

12- الخدع العسكرية للمسلمين وتحرير مدينة ورثان[3]

دخل الجراح بن عبد الله الحكمي سنة (112هـ= 730م)[4] بلاد الخزر، وهزمهم، فلما هزمهم اجتمع الخزر والترك من ناحية الّلان[5]على المسلمين، فاستشهد الجراح، ولما قتل طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل، ولما بلغ هشام بن عبد الملك[6] ذلك دعا سعيد بن عمرو الحرشي[7] وقال له: ما رأيك؟ قال: " تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد، ثم تبعث إليَّ كل يوم أربعين رجلاً، ثم أكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني"[8] ففعل ذلك

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص388؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص110.
(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص134؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص388.
(3) ورثان: مدينة آخر حدود أذربيجان. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج5، ص370).
(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص393.
(5) اللاّن: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر، والعامة يغلطون فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عبيد أقوياء. (الحموي: مصدر سبق ذكره ، ج5، ص8- 9).
(6) هشام بن عبد الملك: ابن مروان بن الحكم أبو الوليد أمير المؤمنين توفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة(125هـ=742م)، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام وكانت أيامه تسع عشرة سنة. (للمزيد ينظر الصفدي : الوافي بالوفيات، ج2، ص597).
(7) سعيد بن عمرو الحرشي: نائب خراسان. (للمزيد ينظر ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص229).
(8) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج4، ص139.

هشام، وسار الحرشي حتي وصل إلى مدينة خلاط[1][2]، فحاصرها وفتحها، وكان ابن خاقان يومئذٍ بأذربيجان[3] يغير وينهب ويسبي ويقتل، وهو محاصر مدينة ورثان، فخاف الحرشي أن يملكها فأرسل بعض أصحابه إلى أهل ورثان سراً، يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر فسار القاصد، ولقيه بعض الخزر فأخذوه وسألوه عن حاله فأخبرهم وصدقهم فقالوا له: " إن فعلت ما نأمرك به أحسنا إليك وأطلقناك، وإلا قتلناك"[4] قال: فما الذي تريدون؟ قالوا: تقول لأهل ورثان: " إنكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد إلينا"[5]، فأجابهم إلى ذلك، فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه، فقال لهم: أتعرفونني؟ قالوا: نعم! أنت فلان، قال: " فإن الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في عساكر كثيرة، وهو يأمركم بحفظ البلد، والصبر، ففي هذين اليومين يصل إليكم فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل"[6]، وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر، وليس عندها أحد فارتحل يطلب الخزر إلى أردبيل[7] فسار الخزر عنها[8].

ويعكس هذا الأمر ضراوة المعارك العسكرية بين المسلمين والأتراك في بلاد الخزر، الذين جندوا كل إمكاناتهم العسكرية لاستعادة ما فتحه المسلمون من بلاد تمسكت شعوبها بالمسلمين.

وتتضح مهارة الحرشي وخدعه العسكرية في تحرير مدينة ورثان فيما يلي:

1- طلب الحرشي من هشام أن يبعثه في بادئ الأمر على أربعين دابة من دواب البريد، ثم يبعث إليه في كل يوم أربعين رجلاً، لوقف تقدم الأتراك الذين وصلوا مدينة الموصل خدعة،

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص111.

(2) خلاط: مدينة هي قصبة أرمينية الوسطى. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص381).

(3) أذربيجان: كورة تلي العراق، وتلي كور أرمينية من جهة المغرب. (البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص129).

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص394.

(5) المصدر السابق: ج4، ص394.

(6) المصدر نفسه: ج4، ص394.

(7) أردبيل: من أشهر مدن أذربيجان. (للمزيد ينظر البكري: مصدر سبق ذكره، ج1، ص137؛ الحموي: مصدر سبق ذكره، ج1، ص145).

(8) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص394.

هدفت إلى عدم لفت انتباه الأتراك لهجوم المسلمين المضاد لهم، ولو كان هذا الهجوم مكشوفاً لأخذه الأتراك في طريقهم.

2- استجابة رسول سعيد الذي ألقى الأتراك القبض عليه في بادئ الأمر، للطلب من سكان المدينة الاستسلام بدلاً من المقاومة، خدعة هدفت إلى الإفلات من قبضة الأتراك، والوصول إلى سكان المدينة لحثهم على المقاومة، بدلاً من الاستسلام، ولو لم يقبل ذلك لقتله الأتراك، ولما استطاع الوصول للمدينة، وشد أزر أهلها بالصمود، لحين وصول سعيد إليهم.

ولقد نزل الحرشي باجروان[1] فأتاه فارس وقال له: " هل لك أيها الأمير في الجهاد والغنيمة؟ قال: كيف لي بذلك؟ قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف، ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبايا، وقد نزلوا على أربعة فراسخ، فسار الحرشي ليلاً فوافاهم آخر الليل، وهم نيام ففرق أصحابه في أربع جهات فكبسهم مع الفجر، ووضع المسلمون فيهم السيف، فما بزغت الشمس حتى قتلوا أجمعين، ولم ينج أحد، واستنقذ المسلمين منهم، وسار إلى باجروان فجاءه عين آخر، ودله على جمع منهم، فسار إليهم، واستلحمهم أجمعين، واستنقذ من معهم من المسلمين، وكان فيهم أهل الجراح وولده فحملهم إلى باجروان[2].

ويستدل مما سبق أهمية تحرير أسرى المسلمين من أيدي الأعداء بكل السبل والوسائل، فالأمة التي تترك أبناءها أسرى في أيدي أعدائها، دونما أن تحرك ساكناً لتحريرهم، هي أمة لا تستحق الحياة فوق الأرض.

وتظهر مهارة الحرشي وخدعه العسكرية في تحرير أسرى المسلمين من قبضة الأتراك فيما يلي:

1- استجابة الحرشي لنصيحة الفارس على الفور فطنة، فلو لم يستجب لهذه النصيحة، لما استطاع تحرير أسرى المسلمين من قبضة الخزر.

2- سير الحرشي ليلاً لتحرير أسرى المسلمين خدعة، هدفت إلى عدم لفت انتباه الخزر الذين كانوا قريبين منه، إذ لو سار في النهار لانكشف أمره، ولعجّل الخزر المسير بالأسرى المسلمين، أو قتلهم.

---

(1) باجروان: مدينة من نواحي باب الأبواب قرب شروان. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج1، ص313).

(2) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص343؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص317؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص247؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص112.

3- تفريق الحرشي لجيشه ليلاً إلى أربع مجموعات لتحيط بجيش الخزر خدعة، هدفت إلى ضمان القضاء على كل جيش الخزر بأسرع وقت ممكن، وتحرير الأسرى المسلمين منهم، ولو لم يفعل الحرشي ذلك لما استطاع القضاء على جيش الخزر بهذه السهولة، وتحرير الأسرى المسلمين منهم.

13- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد اللاَّن

لما عاد مسلمة بن عبد الملك من غزوة الخزر- وهم التركمان- سنة(114هـ=732م)[1]، كان في عسكره مروان بن محمد بن مروان[2] فخرج مختفياً عنه إلى هشام بن عبد الملك، وشكا له من مسلمة، وتخاذله عن الغزو، ورغب إليه بالغزو إليهم لينتقم منهم، وأن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه، فأجابه إلى ذلك وولاه على أرمينية، فسار إليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة، فأظهر أنه يريد غزو اللاّن وبعث إلى ملك الخزر في المهادنة، فأجاب وأرسل رسله لتقرير الصلح، فأمسكهم مروان إلى أن تجهز[3]، وودعهم ثم أغلظ لهم القول وأذنهم بالحرب وسير الرسول إلى صاحبه بذلك، ووكل به من يسير على طريق فيه بعد[4]، وسار هو على أقرب الطرق، فما وصل الرسول إلى صاحبه، إلا ومروان قد وافاهم فأعلم صاحبه الخبر، وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد، فاستشار ملك الخزر أصحابه فقالوا: " إنّ هذا قد اغترك، ودخل بلادك، فإن أقمت إلى أن تجمع، لم يجتمع عندك إلى مدة فيبلغ منك ما يريد، وإن أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك، والرأي أن تتأخر إلى أقصى بلادك، وتدعه وما يريد"[5]، فقبل رأيهم وسار حيث أمروه، ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبى، وانتهى إلى آخرها، وأقام فيها عدة أيام حتى أذلهم وانتقم منهم[6].

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص157؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص406.

(2) مروان بن محمد بن مروان: يقال له مروان الجعدي، وكانت بنو أمية يكرهون الإماء، لأنه قد بلغهم أن ذهاب ملكهم على رأس أمة، ومروان أمه كردية، وهو آخر خلفاء بنى أمية. (للمزيد ينظر ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج6، ص429؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص262).

(3) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص113-114.

(4) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص406.

(5) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص348

(6) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج57، ص325.

ويعكس هذا الفعــل الروح الجهادية العالية لهذا البطل المسلم، وغيرته على الوهن الذي أصاب المسلمون في أواخر عهد الدولة الأموية.

وتتضح مهارة مروان بن محمد وخدعه العسكرية في فتح اللاّن فيما يلي:

1- إظهار مروان بن محمد أنه يريد غزو اللاّن، ومخاطبة ملك الخزر بالمهادنة في الوقت نفسه، خدعة هدفت إلى مباغتة ملك الخزر بالحرب، فلو لم يصنع ذلك لما استطاع غــزو الخزر، وهزيمتهم.

2- إمساك مروان بن محمد لرسل ملك الخزر الذين جــاءوا لتقريــر الــصلح، وإيــذانهم بالحرب، ومن ثم الإفراج عنهم فطنة، هدفت إلى إدخال الخوف في قلب ملكهم الذي ينتظر منهم العودة بكتاب الصلح مع مروان بن محمد.

3- توكيل مروان بن محمد لمن يسير برسول ملك الخزر على طريق فيه بعد، فــي حــين سار هو على أقرب الطرق في طريقه لملك الخزر خدعة، هدفت إلى الوصول إلــى ملــك الخزر ومباغتته بالحرب قبل وصول رسوله، ولقطع الطريق على الملك مــن الاســتعداد للحرب، ولعل قبول ملك الخزر لنصيحة وزرائه بفتح البلاد أمام محمد بن مــروان كانــت دليل على أهمية هذه الخدعة التي دبرها محمد بن مروان في حربه مع ملك الخزر.

المبحث الثاني

الخدع العسكرية للمسلمين في بلاد السند(1)

تطلع المسلمون منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، لفتح بلاد السند، وزاد اهتمامهم ببلاد السند أكثر في عهد الدولة الأموية، وجاء أسر قراصنة من بلاد السند لسفينة عربية قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان)(2)عليها نساء مسلمات في طريقهن إلى العراق، لتكون سبباً ملحاً على الحجاج بن يوسف الثقفي، لإرسال الجيوش لفتح تلك البلاد بعد أن أضحت تجاور الحدود الشرقية للدولة الإسلامية، ووقع اختيار الحجاج لتنفيذ تلك المهمة على ابن عمه الشاب الذي لم يكن يجاوز العشرين من العمر محمد بن القاسم الثقفي(3)، الذي استطاع خلال سنوات عدة فتح هذه البلاد، لتقوم أول دولة إسلامية في بلاد السند والبنجاب، أي بلاد الباكستان الحالية(4).

1- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة الرور(5)

جاء محمد بن القاسم الثقفي سنة(92هـ=710م)(6) مدينة الرور، وهي على جبل، بعدما مضى في بلاد السند ففتحها بلداً بلداً، ومدينةً مدينة، فحاصرهم حصاراً شديداً، وهم لا يعلمون

---

(1) السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، وبعض يجعل مكران منها ويقول، هي خمس كور: فأولها من قبل كرمان مكران، ثم طوران، ثم السند، ثم الهند، ثم الملتان، و قصبة السند مدينة يقال لها المنصورة، ومن مدنها دبيل، وهي على ضفة بحر الهند، وهي أيضاً على ساحل البحر، فتحت في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي، ومذهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج3، ص267).

(2) سيلان: جزيرة عظيمة، وهي متوسطة بين الهند والصين. (للمزيد ينظر الحموي: المصدر السابق، ج3، ص298).

(3) محمد بن القاسم الثقفي: عامل الحجاج على السند. (للمزيد ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص172).

(4) طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص111.

(5) الرور: ناحية بالسند تقرب من الملتان في الكبر، وعليها سوران، وهي على شاطئ نهر مهران على الجسر وهي من حدود المنصورة والديبل. (للمزيد ينظر الحموي: مصدر سبق ذكره، ج3، ص79).

(6) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص289.

أن داهراً[1] قد قتل، وبقتله غلب محمد بن القاسم الثقفي على بلاد السند[2] ثــم بعــث إلــيهم بامرأة داهر فقالت لهم: " إن الملك قد قتل فاطلبوا الأمان"[3] فطلبوه ونزلوا على حكم محمــد، وفتحوا باب المدينة فدخلها[4] على أن لا يقاتلهم، ولا يعرض لبدهم، وقال: ما البد إلا ككنائس النصارى، واليهود وبيوت نيران المجوس، ووضع عليهم الخراج، وبنى مسجداً[5].

ويوضح فتح هذه المدينة اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية حتى وصلت إلى بلاد السند، كذلك يوضح دور القائد محمد بن القاسم الثقفي البارز في عملية فتح بلاد السند.

وتظهر مهارة ابن القاسم وخدعه العسكرية في فتح مدينة الرور فيما يلي:

1-حصار مدينة الرور الجبلية قبل فتحها خدعة، هدفت إلى إنهاك سكان المدينة، وذلك ليسهل على المسلمين فتحها، لأن استخدام القوة المباشرة لفتح مدينة جبلية قبل حــصارها ســيكلف المسلمين خسائر فادحة.

2- إدخال ابن القاسم لزوجة داهر إلى المدينة المحاصرة، لتبوح بقتل زوجها لأهــل مدينــة الرور فطنة، هدفت إلى تثبيط عزيمة أهل المدينة ودفعهم للاستسلام، ليفتحوا مــدينتهم أمــام المسلمين، فلا فائدة من المقاومة، وملكهم داهر قد قتل، ولولا ذلك لصعب على المسلمين فتح المدينة بهذه السهولة.

2- قبول ابن القاسم لشروط الصلح بعد مقابلة أهل المدينة، بشرط عدم التعرض لدور العبادة فطنة، قصد منها تعزيز روح الاستسلام عند أهل المدينة.

---

(1) داهر: ملك السند قتله محمد بن القاسم الثقفي، وبعث برأسه إلى الحجاج بن يوسف الثقفي. (للمزيد ينظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص289).

(2) الخضري: الدولة الأموية، ص493.

(3) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص289.

(4) المصدر السابق: ج2، ص289.

(5) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص426.

2- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة الكيرج[1]

ولّى عمر بن عبد العزيز[2] سنة(92هـ= 710م)[3] الجنيد بن عبد الرحمن المرى[4] من قبل عمر بن هبيرة الفزاري[5] ثغر السند، ثم ولاه إياه هشام بن عبد الملك فلما قدم خالد بن عبد الله القسري[6] العراق كتب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبته، فأتى الجنيد الديبل[7] ثم نزل شط مهران[8] فمنعه حليشة بن داهر[9] العبور، وأرسل إليه أني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي، ولست آمنك فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً، بما على بلاده من الخراج، ثم ترادا الرهن، وكفر حليشة وحارب، وقيل إنه لم يحارب ولكن الجنيد يجور عليه، فأتى الهند فجمع جموعاً وأخذ السفن واستعد للحرب، فسار إليه الجنيد في السفن، فالتقوا في بطيحة الشرقي[10] فأخذ حليشة أسيراً، وقد جنحت سفينته فقتله، وهرب صصه بن داهر، وهو يريد أن يمضي إلى العراق، فيشكوا غدر الجنيد، فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله، وغزا

---

(1) الكيرج: من بلاد الهند. (للمزيد ينظر البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص429).

(2) عمر بن عبد العزيز: ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية توفي سنة (117هـ=735م). (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص114).

(3) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص305.

(4) الجنيد بن عبد الرحمن المرى: أمير خراسان والسند من جهة هشام بن عبد الملك، توفي سنة (115هـ= 733م). (للمزيد ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص158).

(5) عمر بن هبيرة الفزاري: ابن معاوية بن سكين الأمير، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك، فعزله هشام، وقد ولي غزو البحر، وجمعت له العراق سنة(103هـ=721م)، ثم عزل بخالد القسري، فقيده وألبسه عباءة وسجنه، فتحيل غلمانه، ونقبوا سرباً أخرجوه منه، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك فأجاره ثم لم يلبث أن مات سنة (107هـ=725م). (للمزيد ينظر الذهبي: مصدر سبق ذكره، ج4، ص562).

(6) خالد بن عبد الله القسري: أمير العراق وخراسان. (للمزيد ينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص320؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص249).

(7) الديبل: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. (للمزيد ينظر الحموي: معجم البلدان، ج2، ص495).

(8) شط مهران: من بلاد السند. (البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص429).

(9) حليشة بن داهر: ابن ملك السند، والذي قتله محمد بن القاسم الثقفي. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج4، ص250).

(10) بطيحة الشرقي: من بلاد السند. (البلاذري: مصدر سبق ذكره، ج1، ص429).

الجنيد الكيرج من آخر الهند، وكانوا قد نقضوا العهد فاتخذ كباشاً نطاحة فصك بها حائط المدينة حتى ثلمه، ودخلها عنوة فقتل وسبى وغنم[1].

ويبدو مما سبق بأن سور المدينة قد بني من غير الحجارة، كالخشب مثلاً، كما يستدل أيضا اتخاد الدواب لأول مرة وسيلة لهدم أسوار المدن قبل اقتحامها، لتجنيب الجند صعوبات هذا العمل.

وتتضح مهارة الجنيد وخدعه العسكرية في استدراج صصه بن داهر و فتح مدينة الكيرج فيما يلي:

1- الإطراء المستمر لصصه بن داهر خدعة، هدفت إلى استدراجه ليعدل عن رأيه بالسفر للعراق، ومن ثم قتله، إذ لو لم يطر الجنيد لابن داهر، لما استطاع استدراجه، وبعد ذلك قتله.
2- الإتيان بكباش نطاحة لصك سور المدينة لفتح ثغرة فيه خدعة، هدفت إلى تجنيب جيشه عناء هذا العمل، ولو لم يفعل ذلك لصعب عليه فتح المدينة بهذه السهولة.

3- الخدع العسكرية للمسلمين وفتح مدينة الديبل

سار محمد بن القاسم الثقفي إلى مدينة الديبل[2] فقدمها يوم جمعة، سنة(92هـ=710م)[3]، وقيل سنة (93هـ=710م)[4]، ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والعتاد، فخندق حين نزل الديبل، وأنزل الناس منازلهم، ونصب منجنيقاً يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل، وكان بالديبل بد عظيم طوله في السماء أربعون ذراعاً[5]عليه دقل[6]، وعلى الدقل راية حمراء إذا هبت الريح أطافت بالمدينة، وكانت تدور والبد صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة، وفي رأس المنارة هذا الدقل، وكل ما

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان،ج1، ص429؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص316؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص287؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص84.
(2) الديبل: مدينةكراتشي اليوم. (الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار، ج3، ص190) .
(3) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص250؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1، ص224.
(4) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص304؛ السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص224.
(5) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص288.
(6) الدقل: خشبة طويلة. (ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص246).

يعبد فهو عندهم بد، فحاصرها وطال حصارها، فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم إن محمداً أتى وناهضهم، وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم إلى البلد، ثم أمر بالسلاليم فنصبت، وصعد عليها الرجال ففتحت عنوة، وهرب عامل داهر عنها، وأنزلها محمد أربعة آلاف من المسلمين، وبنى جامعها[1].

ويتضح مما سبق أهمية المس بالأصنام التي يعتقد الكفار بألوهيتها، فإبطال هذا الاعتقاد من شأنه أن يفضح عبادة هذه الآلهة، ويقوي من شوكة المسلمين حينما تعجز هذه الآلهة عن الدفاع عن نفسها أمام عبّادها، كذلك يستفاد مما سبق أهمية المحافظة على إنجازات المسلمين العسكرية، من خلال توطين آلاف المسلمين في هذه المدن، لمنع العدو من العودة إليها مرة أخرى.

وتظهر مهارة ابن القاسم وخدعه العسكرية في فتح مدينة الديبل فيما يلي:

1- إطالة حصار المدينة قبل فتحها خدعة، هدفت إلى إنهاك المدافعين داخلها، وذلك لأن فتح المدينة قبل حصارها من شأنه أن يكلف المسلمين خسائر فادحة.

2- رمي ابن القاسم لبد المدينة بحجر حتى كُسر حدق، هدف إلى إبطال عبادة هذا البد، وإبطال اعتقادهم بألوهيتها.

3- نصب السلاليم على سور المدينة ليصعد عليها الجنود خدعة، هدفت إلى مفاجأة المدافعين عن المدينة بدخول المسلمين إليهم من الأماكن التي لم يتوقعوها قط.

4- تجنب المسلمين دخول المدينة من أبوابها الرئيسة حكمة، قصد منها تجنب المفاجآت التي يمكن أن تواجه المسلمين فيما لو دخلوا المدينة من أبوابها الرئيسة.

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص425؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص250.

4- الخدع العسكرية للمسلمين في فتح مدينة الملتان[1]

حاصر محمد بن القاسم الثقفي مدينة الملتان من أرض السند، بعيد فتح مدينـــة الـــديبل مباشرة، فقاتله أهل المدينة، فأبلى زائدة بن عمير الطائي[2]، وانهزم المشركون شرّ هزيمـــة فدخل المدينة، وحصرهم محمد، ونفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر[3]، ثـــم أتـــاهم رجـــل مستأمن فدلهم على مدخل الماء الذي منه شربهم، وهو ماء يجري في نهر بسمد[4]، فيـــصير في مجتمع له مثل البركة في المدينة، وهم يسمونه البلاخ فغوره، فلما عطشوا نزلـــوا علـــى الحكم، فقتل محمد المقاتلة، وسبى الذرية، وسبى سدنة البد، وهم ستة آلاف، وأصابوا ذهبـــاً كثيراً[5]،

ويفيد ما سبق أهمية الماء في الحروب، وحرمان المحاصرين في المدن من التزود بـــه كأقصر الطرق للاستسلام.

وتتبين مهارة ابن القاسم وخدعه العسكرية في فتح مدينة الملتان فيما يلي:

1- أمان ابن القاسم للرجل الذي طلب الأمان بعدما طال حصار المسلمين للمدينة فطنة، إذ لو لم يستأمنه لصعب على المسلمين الوصول لمدخل الماء الذي يشربون منه، فالوصول إلى هذا المدخل هو الذي حسم المعركة لصالح المسلمين.

2- تغوير ابن القاسم لمدخل الماء الذي دلهم عليه الرجل المستأمن فطنة، قصد منهـــا قطـــع أسباب الحياة عن المحاصرين، وجعل الاستسلام خياراً لابد منه.

---

(1) الملتان: مدينة مشهورة ومقدسة للحجاج الهنود في جنوبي بلاد البنجاب، وبها صنم كبير يعظمه هـــؤلاء يسمى البد، كانت تهدى إليه الأموال وتنذر النذور، ويحج الناس إليه، فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده. (للمزيد ينظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ج1، ص301؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفـــاق، ج1، ص176).

(2) زائدة بن عمير الطائي: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، قال لما ولي عمر بن عبد العزيـــز الخلافة رحل إليه عون بن عبد الله وأبو الصباح موسى بن أبي كثير وعمر بن حمزة، فكلموه في الإرجـــاء وناظروه، فزعموا أنه وافقهم ولم يخالفهم في شيء منه، وكان ثقة كثير الإرســـال. (ابـــن ســـعد: الطبقـــات الكبرى، ج6، ص313).

(3) الحمر: طائر. (ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص214).

(4) نهر بسمد: لم أجد له ترجمةً.

(5) البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص427؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص251.

ولقد أضحى وادي السند بعد هذه الفتوحات في قبضة المسلمين، فانصرف ابن القاسم إلى تنظيم أمور البلاد المفتوحة[1].

(1) طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص113.

المبحث الثالث

الخدع العسكرية للمسلمين في فتح بلاد الروم

تطلع المسلمون إلى فتح مدينة القسطنطينية لأول مرة، في عهد الخليفة عثمــان بــن عفان، ولقد بلغ معاوية بن أبي سفيان سنة (32هـ=652م) مضيق القسطنطينية[1]، وتوالــت الحملات العسكرية بعد ذلك لفتح المدينة، التي ظل فتحها هدفاً يراود الخلفاء الأمــويين منــذ تأسيس دولتهم، خاصة وأن الإمكانات العسكرية الإسلامية أضحت متاحة بعد تقوية الأسطول البحري، وتنسيق التعاون بين القوتين البرية والبحرية، في حين افتقد الجانب البيزنطي إلــى الاستقرار، وتدهورت قوته العسكرية، وساد الوضع الداخلي الصراع على العرش، مما خلق مناخاً طيباً للعمليات، وكاد المسلمون سنة (97هـ= 715م) أن يفتحوا المدينة، بعد حــصار محكم، ولكن انطلاء خدع أليون[2] العسكرية على مسلمة بن عبد الملك أفشلت عملية الفتح.

1- الخدع العسكرية للمسلمين في حصار مدينة القسطنطينية

جهز الخليفة سليمان بن عبد الملــك[3] أخيــه مــسلمه لغــزو القــسطنطينية، وذلــك سنة(97هـ= 715م)[4]، وقيل سنة(98هـ= 716م)[5]، ولقد جهز سليمان فــي البــر مائــةً وعشرين ألفاً، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة، وأعلمهم بغزوه القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمــشق،

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص159.

(2) أليون المرعشي: كان رومياً من أهل مرعش، وكان قد مضى مع مسلمة بن عبد الملك في أيــام أخيــه سليمان بن عبد الملك، فملكه الروم عليهم بالقسطنطينية. (للمزيد ينظر ابن العديم: بغية الطلب فــي تــاريخ حلب، ج4، ص1989).

(3) سليمان بن عبد الملك: ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، بويع بعد أخيه الوليد سنة(96هـ= 714م)، وكان ديناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو، ويقال إنه نشأ بالبادية، ونقش خاتمه "أومن بالله مخلصاً". (للمزيد ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص111).

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص48؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص24؛ ابن كثيــر: مــصدر سبق ذكره، ج9، ص69؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص90.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4 ،ص304؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص174.

وقد اجتمعت له العسكر ثم قال: "سيروا على بركة الله، والصبر والتناصح والتناصف"[1] ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق[2]، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش[3].

ويستدل من حشد الأمويين لهذا العدد من الجنود، الأهمية الدينية لفتح هذه المدينة، فلقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: " لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"[4]، ولقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: " أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم"[5].

ولقد أمر مسلمة كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مُدَّيْن[6] من طعام، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فإذا هو أمثال الجبال، فقال لهم مسلمة: " اتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه في بلادهم، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلوه، وابنوا لكم بيوتاً من خشب، فإنا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله"[7].

ويتضح مما سبق اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية في عهد سليمان بن عبد الملك، حتى وصلت إلى مدينة القسطنطينية، في قلب أوروبا.

ولقد استصحب مسلمة أليون المرعشي، ليدله على الطريق والعورات، وأخذ عهوده ومواثيقه على الوفاء والمناصحة، فعبروا الخليج، وحاصروا القسطنطينية، ومن جهته فإن الإمبراطور البيزنطي استعد لمقاومة الحصار الشديد على عاصمته، فرمم الأسوار، وخزن الغلال، ومن ثم راح يناوش الجيش الإسلامي لعرقلة تقدمه، ولكن دون جدوى[8] فلما برح بهم

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص175.

(2) مرج دابق: موضع شمالي حلب بسوريا. (ابن العماد: شذرات الذهب: ج8، ص114).

(3) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص175.

(4) أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج31، 287، رقم الحديث18957؛ قال الألباني ضعيف للمزيد ينظر صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج21، ص198، رقم الحديث 10126.

(5) البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص42، رقم الحديث2924 .

(6) المد: مقدار ملء اليدين المتوسطين، من غير قبضهما، وهو يقرب من الثمانمائة جرام. (محمد جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، ص 36).

(7) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص299؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص48؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص26؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص304؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص174؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص90.

(8) طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص131؛ خطاب: بين العقيدة والقيادة، ص354.

الحصار عرضوا الفدية على مسلمة، على أن يعطوه عن كل رأس دينار فلم يقبل[1] إلا أن يفتحها عنوة[2].

ويتبين مما سبق أهمية الاستعانة بالأدلاء والعيون في الغزو، ليدلوا الجيش على عورات المدن، وأسرارها.

وتتضح مهارة مسلمة في حصار مدينة القسطنطينية فيما يلي:

1-حشد عشرات آلاف الجند لفتح القسطنطينية خدعة، هدفت إلى إدخال الرعب إلى قلوب أهل المدينة المحاصرة، وجعل أي عملية مقاومة لهذا الجيش مصيرها الفشل الأكيد.

2- أمر مسلمة لكل جندي أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من الطعام حدق، قصد منه إفهام المحاصرين بأن هذا الحصار ليس كغيره من الحصارات السابقة للمدينة من قبل المسلمين، فالمجيء بهذه الكميات الكثيرة تعني أن المسلمين مصممون هذه المرة على فتح المدينة مهما طال الحصار.

3- أمر مسلمة الجيش بترك الطعام الذي حمله من الشام، والأكل من طعام البلاد المحاصرة فطنة، قصد منها توفير الطعام الذي حمله لوقت الضرورة، ولإنفاذ الطعام من البلاد المحاصرة، ليسهل عليه تجويع أهل المدينة كأقصر الطرق لاستسلام المدينة للمسلمين.

4- أمر مسلمة بالزراعة وبناء البيوت الخشبية نباهة، قصد منها إفهام أهل المدينة أن الحصار سيدوم طويلاً، وأن المسلمين ليسوا في عجلة من أمرهم.

وبعدما أصر مسلمة على فتحها بالقوة بعثت الروم إليه يقولون: " ابعث إلينا أليون فإنه رجل منا يفهم كلامنا"[3]، فبعثه إليهم فسألوه عن وجه الحيلة، فقد ضاق عليهم الأمر فقال: يا أهل القسطنطينية إن ملكتموني عليكم لم أفتحها لمسلمة"[4]، فبايعوه على الملك والإمرة، فخرج أليون وقال لمسلمة: " إن الروم قد علموا أن لا تصدقهم القتال، وأنت تطاولهم ما دام الطعام عندك فلو أحرقته أعطوا الطاعة بأيديهم، فأمر به فأحرقه فقوي الروم وأصابوا المسلمين[5]، وقيل إنما خدع أليون مسلمة بأن سأله أن يدخل من الطعام إلى الروم بمقدار ما يعيشون به

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص174؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص90.

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج6، ص44.

(3) المقدسي: المصدر السابق، ج6، ص44؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص175.

(4) المقدسي: المصدر السابق، ج6، ص44.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص305؛ ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ج3، ص90.

ليلة واحدة، ليصدقوا أنّ أمره وأمر مسلمة واحد، وأنهم في أمان من السبي والخروج من بلادهم فأذن له، وكان أليون قد أعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا في تلك الحظائر إلا القليل، وأصبح أليون محارباً، وقد خدع مسلمة خدعة لو كان لامرأة لعيبت بها[1].

ولقد بعث مسلمة إلى أليون يناشده الوفاء بالعهد، فأرسل إليه أليون: "ملك الروم لا يبايع بالوفاء"[2]، ونزل مسلمة بفنائهم ثلاثين شهراً، حتى أكل أهل عسكرة الميتة والعظم[3]، ولقي الجند ما لم يلقه جيش آخر، حتى إن الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده[4]، وقتل منهم خلق كثير ثم رحل وانصرف[5]، وأخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار[6]، وغدر أليون وأصبح محارباً، وأصاب الناس الجوع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق، وسليمان مقيم بمرج دابق، وحال الشتاء بينهم وبينه فلم يقدر أن يمدهم حتى مات[7][8].

ويعكس هذا الخطأ الفادح الذي وقع فيه مسلمة بن عبد الملك، خطأ الاستكانة إلى عهود النصارى.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز، أرسل إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام فحلف مسلمة أن لا يقلع عنهم حتى يبنوا له جامعاً كبيراً بالقسطنطينية، فبنوا له جامعاً، ومنارةً فهو بها إلى الآن يصلي فيه المسلمون[9].

ويعد هذا الهجوم الأخير الذي قام به المسلمون لفتح القسطنطينية في عهد الأمويين، بداية لتغير ميزان القوى لمدة من الزمن في الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، لصالح هؤلاء، كما أثر هذا الفشل في الاستراتيجية العسكرية للمسلمين في مواجهة الإمبراطورية

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص48؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص305.

(2) المقدسي: البدء والتاريخ، ج6، ص44.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص174.

(4) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص304 .

(5) المقدسي: مصدر سبق ذكره، ج6، ص44.

(6) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص304؛ ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص183.

(7) قال ابن إسحاق: كانت وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين وذلك في شهر (صفر99هـ= أغسطس717م) على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوما، من متوفى الوليد بن عبد الملك. (للمزيد ينظر ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج9، ص183).

(8) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج4، ص49؛ ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج4، ص305؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص90.

(9) ابن كثير: مصدر سبق ذكره، ج 9، ص144.

البيزنطية، فتحولوا من أسلوب الهجوم إلى أسلوب الاشتباكات والمناوشات التي لم تهدد كيان الإمبراطورية[1].

وتتضح مهارة أليون وخدعه العسكرية لمسلمة بن عبد الملك فيما يلي:

1- بعث الروم إلى مسلمة ليبعث إليهم بأليون خدعة، هدفت إلى معرفة إمكانية الاحتيال على المسلمين لكسر الحصار، بعدما كادت المدينة أن تستسلم.
2- اشتراط أليون على الروم أن يملكوه عليهم قبل البدء من جانبه في مخادعة مسلمة من أجل فك الحصار حدق، هدف إلى الحصول على ثمن سياسي مقابل الخدمة التي سيقدمها إليهم، ولو لم يفعل ذلك لما استطاع أن يتملكهم بعد ذلك.
3- اشتراط أليون على مسلمة بحرق كل الأطعمة التي جاء بها للجند، مقابل تسليم المدينة خدعة، هدفت إلى خلق مجاعة وسط الجيش الإسلامي تقضي على جزء كبير منه، وتجعل فكرة فتح المدينة بالقوة مستحيلة على جيش يتضور جوعاً.
4- طلب أليون من مسلمة نقل جزء من الطعام المنوي إحراقه لسكان المدينة المحاصرين فطنة، هدفت تعزيز صمود المحاصرين داخل المدينة، وذلك للاستقواء على المسلمين الذين بدؤوا يتضورون جوعاً.
5- نقل أليون على عجل الطعام الذي سمح له مسلمة بنقله حسن تدبير، هدف إلى إنقاذ المحاصرين في داخل المدينة من جانب، وخشية انفضاح أمر الخدعة التي دبرها من جانب آخر.

ولم يكتف أليون بهذه الخدعة لمسلمة بن عبد الملك، وإنما أوعز إلى ملك البرجان[2]أيضاً لمخادعة مسلمة، فقد ذكر ابن عساكر ما مضمونه أن مسلمة بن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية، كتب أليون إلى ملك البرجان سنة (98هـ=716م) يستنصره على مسلمة، ويقول له: " ليس لهم همة إلا في الدعوة إلى دينهم الأقرب منهم فالأقرب، وإنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك فمهما كنت صانعاً حينئذٍ فاصنعه الآن"[3]، فعند

(1) طقوش: تاريخ الدول الأموية، ص133.

(2) البرجان: مملكة أرمينية، وهم أمة كبيرة من شعوب الترك. (للمزيد ينظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج1، ص178؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص277؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص379.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص184.

ذلك شرع في المكر والخديعة، فكتب إلى مسلمة يقول له: " إن أليون كتب إلي يستنـصرني عليك وأنا معك فمرني بما شئت"، فكتب إليه مسلمة: " إني لا أريد منك رجـالاً ولا عـدداً، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزواد"(1) فكتب إليه: " إني قد أرسـلت إليـك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا فأرسل من يتسلمها، ويشتري منها فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه، فذهب خلق كبير فوجدوا هنالك سـوقاً هائلة فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة، فأقبلوا يشترون واشتغلوا بذلك ولا يشعرون بما أرصد لهم الخبيث من الكمائن بين تلك الجبال التي هنالك، فخرجوا عليهم بغتـةً واحـدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلاّ القليل(2).

ويوضح ما سبق خطأ الاستكانة إلى وعود النصارى، وانطلاء خدع الـروم العـسكرية على مسلمة، كما يوضح أهمية الكمائن العسكرية في سحق الجيوش، وتكبيدها أفدح الخـسائر البشرية والمادية بأقل الإمكانات العسكرية.

وتتضح مهارة ملك البرجان وخدعه العسكرية لمسلمة بن عبد الملك فيما يلي:

1- كتابة ملك البرجان لمسلمة أنه معه في حربه ضد أليون خدعة، هدفت إلى طمأنة مـسلمة تجاهه، ولو لم يكتب له بذلك لصعب عليه استدراج مسلمة إلى مملكته.

2- تلبية ملك البرجان لطلب مسلمة بحاجته إلى الأطعمة، وإرساله بسوق عظيمة له فطنـة، هدفت إلى استدراج أكبر عدد من الجنود المسلمين لهذه السوق لشراء حاجاتهم، إذ لو لم يفعل ملك البرجان ذلك، لما توجه هذا العدد الكبير من المسلمين لهذه السوق.

3- خروج ملك البرجان على المسلمين بغتة، بعدما اشتروا كل حاجاتهم خدعة، هدفت إلـى توجيه ضربة قاتلة لجموع المسلمين التي جاءت لشراء حاجياتها من الطعام، إذ لـو خـرج عليهم وهم في طريقهم إلى السوق قبل أن يشتروا حاجاتهم لسهل عليهم الهروب والعودة من حيث أتوا، بخلاف الخروج عليهم بعد عودتهم محملين بالبضائع، حيث تكون إمكانية الهروب صعبة.

(1)ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص184.

(2) المصدر السابق: ج9، ص184.

الخاتمة ونتائـــــــــــج البحث

تم بفضل الله وعونه الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث إلـــى العديد من النتائج أهمها:

* إن حديث الرسولﷺ إلى نعيم بن مسعود الأشجعي في غزوة الخندق بأن الحرب خدعة يبقى أهم المسوغات الشرعية للخدع العسكرية في الحرب، بالإضافة إلى الآيات القرآنية، وأفعال الرسولﷺ في الغزوات، والصحابة ﷺ في البعوث والسرايا.

* إن الغاية من الخدع العسكرية في الحرب هو حسم المعركة في أسرع وقــت ممكــن، وبأقل الخسائر البشرية والمادية، وذلك ضماناً لحقن دماء المسلمين الغالية على الله مــن جانب، وللتغلب على إمكانات الأعداء والتي غالباً ما تكون أكثر عدداً وعدة من المسلمين من جانب آخر.

* إن الخدع العسكرية هي أحد أهم مكونات الحرب القديمة والحديثة، فــالطرف الأقــدر والأسبق على تدبير الخدع العسكرية في الحرب، هو الأقدر والأسبق على حسم المعركة لصالحه.

* إن الرسولﷺ هو أكثر من استطاع تدبير الخدع العسكرية في الحرب، وتبقى غزواته التي قادها شاهداً على عقليته العسكرية الفذة، في حين يأتي الصحابةﷺ في المرتبة الثانية من بعده في ذلك.

* إن الخدع العسكرية ارتبطت بقيادات عظيمة، وليس بقيادات مهزومة فالخدع العسكرية لا يدبرها أشخاص مهزومو الإرادة، بل دبرها رجال لا همّ لهم سوى نصرة دينهم ونبيهم على حدٍ سواء.

* إن الخدع العسكرية تحتاج إلى قوة عسكرية من جانب وإرادة قوية من جانــب آخــر، لتنفيذها، فالذي لا يملك أحد هذين السببين، لا يستطيع مخادعة أعدائه والانتصار عليهم.

* إن القيادات العسكرية الإسلامية التي دبرت الخدع العسكرية كانــت آذانــاً صــاغية لجنودها، فبعض الخدع العسكرية التي حققت أعظم الانتصارات للمسلمين على المشركين كانت مجرد فكرة لجندي في الصف المسلم.

* إن معسكر الشرك لم يستطع تدبير الخدع العسكرية ذات القيمة العسكرية في مواجهــة الجيش الإسلامي قليل العدد والعدة، لافتقاد هذه الجيوش للإرادة القتالية.

* إن القادة المسلمين لم يكتفوا بتدبير الخدع العسكرية فحسب، بل تعداه إلى إبطال الخدع العسكرية التي حاول – أحياناً– معسكر الشرك تدبيرها ضدهم.

* إن الخدع العسكرية قد تكون قبل المعركة، وقد تكون خلال المعركة، وقد تكون بعـــد المعركة مما يستدعي أن يكون القائمون على أمر الجيوش الإسلامية قادة قـــادرين علـــى تدبير مختلف أنواع الخدع العسكرية، في كل الأوقات، وفي مختلف الظروف.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر العربية

الأبشيهي: محمد بن أحمد أبي الفتح، (ت:450هـ=1446م).

1- المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قمحية، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1407هـ=1986م).

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، (ت:630هـ=1232م).

2- الآحاد والمثاني، 6 أجزاء، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، (السعودية، الرياض، دار الراية للطباعة والنشر، ط1، 1411هـ=1991م).

3- الكامل في التاريخ، 11 جزءاً، تحقيق: عبد الله القاضي، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ=1994م).

4- أسد الغابة في معرفة الصحابة، 6 مجلدات، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط 1424هـ=2003م).

5- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، (السعودية، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، د.ط، 1422هـ=2001م).

أحمد بن حنبل: أبو عبد الله الشيباني، (ت:241هـ=855م).

6- فضائل الصحابة لابن حنبل، جزءان، تحقيق: وصي الله محمد عباس، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1403هـ= 1983م).

7- مسند الإمام أحمد، 50 جزءاً، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ=2000م).

ابن الأزرق: أبو عبد الله،

8- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، (العراق، بغداد، وزارة الإعلام، ط1، د.ت).

الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت:275هـ=888م).

9- أخبار مكة للأزرقي، جزءان، تحقيق: رشدي صالح ملحس، (لبنان، بيروت، دار الأندلس للنشر، د.ط، 1416هـ=1996م).

الأصبحي: مالك بن أنس،
10- موطأ الإمام مالك: رواية محمد بن الحسن، 3 أجزاء، تحقيق: تقي الدين الندوي، (سوريا، دمشق، دار القلم، ط1، 1413هـ =1992م).
الأصبهاني: أحمد بن عبد الله مهران المهراني، (ت:430هـ= 1038م).
11- تاريخ أصبهان، مجلدان، تحقيق: سيد كسروي حسن، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ=1990م).
12- حلية الأولياء، 10 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، د.ت).
13- معجم السفر، جزء واحد، مجلد واحد، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، (السعودية، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، د.ط، د.ت).
الألباني: محمد ناصر الدين الألباني،
14- صحيح وضعيف الجامع الصغير، 30 جزءاً، (مصر، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحات القرآن والسنة، د.ط، د.ت).
الأنصاري: عبد الله بن محمد بن جعفر حيان أبو محمد، (ت:369هـ= 979م).
15- طبقات المحدثين بأصبهان، 4 أجزاء، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1412م= 1992م).
الإدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن الشريف، (ت:560هـ= 1164م).
16- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلدان، (لبنان، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ=1989م).
الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف، (ت:474هـ=1081م).
17- إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق: عبد الله محمد الجبوري، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1409هـ=1989م).
البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (ت:256هـ=870م).
18- صحيح البخاري، 9 أجزاء، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة للنشر، ط1، 1422هـ=2001م).
البسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان، (ت:277هـ=890م).
19- المعرفة والتاريخ، 3 أجزاء، تحقيق: خليل المنصور، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1419هـ=1999م).
البصري: عمر بن شبة النميري، (ت:262هـ=875م).
20- أخبار المدينة، تحقيق: علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1417هـ=1996م).

البغدادي: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب، (ت:463هـ=1070م).

21- تاريخ بغداد، 14جزءاً، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

البكري: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد. (ت:487هـ=1094م).

22- معجم ما استعجم، 4 أجزاء، تحقيق: مصطفي السقا، (لبنان، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1403هـ=1982م).

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، (ت:279هـ=892م).

23- فتوح البلدان، جزء واحد، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1403هـ=1982م).

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبد الله، (458هـ=1065م).

24- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، 8أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ=1985م).

25- السنن الكبرى، 10 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار مجلس دائرة المعارف للنشر، د.ط، د.ت).

ابن تغري بردى: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، (ت:874 هـ= 1469م).

26- النجوم الزاهرة في سلوك مصر والقاهرة، 16 جزءاً، (مصر، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، 1318هـ= 1900م).

ابن تميم: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي، (ت:33هـ=653م).

27- المحن، جزء واحد، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، (السعودية، الرياض، دار العلوم، ط1، 1404هـ=1983م).

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي،(279هـ=892م).

28- سنن الترمذي، 6 أجزاء، تحقيق: بشار عواد معروط، (لبنان، بيروت، دار الجيل ودار العرب الإسلامي، ط2، 1418هـ=1998م).

الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن.

29- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 3 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الجيل، د.ط، د.ت).

ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبر الكناني، (ت:614هـ=1217م).

30- رحلة ابن حبير، تحقق محمد مصطفى زيادة، (لبنان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ط، د.ت).

الجرجاني: حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسى السهمي، (ت:345هـ=956م).
31- تاريخ جرجان، جزء واحد، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (لبنان، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1401هـ=1981م).
ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي محمد بن الجوزي أبو الفرج، (ت:597هـ=1200م).
32- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 18جزءاً، (لبنان، بيروت، دار صادر، ط1، 1358هـ=1939م).
33- غريب الحديث، مجلدان، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، د.ط، 1406هـ=1985م).
34- صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعه جي،
(لبنان، بيروت، دار المعرفة للنشر والتوزيع، د.ط، 1399هـ=1978م).
35- تلقيح فهوم أهل الأثر، جزء واحد، (لبنان، بيروت، شركة دار الأرقم، ط1، 1418هـ= 1997م).
ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (ت:852هـ=1448م).
36- فتح الباري شرح صحيح البخاري، 13 جزءاً، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، د.ط، 1379هـ=1959م).
37- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، د.ط، 1318هـ=1900م).
38- الإصابة في تمييز الصحابة، 8 أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي،
(لبنان، بيروت، دار الجليل، ط1، 1412هـ=1992م).
ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد، (ت:656هـ=1258م).
39- شرح نهج البلاغة، 20جزءاً، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
(لبنان، بيروت، دار الجيل، د.ط، 1408هـ=1987م).
الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت:626هـ =1228م).
40- معجم البلدان، 5 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت).
41- معجم الأدباء، 20 جزءاً، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ= 1990م).
الحميري: محمد بن عبد الملك عبد المنعم الصنهاجي، (ت:900م=1512م).
42- صفة جزيرة الأندلس، تحقيق:. ليفي بروفنسال، (مصر، القاهرة، د.ن، د.ط، 1356هـ=1937م).

ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، (ت:241هـ=855م).
43- فضائل الصحابة لابن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ=1983م).
ابن عماد:عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ابن عمار العكري، (ت:1089هـ=1678م).
44- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10 أجزاء، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، (سوريا، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ=1985م).
ابن حبان: محمد بن حيان بن أحمد أبو حاتم التميمي، (ت:354هـ =965م).
45- مشاهير علماء الأمصار، جزء واحد، تحقيق: فلا يشهيمر، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1379هـ=1959م).
الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد، (ت:319هـ=388م).
46- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، (السعودية، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى، 1409هـ=1988م).
ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت:808هـ =1406م).
47- تاريخ ابن خلدون، 8 مجلدات، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، (لبنان، بيروت، دار القلم، ط5، 1405هـ= 1984م).
ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت:681هـ=1282م).
48- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (لبنان، بيروت، دار الثقافة، د.ط، د.ت).
ابن خياط: خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، (ت: 240هـ=854م).
49- تاريخ خليفة بن خياط، جزء واحد، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (لبنان، بيروت، مؤسسة دار القلم، ط2، 1397هـ=1976م).
50- الطبقات لابن خياط، جزء واحد، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (السعودية، الرياض، دار طيبة، ط2، 1402هـ=1982م).
أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت:275هـ=888م).
51- سنن أبي داود، 4 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت).
الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت:748هـ=1347م).
52- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1405هـ=1984م).

53- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط، 1404هـ=1987م).
54- المعين في طبقات المحدثين، جزء واحد، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، (الأردن، عمان، دار الفرقان، ط1، 1404هـ=1983م).
الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت:721هـ=1321م).
55- مختار الصحاح، جزء واحد، تحقيق: محمود خاطر، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1415هـ=1995م).
الربعي: محمد بن عبد الله بن أحمد بن الربعي، (ت:379هـ=989م).
56- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، جزءان، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، (السعودية، الرياض، دار العاصمة، د.ط، 1410هـ=1989م).
57- وصايا العلماء، جزء واحد، تحقيق: صلاح محمد الخيمي، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، (لبنان، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ=1986م).
الزمخشري: محمود بن عمر، (ت:538هـ=1038م).
58- الفائق في غريب الحديث، 4 أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط2، د.ت).
السبكي: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، (ت:771هـ=1369م).
59- طبقات الشافعية الكبرى، 10 أجزاء، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، (مصر، القاهرة، دار هجر الطباعة والنشر، ط2، 1413هـ=1992م).
السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، (ت:902هـ=1496م).
60- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، جزءان، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1414هـ=1993م).
ابن سعد: محمد بن سعد بن منبع أبو عبد الله البصري الزهري، (ت:230هـ=844م).
61- الطبقات الكبرى، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (لبنان، بيروت، دار صادر، د.ط، 1419هـ=1998م).
سعدي: أبو حبيب،
62- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، (سوريا، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، 1424هـ=2003م).
السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي،(ت:562هـ= 1166م).
63- الأنساب، 5 أجزاء، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، (لبنان، بيروت، دار الفكر، ط1، 1419هـ=1998م).

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين، (ت:911هـ=1505م).

64- تاريخ الخلفاء، جزء واحد، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (مصر، القاهرة، مطبعة السعادة، ط1، 1371هـ=1899م).

65- تفسير الجلالين، (مصر، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، د.ط، 2004م).

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت:764هـ=1362م).

66- الوافي بالوفيات، 29جزءاً، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفي، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث، د.ط، 1420هـ=2000م).

ابن الضحاك: أحمد بن عمرو أبو بكر الشيباني، (ت:287هـ=900م).

67- الآحاد والمثاني، 6 أجزاء، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، (السعودية، الرياض، دار الراية، ط1، 1411هـ=1991م).

الطبراني: سليمان بن أحمد الشامي أبو القاسم، (ت:360هـ=970م).

68- المعجم الكبير، 25جزءاً، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مصر، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، د.ت).

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، (ت:310هـ=921م).

69- تاريخ الأمم والملوك، 5أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1407هـ=1986م).

70- جامع البيان في تفسير القرآن، 10مجلدات، تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، (مصر، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1373هـ=1954م).

الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، (ت:321هـ=933م).

71- شرح مشكل الآثار، 13جزءاَ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ=1994م).

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، (ت:257هـ=870م).

72- فتوح مصر وأخبارها، جزء واحد، تحقيق: محمد الحجيري، (لبنان، بيروت، دار الفكر، ط1، 1416هـ=1996م).

العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي.

73- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 349هـ=1930م).

ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد،

74- بغية الطلب في تاريخ حلب، 12جزءاً، تحقيق: سهيل زكار، (لبنان، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1319هـ=1901م).

العراقي: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن،

75- طرح التثريب في شرح التقريب، 4 مجلدات، (مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، 1318هـ=1900م).

ابن العربي: محمد بن عبد الله أبو بكر، (ت:543هـ= 1148م).

76- العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، (لبنان، بيروت، دار الجليل، ط2، 1407هـ=1986م).

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت:571هـ=1175م).

77- تاريخ مدينة دمشق، 70 جزءاً، تحقيق: محب الدين أبي سعد عمر بن غراقة العمري، (لبنان، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1416هـ=1995م).

العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال، (ت:395هـ=1004م).

78- جمهرة الأمثال، مجلدان، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، بيروت، دار الجيل، د.ط، 1409م=1988م).

العظيم آبادي: محمد شمس الدين الحق، (ت:1310هـ=1892م).

79- عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، 1415هـ=1994م).

العليمي: مجير الدين الحنبلي، (ت:927هـ=1520م).

80- الأنس الجليل، جزءان، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، (الأردن، عمان، مكتبة دنديس، د.ط، 1420هـ=1999م).

العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين، (855هـ=1451م).

81- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، 25 جزءاً، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي للنشر، د.ط، د.ت).

الفاكهي: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله، (ت:275هـ=888م).

82- أخبار مكة للفاكهي، 6 أجزاء، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، (لبنان، بيروت، دار خضر، ط2، 1414هـ=1993م).

الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري.
83- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (لبنان، بيروت، المكتبة العلمية، ط2، د.ت).
ابن قانع: أبو الحسين عبد الباقي، (ت:351هـ= 962م).
84- معجم الصحابة، 3 أجزاء، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، (السعودية، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1418هـ=1997م).
القايمي: أبوالحسن إبراهيم بن عمر،
85- نظام الدرر في تناسب الآيات والسور، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، د.ط، 1416هـ=1995م).
ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله، (ت:276هـ= 889م).
86- المعارف لابن قتيبة، جزء واحد، تحقيق: ثروت عكاشة، (مصر، القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت).
87- غريب الحديث، جزءان، تحقيق: نعيم زرزور، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ=1988م).
ابن قدامة: عبد الله بن أحمد بن محمد بن مقدام بن نصر، (ت:620هـ=1223م).
88- المغني والشرح الكبير، 10أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1405هـ=1984م).
القرافي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري.
89- الفروق في اللغة، 4 أجزاء، (لبنان، بيروت، عالم الكتب للنشر والتوزيع، د.ط، 1318هـ=1900م).
القرشي: عبد القادر أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء، (ت:775هـ=1373م).
90- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، جزء واحد، (الباكستان، كراتشي، مير محمد كتب خانة، د.ط، د.ت).
القرشي: يحيى بن آدم، (ت:203هـ=817م).
91- الخراج، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (الهند، لاهور، المكتبة العلمية، ط1، 1395هـ =1975م).
القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي أبو عبد الله، (ت:671هـ=1272م).
92- الجامع لأحكام القرآن، 20جزءاً، تحقيق: أحمد عبد العليم البردويني، (مصر، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، 1372هـ=1952م).

القزويني: عبد الكريم بن محمد القزويني، (ت:623هـ=1226م).

93- التدوين في أخبار قزوين، 4 مجلدات، تحقيق: عزيز الله العطاري، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1408هـ= 1987م).

القزويني: الخليل بن عبد الله أحمد الحنبلي أبو يعلي، (ت:446 هـ=1054م).

94- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، 3 أجزاء، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، (السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1409 هـ=1988م).

القزويني: محمد بن يزيد، (ت:275هـ=888م).

95- سنن ابن ماجة، تحقيق: صدقي جميل العطار، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ=2003م).

القضاعي: محمد بن عبد الله بن أبي بكر، (ت:658هـ=1259م).

96- الحلة السيراء، جزء واحد، تحقيق: حسني مؤنس، (مصر، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1406هـ=1985م).

القلقشندي: أحمد بن عبد الله، (ت:821 هـ=1418م).

97- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (مصر، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ط، د.ت).

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت:751هـ=1350م).

98- إعلام الموقعين عن رب العالمين، 4 أجزاء، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1392هـ=1972م).

ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، (ت:774هـ=1343م).

99- البداية والنهاية، 14 جزءاً، (لبنان، بيروت، مكتبة المعارف للطباعة النشر، د.ط، =1900م).

100- تفسير ابن كثير، 8 أجزاء، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1401هـ =1980م).

ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (273هـ=886م).

101- سنن ابن ماجة، 5 أجزاء، تحقيق: بشار عواد معروف، (لبنان، بيروت، دار الجيل للنشر، ط2، 1418هـ=1998م).

مالك: مالك بن أنس الأصبحي المدني،

102- موطأ الإمام مالك، 8 أجزاء، تحقيق محمد الأعظمي، (قطر، الدوحة، مؤسسة الشيخ زايد، د.ط، د.ت).

المباركفوري: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (ت:1353 هــ=1934م).
103- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 10 أجزاء، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، عبد الوهاب عبد اللطيف، (السعودية، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، د.ط، 1408هــ=1987م).
مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:261هــ =874م).
104- صحيح مسلم، 8 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هــ=1972م).
المقدسي: المطهر بن طاهر، (ت:507هــ=1113م).
105- البدء والتاريخ، 6 أجزاء، (مصر، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت).
المقدسي: محمد بن أحمد، (ت:390هــ=999م).
106- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، جزء واحد، تحقيق: غازي طليمات، (سوريا، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1401هــ=1980م).
المقري: أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ت:1041هــ=1631م).
107- نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (لبنان، بيروت، دار صادر، د.ط، 1388هــ=1968م).
المكي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي، (ت:1111هــ=1699م).
108- سمط النجوم العوالي، 4 أجزاء، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1419هــ= 1998م).
المناوي: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين الدين الحدادي.
109- التوقيف على مهمات التعريف، (لبنان، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1411هــ=1990م).
110- فيض القدير: شرح الجامع الصغير، 6 مجلدات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هــ=1994م).
ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، (ت:711هــ=1311م).
111- لسان العرب، 15 جزءاً (لبنان، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، د.ت).
الناصري: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد، (ت: 1279هــ= 1863م).
112- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 3 أجزاء، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، (المغرب، الدار البيضاء، دار الكتاب، د.ط، 1418هــ= 1997م).

النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، (ت:303هـ=915م).
113- فضائل الصحابة للنسائي، جزء واحد، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ=1984م).-
أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله، (ت:430هـ= 1038م).
114- تاريخ أصبهان، مجلدان، تحقيق: سيد كسروي حسن، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، د.ت).
النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدوية بن نعيم الصبي الحاكم.
115- المستدرك على الصحيحين، 4 أجزاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1411هـ=1990م)
النيسابوري: أبو الفضل احمد بن محمد الميداني.
116- مجمع الأمثال، جزءان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت).
الواقدي: أبوعبد الله بن عمر، (ت:207هـ=822م).
117- فتوح الشام، جزءان، (لبنان، بيروت، دار الجليل، د.ط، د.ت).
اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، (ت: 768هـ=1366م).
118- مرآة الحنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، 4 أجزاء، (مصر، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، 1413هـ=1992م).
اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب ين جعفر بن وهب بن واضح، (ت:284هـ=898م).
119- تاريخ اليعقوبي، جزءان، (لبنان، بيروت، دار صادر، د.ط، 1380هـ=1960م).

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة

أرسلان: شكيب.

1- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، (لبنان، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، 1417هـ=1996م).

بطاينة: محمد ضيف.

2- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، (الأردن، عمان، دارالفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ=1994م).

بوبشيش: صالح اسماعيل.

3- الحيل الفقهية- ضوابطها وتطبيقاتها على الأحوال الشخصية، (السعودية، الرياض، مكتبة الرشيد، ط1، 1426هـ=2005م).

البوطي: محمد سعيد رمضان.

4- فقه السيرة النبوية، (لبنان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط15، 1416هـ=1996م).

بيضون: إبراهيم.

5- الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، (لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، د. ط، 1399هـ=1978م).

الثعالبي: عبد العزيز.

6- تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، (لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1407هـ=1987م).

الجزائري: أبو بكر جابر.

7-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (السعودية، الرياض، دار لبنة للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ = 1999م).

حسن: حسن إبراهيم.

8- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، د.ت).

حمودة: عبد الحميد حسين.

9- تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها، (مصر، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 1428هـ=2007م).

10- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، (مصر، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 1428هـ=2007م).

خطاب: محمود شيت.

11- الرسول القائد، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ=2002م).

12- قادة فتح العراق والجزيرة، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ=2002م).

13- قادة فتح المغرب العربي، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1422هـ=2002م)

14- قادة فتح بلاد فارس، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ=2002م).

15- بين العقيدة والقيادة، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1423هـ=2002م).

أبو خليل: شوقي.

16- فتح مكة- الفتح الأعظم، (لبنان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط10، 1416هـ=1996م).

خليل: عماد الدين.

17- دراسة في السيرة، (لبنان، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1425هـ=2004م).

أبو الرب: هاني حسين.

18- فلسطين في صدر الإسلام، (الأردن، عمان، دار الشروق، ط1، 1422هـ=2002م).

الرشيد: عبد الله محمد.

19 – القيادة العسكرية في عهد الرسولﷺ، (سوريا، دمشق، دار القلم، ط1، 1410هـ=1990م).

زبيب: نجيب.

20– الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، (لبنان، بيروت، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، 1415هـ=1995م).

سالم: السيد عبد العزيز.

21– تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، (مصر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1403هـ=1982م).

22– تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، (مصر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 1423هـ=2002م).

23– في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، (مصر، الإسكندرية، 1406هـ=1985م).

السامرائي: خليل إبراهيم وآخرين.

24– تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (ليبيا، طرابلس، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، 1421هـ=2000م).

سلامة: سالم أحمد وآخرين.

25– دراسات في السيرة، (فلسطين، غزة، مكتبة ومطبعة دار المنارة، ط2، 1424هـ=2004م).

شاكر: محمود.

26– موسوعة الفتوحات الإسلامية، (الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ=2003م).

الصلابي: علي محمد.

27– حركة الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي، (مصر، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ=2003م).

28- الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق شخصيته وعصره، (مـــصر، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423هـــ=2002م).
29- الدولة الأموية عوامل الإزدهار، (المكتبة الشاملة).
طقوش: سهيل.
30- تاريخ الدولة الأموية، (لبنان، بيـــروت، دار النفـــائس للطباعـــة والنـــشر، ط3، 1421هــ=2001م).
العباد: عبد المحسن.
31- شرح سنن أبي داود، (المكتبة الشاملة).
العبادي: أحمد مختار.
32- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (مصر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 1403هــ=1982م).
العسلي: بسام.
33- فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1408هــ= 1988م).
العقاد: عباس محمود.
34- عبقرية خالد، (لبنان، بيروت، منشورات المكتبةالعصرية، د.ط، د.ت).
عمارة: محمد.
35- معـــارك العـــرب ضـــد الغـــزاة، (مـــصر، القـــاهرة، دار الرشـــاد، ط5، 1419هــ=1998م).
العمري: أكرم ضياء.
36- عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقذ الرواية التاريخية وفـــق مـــنهج المحـــدثين، (السعودية، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم، د.ط، 1415هــ=1994م).
الغضبان: منير محمد.
37- المنهج الحركـــي للـــسيرة النبويـــة، (الأردن، الزرقـــاء، مكتبـــة المنـــار، ط6، 1411هــ=.199م).

الغنيمي: عبد الفتاح مقلد.

38- معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، (مصر، القـاهرة، عـالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ=1996م).

فامبري: آرمنيوس.

39- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمـة أحمـد محمـود الساداتي، (مصر، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، د. ط، د. ت).

فراج: سمير.

40- قطوف من تاريخ وحضارة مصر الإسلامية، (مصر، القاهرة، مركز الراية للنشر والإعلام، د. ط، 1428هـ=2007م).

فوزي: فاروق عمر وآخرين.

41- الوسيط في تاريخ فلسطين العصر الإسلامي الوسـيط، (فلـسطين، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ=1999م).

قمر: محمود أحمد.

42- الإسلام والمسلمون في شرق وجنوب شرق آسيا، (مصر، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1424هـ=2003م).

كمال: أحمد عادل.

43- الطريق إلى المدائن، (لبنان، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1398هـ=1977م).

المباركفوري: صفي الرحمن.

44- الرحيق المختوم، (مصر، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنـشر والتوزيـع، ط4، 1423هـ=2002م).

محمد: علي جمعة.

45- المكاييل والموازين الشرعية، (مصر، االقاهرة، القدس للإعلان والنشر والتسويق، ط2، 1421هـ= 2001م).

المصري: محمود.

46- سيرة الرسولﷺ، (مصر، القاهرة، دار البيان الحديثة، ط1، 1426هـ=2005م).

هيكل: محمد خير.

47- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مجلدان، (لبنان، بيروت، دار البيارق، ط1، 1414هـ=1992م).

الوكيل: محمد السيد.

48- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، (السعودية، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط2، 1416هـ=1995م).

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية:

49- الموسوعة الفقهية الكويتية، 20 جزءاً، (الكويت، الكويت، طبعة ذات السلاسل، ط2، 1410هـ=1990م).

زيع، ط2، 1416هـ=1995م).

رابعاً: المقالات في الدوريات العربية

إبراهيم: نجاشي علي.

1- حيلة يوسف عليه السلام، مجلة الوعي الإسلامي، (العدد 197، محرم 1401هـ= ديسمبر 1980م).

البشير: محمد.

2- دليل الذريعة الأصولي في الحيل والمخارج، مجلة التجديد، (العدد 12، جمادي الأول 1423هـ=أغسطس 2002م).

حمزة: عبد اللطيف.

3- موقف الإسلام من الحيل، مجلة منبر الإسلام، (العدد 4، ربيع الثاني1405هـ= يناير 1985).

دداش: سعد الدين صالح.

4- منع الحيل والأخذ بالأحوط عند المالكية وأثره في رعاية المقاصد الشرعية، مجلة الشريعة والقانون، (العدد 20، ذو القعدة 1424هـ = يناير 2004م).

خامساً: المواقع الإلكترونية

1- **موسوعة مقاتل من الصحراء:** www.mokatel.com

Abstract

In the name of God the Merciful

Praise be to Allah، prayers and peace envoy to the mercy to the worlds، and after:

The Messenger ﷺ Tricks military in the war، and stayed talking to Ben-Naim Masoud foray into the moat important reason for the legitimacy of the military in Islam Tricks، Add to that the Holy Quran between the legality of tricks in many verses of the Quran، the Prophet ﷺ did not stop legislation Tricks military in the war، but deliberately to manage many of the tricks of military conquests led against the camp of shirk، the Prophet ﷺ and a deaf ear to his friends، God bless them for military Tricks measure to cope with the masses of infidels، and perhaps what happened in Badr and trench raids on the best evidence of this.

I have traced effect on them and the Prophet ﷺ Tricks in the management of military and، which was launched order of the Messenger ﷺ in order to deter the Arab tribes which had rebelled against the Messenger ﷺ as well as to get rid of the Jewish capital، which was weaving plots، sowing seeds of discord، combining crowd to attack the Prophet ﷺ in the city، to eliminate the call in its infancy.

And walked after the Muslim military commanders on the impact of the Prophet ﷺ and his companions، God bless them in the management of many of the tricks during the military conquest of the country of Iraq، Persia، Syria، Egypt، Morocco، Andalusia، and beyond the river، and Sindh، and rum; to confirm that the genius of Islamic able to measure different types of military-grade tricks every time and place، and I had a great impact these tricks to destroy the potential of the armies of ancient empires; private armies Persia، Roman، and without these tricks is hard to overcome the Muslim armies that easy، so fast،

emphasizes the importance of Tricks Military war Tricks to manage the military in war is best placed to win the lowest military potential.

which abound in the Islamic history ، The Tricks of Muslim military and ، captive stomachs of Islamic historical sources، still to date،books to take ، search and knowledge،perhaps the time has come to explore who stole our land and ، in the face of our enemies،advantage of them and shed our own. ، violated،our holy places desecrated

Islamic University - Gaza
High Education Studies
History & Archeology
Department



Muslims Military Tricks At The Begining Of Islam

(749-622 = 132-1)

Submitted By:
Jamal Ahmed Sliman Abu Rida

Supervised By:
Khaled Yunis Al Khaldi

"A Thesis Submitted In Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Master In Islamic History- Palestine"

2009 =1429